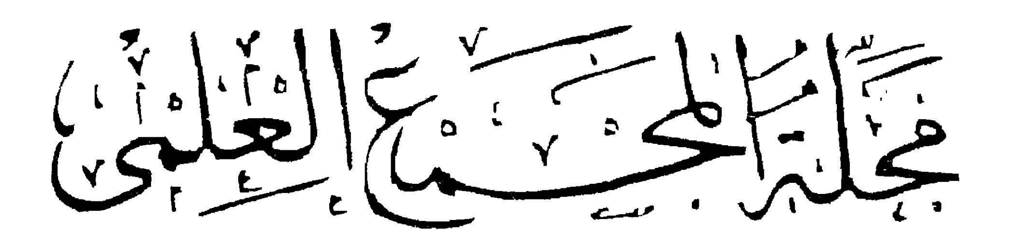

المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي





فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث والرابع / المجلد الثاني والستون

١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٥م



(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤- تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦- لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .

٧- لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨- لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من الموسسات .

٩- لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .

١٠- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية .

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١- يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشر مستلات من بحثهِ ومكافأة تقديرية على وفق نظام المكافآت المعمول به في المجمع العلمي .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

محتويـــات

الجزء الثالث والرابع / المجلد الثاني والستون

وصف الحالة الاقتصادية الاجتماعية لمجتمع مدينة بغداد الكبرى نهاية النصف الأول من القرن العشرين

الدكتور عبد علي الخفاف

عميد معهد الفارابي / جامعة الكوفة

للدرسات العليا (معهد غير حكومي) النجف

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى وصف الحالة الاقتصادية الاجتماعية لمجتمع مدينة بغداد الكبرى عند نهاية النصف الأول من القرن العشرين على وفق البيانات التي قدمها تعداد السكان الذي اجري في ١٩٤٧/١٠/١٩.

بغداد الكبرى :

هي بغداد بدلالتها الجغرافية وليست الإدارية حيث يرتبط قضاء بغداد ونواحيه بقضاء الكاظمية ونواحيه في علاقات اقتصادية اجتماعية متداخلة فيشكلان مستقرة حضرية (*)

(*) محلات مدينة بغداد في ١٩٤٧:

السور والعيواصنية – الميدان – حسن جديد باشا – الباروديـة – قمر الدين – الفضل – القره غول – تبة الكرد – حمام المالح – الحيدرخانه – العاقولية – ←

← الفضل – قمبر علي – الست هدية – امام طه – باب الاغا – تحت التكية – حنون الكبير – التورات – الدهانة – سوق الغزل – راس القرية – القشلة – عمار سبع بكار – القاطر خانة – صبابيغ الال – الهيتاويين – الحاج فتحي – المربعة – راس الساقية – لسنك – سراج الدين – كمب الأرمن – قهوة شكر – حي الاكراد – باب الشيخ الأولى – باب الشيخ الثانية – الكولات – بني سعيد – فرج الله – عرصات قره شعبان – قره شعبان – طاطران عبيد – حنون الصغير – البوشبل – الخالدية – الكبيسات – البو مفرج – عزات طوبلات – المهدية – السيد عبدالله – الجوبة – خان لاوند – العزة – كرادة مريم – علاوي الحلة – الدوريين – سوق العجيمي – الفلاحات – الفحامة – المشاهدة – الشيخ علي – الجعيفر الأولى – الجعيفر الثانية – سوق حمادة – التكارتة – الست نفيسه – خضر الياس – جامع عطا – سوق الجديد – جامع عطا – سوق الجديد – شيخ بشار – الشيخ صندل – راس الجسر – باب السيف – الشواكه – الكريعات والصالحيه .

**محلات الاعظمية :

نجيب باشا – الوزيرية – النصه – الحاره – السفينة – هيبة خاتون – الشيوخ – كمب الارمن – الصليخ – الكريعات – سبع بكار – الدهاليك – مزرعة الدليفان – الداوودية – الراشدية / مجموعة قرى .

*** محلات الكرادة الشرقية :

البتاوين الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة – البو جمعة – البو شجاع – الزوية – عرصات العاصمة – تل محمد – الزعفرانية – معسكر الرشيد / مجموعة قرى .

****محلات ناحية الدورة :

السيدية – الحارثية – دبي – المناري – معسكر الوشاش – مجموعة قرى .

***** محلات المدائن : قصبة المدائن – الخناسه – الجعارة – هور سعده – تويثة – جريفية – القرغولية / مجموعة قرى . ←

واحده . وكانت بغداد وحدة ادارية إحصائية تحت اسم مدينة بغداد التابعة إلى قضاء بغداد ، على أن لواء بغداد كان يضم حينذاك اربعة اقضية هي إلى جانب قضاء بغداد :

- قضاء الكاظمية
- قضاء المحمودية
- قضاء سامراء
- قضاء تكريت

وكان قضاء بغداد يتشكل من : مدينة بغداد وناحية الاعظمية وناحية الكرادة الشرقية وناحية الدورة وناحية المدائن .

أما قضاء الكاظمية فكان يتشكل من : مركز قضاء الكاظمية وناحية أبي غريب وناحية الطارمية . [١]

واقع السكان :

تشير نتائج تعداد السكان لعام ١٩٤٧ المنشورة ، وعلى وفق بيانات الجدول الأول (الجزء الأول – لواء بغداد) إلى أن عدد السكان في مدينة بغداد الكبرى (مدينة بغداد وقضائي الاعظمية والكاظمية) كان ٦٤٦٠٢٤ نسمة وكان هذا العدد يشكل نسبة ٧٩٪ من مجموع سكان لواء بغداد

←****** محلات الكاظمية : الشيوخ – التل – الدباغخانه – القطانه – العطيفيه / قرى الحماميات .

******* منطقة التاجي : وهي ٢٧ قرية وقرية صغيرة يطلق عليها (الجماعة) .

عن : وزارة الشؤون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة – احصاء السكان ، لسنة ١٩٤٧– الجزء الأول – لواء بغداد – الجدول الأول / ص١– ص١٣.

[١] المصدر نفسه / ص١– ص١٣.

البالغ ٨١٧٢٠٥ نسمة ، ويشكل نسبة ١٣،٤٥٪ من اجمالي سكان العراق البالغ ٤٨١٦١٨٥ نسمة . وهكذا تبدو بغداد الكبرى قد استمرت المدينة الرئسية primate city للعراق الحديث الذي تشكلت دولته في ١٩٢١.

يتوزع هذا العدد من السكان مابين الذكور والإناث بواقع ٣٢٦٩٤٦ نسمة من الذكور وبواقع ٣١٩٠٧٨ نسمة من الإناث ، وبهذه الإعداد يكون التوزيع النسبي بينهما بواقع ٥٠,٦٪ للذكور و ٤٩,٤٪ للإناث ، ويعد هذا التوزيع توزيعا متوازنا . وعند مقارنة هذا التوزيع مع واقع التوزيع على صعيد العراق الذي بلغ نسبة ٤٦,٨٪ للذكور ونسبة ٥٣,٢٪ للإناث يتضح أن نسبة الذكور في بغداد تفوق نسبة الإناث ولعل ذلك يعود إلى الاثر المحدود للهجرة الذكورية حينذاك ، حيث يهاجر الذكور احيانا من دون اصطحاب اسرهم معهم .

(٢)- ١- النسبة الجنسية – sex-ratio

وهي تحسب بعدد الذكور لكل ١٠٠ أنثى على وفق المعادلة : عدد الذكور /عدد الإناث x ١٠٠ وهذه النسبة في بغداد الكبرى وحسب بيانات الجدول(١) الاتي هي :

الجدول (١)

عدد السكان في مدينة بغداد الكبرى حسب الوحدات الإدارية

وحسب النوع / ١٩٤٧

بغداد الكبرى	ذكور	إناث	مجموع
مدينة بغداد	١٧٢٠٨٩	١٥٩٩٨٨	٣٣٢٠٧٧
ن الاعظمية	٣٧٤٧١	٣٩٦٠٠	٧٧٠٧١
ن الكرادة الشرقية	٤٨١٦٧	٤٤٥٦٩	٩٢٧٣٦
ن المدائن	٩٢٧٧	٩٥١٤	١٨٧٩١
ن الدورة	٨٢٨٠	٧٧٨٦	١٦٠٦٦
م.ق الكاظمية	٢٦٩٧٠	٢٨٧٦٢	٥٥٧٣٢
ن ابو غريب	١٨١١٢	٢٠٣١٤	٣٨٤٥٣
ن الطارمية	٦٥٨٠	٨٥١٨	١٥٠٩٨
بغداد الكبرى	**٣٢٦٩٤٦**	**٣١٩٠٧٨**	**٦٤٦٠٢٤**

المصدر: وزارة الشؤون الاجتماعية - مديرية النفوس العامة - احصاء السكان لسنة ١٩٤٧- الجزء الأول (ألوية بغداد - الدليم - كربلاء - الحلة - الكوت - ديالى) الجدول الأول / ص١ - ص١٣ - بغداد - مطبعة الحكومة -١٩٥٤ .

١٠٢ = ١٠٠ X ٣١٩٠٧٨ / ٣٢٦٩٤٦

في حين كانت هذه النسبة على صعيد العراق هي :

٨٨ = ١٠٠ X ٢٥٥٨٨٤٠ / ٢٢٥٧٣٤٥

ولاجل فهم هذه النسبة نشير إلى أن الدراسات السكانية قد حددت الحدود المتطرفة لهذه النسبة مابين ٩٠,٢ و ١١٦,٢ وهي الحدود المتطرفة ، الدنيا والعليا . وقد حددت هذه الدراسات المتوسط العالمي السائد ما بين ١٠٢–١٠٧[٢] ومن هذه النسب المتطرفة والمتوسط العالمي تبدو مدينة بغداد الكبرى ضمن الحدود العالمية السائدة ، في حين يبدو العراق خارج هذه الحدود ، وتفسيرنا لذلك هو عدم تقديم البيانات الصحيحة من المواطنين على صعيد العراق ، ولاسيما في الريف .

وقد اشارت إلى ذلك الدراسات النقدية التي تناولت نتائج هذا التعداد ، فلا نظن أن هذه النسبة ، على صعيد العراق ، تعكس واقع توزيع السكان الجنسي او النوعي(ذكور – أناث)[٣] ولا تقتصر مثل هذه الأخطاء في تقديم البيانات على العراق بل كانت غالبية المجتمعات العربية لا تدرك أهمية تقديم البيانات الصحيحة .[٤]

---

[٢] الخريف ، رشود بن محمد (٢٠١٠) معجم المصطلحات السكانية والتنموية / إصدارات مؤسسة الملك خالد الخيرية / المملكة العربية السعودية / ص٢٢٣.

[٣] الخفاف ، عبد علي حسن (١٩٧٤) سكان محافظة كربلاء / دراسة في جغرافية السكان / رسالة ماجستير / كلية الاداب / جامعة بغداد / ص٢٥٥ .

[٤] المصدر نفسه .

أن لمعرفة التوزيع الجنسي (النوعي) للسكان اهمية كبيرة في تحديد قوى العمل البشرية labour force ولاسيما في تلك الحقبة الزمنية حيث كانت مشاركة الإناث في هيكلية القوى العاملة محدودة جدا ، على أن بعض التشريعات العراقية تمنع النساء من بعض الاعمال الشاقة ومن الاعمال الليلية ، فقد منع القانون رقم (١) لسنة ١٩٥٨ المراة من العمل في بعض الاعمال الليلية ، كما أن القانون رقم (١٥١) لسنة ١٩٧٠ هو الاخر منع النساء من الانخراط في بعض الاعمال والاوقات [٥] والحقيقة فان هذه القوانين تحقق روح الاتفاقيات الدولية التي وضعتها منظمة العمل الدولية في تشغيل النساء وصادق عليها العراق .[٦]

اقتصادات بغداد :

١- قوى العمل البشرية :

لاجل تحديد قوى العمل البشرية لابد من تحديد التركيب العمري للسكان ، ويعني توزيع افراد المجتمع السكاني حسب الاعمار ، ويستند هذا التوزيع عادة الى فئات عمرية طول الفئة الواحدة خمس سنوات . وقد اعتمدنا في تحديد التركيب العمري لسكان مدينة بغداد الكبرى على بيانات الجدول الأول من تعداد ١٩٤٧ وهو بعنوان : عدد سكان كل محله حسب فئات السن والالمام بالقراءة والكتابة والحالة الزوجية .

---

[٥] وزارة الاعلام - مديرية الاعلام العامة - قانون العمل رقم (١٥١) لسنة ١٩٧٠ مطبعة الحكومة - بغداد - ص٢٤.

[٦] زيني ، عبد الحسين (١٩٦٩) الاحصاء الديموغرافي (الاحصاء السكاني) مطبعة العاني / بغداد / ص٢٣٨ .

اعتمدت الفئة العمرية في هذا التعداد بطول (١٠) سنوات ، في حين اعتمدت الفئة (٥) سنوات في التعدادات اللاحقة له ، وهذه الاخيرة هي الأكثر مرونة وفائدة للمخطط وللمعني بالدراسات السكانية ويوضح لنا الجدول الأتي التوزيع العمري أو التركيب العمري لسكان مدينة بغداد حسب النوع .

الجدول (٢)

التركيب العمري لسكان مدينة بغداد الكبرى النوع وفق نتائج تعداد السكان في ١٩٤٧

فئة العمر	ذكور	إناث	مجموع
اقل من خمس سنوات	٤٥٧٦٥	٤٣٤٢٧	٩٩١٩٢
٥-٩	٥٠٢٠٢	٤٨٠١٤	٩٨٢١٦
١٠-١٩	٦٥٥٣٠	٦٣٦٩٧	١٢٩٢٢٧
٢٠-٢٩	٤٢٣٣٢	٤٥١٩٤	٨٧٥٢١
٣٠-٣٩	٤٢١٧٤	٤١١٠٠	٨٣٢٧٤
٤٠-٤٩	٣٢٣٤٦	٢٧٨٧٦	٦٠٢٢٢
٥٠-٥٩	٢١٢١٦	١٩٤٩٣	٤٠٧٠٩
٦٠ فأكثر	٢٦٨٣٢	٢٩٧٥٨	٥٦٥٩٠
مجهولو السن	٥٤٩	٥١٩	١٠٦٨
المجموع	**٣٢٣٩٤٦**	**٣١٩٠٧٨**	**٦٤٦٠٢٤**

المصدر : وزارة الشؤن الاجتماعية – مديرية النفوس العامة – احصاء السكان لسنة ١٩٤٧/ الجزء الأول / لواء بغداد –الجدول الأول (حسبت من قبل الباحث عن بيانات قضاء بغداد ونواحيه وقضاء الكاظمية ونواحيه .

هرم السكان لمدينة بغداد الكبرى ١٩٤٧

المصدر :– بيانات الجدول(٢)

تشير بيانات هذا الجدول والشكل المرسوم لهرم السكان ، إلى أن مجتمع بغداد مجتمع فتي ، فالصغار فية ممن تقل أعمارهم عن (١٠) سنوات[*] يشكلون نسبة ٢٩,٠٪ والفئة الوسطى التي تتراوح أعمارهم ما بين (١٠–٥٩) سنة تشكل نسبة ٦٢,٢٪ وتصل نسبة كبار السن ممن تصل

[*] جاء توزيع الاعمار في هذا التعداد يستند إلى طول الفئة (١٠) سنوات .

أعمارهم (٦٠) سنة فأكثر ٨,٨٪ والحقيقة اننا لانثق بهذه النسب اذ نفترض نسبة صغار السن تفوق ما اشارت إليه بيانات الجدول بفعل ما كان معروفا عن المجتمع البغدادي فهو يحبذ الزواج المبكر لكلا الجنسين ، ولاسيما للإناث ، ويرغب بكثرة الانجاب .كذلك نفترض أن تكون نسبة كبار السن اقل بكثير مما اشارت الية بيانات الجدول أيضا .

أن هرم السكان الذي رسمناه بموجب بيانات هذا الجدول يؤشر عدة حالات وهي : تفوق إعداد الأطفال الذكور على الإناث وهذا يتفق مع نتائج الدراسات السكانية العالمية التي تشير إلى تفوق ولادات الذكور على ولادات الإناث[٧] وتفوق إعداد كبيرات السن على إعداد المسنين الذكور وهذا يتفق مع الاتجاه العالمي أيضا[٨] ومما يلفت النظر في هذا الهرم هو طول الفئة (١٠- ١٩) سنة وذلك بفعل حجمها السكاني الكبير ، ونحن نفسر هذا الحجم بالنسبة إلى الذكور بتصغير العمر للبقاء دون سن الخدمة العسكرية ، فلو تمت المراجعة التفصيلية لمفردات هذه الفئة لرأينا أن الغالبية قد سجلت أعمارها دون ١٨ عاما من العمر .

أما الحجم الكبير للإناث فتفسيرنا له هو الرغبة في البقاء دون سن العشرين والشعور بكبر السن ومن ثم العزوف عن طلب ايديهن للزواج ، فكان الذكور حينذاك يفضلون الزواج من الإناث الصغيرات .

بشكل عام نلاحظ أن إعداد الذكور هي المتفوقة على إعداد الإناث ماعدا الفئة الاخيرة (٦٥ فأكثر) وماعدا الفئة (٢٠-٢٩) حيث تتفوق أعداد

---

(٧) الخفاف ، المصدر السابق – ص ٢١٨.

(٨) المصدر نفسه .

الإناث ، وتفسيرنا للتفوق في الفئة (٢٠- ٢٩) يعود إلى تسجيل اعمار الإناث في هذا الفئة نزولا من الفئة (٣٠-٣٩) حيث لاتؤشر الأنثى كونها كبيرة السن وتصبح غير مطلوبة للزواج .

أن البيانات المقدمة عن العمر غير دقيقة وبذلك جاء هرم السكان كأنه رسم لمجتمع سكاني في مدينة من مدن العالم المتقدم وليس لمجتمع في مدينة من مدن العالم النامي ، فهو من ذلك نراه لايمثل الواقع الفعلي للسكان .

من نسبة الفئه الوسطى ، وهي الفئة العريضة التي تضم الفئات من (٢٠-٢٩) الى (٥٠-٥٩) ، يمكن أن نقدر عدد السكان الذين يشكلون قوى العمل البشرية النظرية وهو ٤٠٠٩٥٨ نسمه منهم ١٩٧٣٦٠ نسمة من الإناث وهن في الغالب قد تم توصيف الواحدة منهن ربة بيت . عند دراستنا وتحليلنا الجدول (٧) في تعداد ١٩٤٧ وهو بعنوان : عدد المشتغلين بكل حرفة في كل وحدة ادارية ، وفي ما يخص مدينة بغداد الكبرى اتضح لنا أن عدد العاملات كان ١١٥٥٦ عاملة فقط يشكلن نسبه حوالي ٧٪ من اجمالي عدد العاملين البالغ ١٧٢٦٩٢ عاملا وعاملة . انها نسبة متواضعة وهو امر متوقع في تلك الحقبة الزمنية حيث ما زالت نسبة كبيرة من المجتمع البغدادي تتحرج من ارسال بناتها إلى مؤسسات التعليم و مؤسسات العمل .

تتوزع هذه الإعداد من العاملات بواقع ٤٨٩٧ عاملة في قطاع الخدمات ويشكلن نسبه ٤٣٪ وبواقع ٦٧٧٩ عاملة في قطاع الصناعة ويشكلن نسبة ٢٢٪ وذلك من اجمالي عدد العاملات المشار اليه .

ولابد من الاشارة إلى أن هذا التعداد يؤشر وجود اعدد من العاملين من الذكور والإناث ممن تقل أعمارهم عن (١٠) سنوات ، وقد بلغ عددهم ٤٩٣٦ عاملا وعاملة يتوزعون على ٤٧٩١ عاملا من الذكور و ١٦٥ عاملة وتدفعهم اسرهم إلى العمل بسبب الفقر ويكشف لنا الجدول الأتي إعداد اولئك العاملين الصغار حسب مناطق سكناهم .

الجدول (٣)

العمال الصغار (دون سن العاشرة / صناع) في مدينة بغداد الكبرى

(١٩٤٧)

المنطقة /الوحدة الإدارية	ذكور	إناث	مجموع
مدينة بغداد	٣٥١٠	٩٤	٣٦٠٤
ن الاعظمية	٥٨٢	٣١	٦١٣
ن الكرادة الشرقية	٦٧٨	١٦	٦٩١
ن الدورة	٨	٤	١٢
ن المدائن	١٦	ــــــــ	١٦
م.ق الكاظمية	٤٥١	١٠	٤٦١
ن أبو غريب	٤١	١٠	٥١
ن الطارمية	٢٣	ــــــــ	٢٣
بغداد الكبرى	**٥٣٠٩**	**١٦٥**	**٥٤٧٤**

المصدر :- وزارة الشؤن الاجتماعية - مديرية النفوس العامة - احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ / الجزء الأول / لواء بغداد -- الجدول السابع / ص٣٢- ص٤٩ .

بشكل عام نلاحظ أن إعداد العاملين والذين كانوا يشكلون قوى العمل البشرية الفعلية لايشكلون سوى نسبة ٤٣٪ من قوى العمل البشرية النظرية المحسوبة من الفئة الوسطى المشار اليها .

وهذه النتيجة تعني وجود بطالة بنسبة ٥٧٪ من قوى العمل البشرية النظرية ويبلغ تعدادها ٢٢٨٢٢٦ نسمة ، وهذا الواقع يقترن بالمراحل الأولى لانتقال اقتصاد العراق من الاقتصاد المعاشي إلى اقتصاد السوق ، فمازال قطاع الصناعة وقطاع الخدمات محدودان جدا ، والطبقة البرجوازية في بداية نموها ، كذلك شان الطبقة العاملة .

٢- النشاط الاقتصادي والمهني :

تركزت اعمال النساء البغداديات ، كما يبدو من الجدول الأتي ، في الانتاج الزراعي والحيواني وفي الخياطة وصنع الاطعمة الحيوانية (مصانع الزيوت) والخدمات والمرافق العامة والخاصة وتوجهن للتعيين الحكومي في التعليم والصحة .

الجدول (٤)

عدد المشتغلين بكل حرفة في مدينة بغداد الكبرى

ت	الحرفة	ذكور	إناث	مجموع
١	الإنتاج الزراعي والحيواني	١٦٧٤٩	٢١٨٠	١٨٩٢٩
٢	صيد الماء والبر	٤٨٠	١	٤٨١
٣	تحضير وتجهيز مواد البناء(سمنت ، طابوق ، جص)	٢٦٠	٤	٢٦٤
٤	العاملون في المناجم والمحاجر (عدا مناجم النفط)	١٣	---------	١٣
٥	صنع الأطعمة النباتية	٤١٠	٣٩	٤٤٩
٦	صنع الأطعمة الحيوانية	١٢١٠	٦٢٢	١٨٣٢
٧	استخراج النفط والصناعات المتعلقة بمنتوجاته	٢٩١	---------	٢٩١
٨	صناعة المنتوجات الكحولية والمياه الغازية والثلج	٦٨	---------	٦٨
٩	صناعات التبغ والسكاير	١٧٨	٤٠	٢١٨
١٠	صناعة الصابون والشخاط والمواد الكيمياوية الاخرى	٦٠	---------	٦٠
١١	صناعات الخشب والخيزران والسعف والنجارة	٣٧٢١	٥	٣٧٢٦
١٢	صناعة الجلود ودباغتها	٢٣٧	٤٦	٢٨٣
١٣	صناعة الاحذية والأدوات الجلدية (السراجة)	١٤٢٩	---------	١٤٢٩
١٤	صناعات النسيج بانواعة	١٣٣٧	١١٤	١٤٥١
١٥	الخياطة	٢٨٨٩	١٨٩٢	٤٧٨١
١٦	تجهيز المعادن وصنع الادوات المعدنيه	٣٤٠٣	---------	٣٤٠٣
١٧	تصليح الالات الميكانيكية	٢٢٤٨	---------	٢٢٤٨
١٨	صناعة المعاددن النفيسة والجواهر وتصليح الساعات	٩٣١	---------	٩٣١
١٩	الطباعة والتصوير والرسم والخط والصناعات الفنية الفنية الاخرى	٥٦٠	١٧	٥٧٧
٢٠	اعمال البناء ، التشييد وتعمير الطرق . المقاولات العمرانية	٤٦٩٤	---------	٤٦٩٤
٢١	التأسيسات الصحية والكهربائية وإسالة الماء	٦٢٥	---------	٦٢٥
٢٢	البرق والبريد والتلفون والإذاعة	٣٥١	٢	٣٥٣
٢٣	السكك الحديدية	٧١٨	٢	٧٢٠

٢٤	العاملون في وسائل النقل البرية والمائية والجوية	٨٠٤٩	---------	٨٠٤٩
٢٥	المصارف والصيرفة والتأمين والوساطة والمحاماة	٩٤٠	١٠	٩٥٠
٢٦	التعليم	١٣٦٣	١٠٧٦	٢٤٣٩
٢٧	الطب والصحة والصيدلة	١٢٧١	٥٦٤	١٨٣٥
٢٨	الخدمات الدينية	٦٦٢	٩٣	٧٥٥
٢٩	موظفو الحكومة والبلديات	١٢٠٦٠	١١٧	١٢٧٧
٣٠	الشرطة والسجون والإطفاء	٥٠٧٣	١٢	٥٠٨٥
٣١	التجارة (البيع والشراء)	٢٣٠١٢	٣٨٨	٢٣٤٠٠
٣٢	الادب والصحافة والفن	٤٩٣	١٠٨	٦٠١
٣٣	الخدمات والمرافق العامة والخاصة	١٩١٣٣	٢٩١٥	٢٢٠٤٨
٣٤	المتنوعات	٣٦٩١	٧٣٢	٤٤٢٣
٣٥	عمال دون تخصيص	٣٦٤١٨	٤٣٢	٣٦٨٥٠
٣٦	صناع (عمال دون سنة العاشرة)	٤٧٩١	١٤٥	٤٩٣٦

المصدر : وزارة الشؤون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة – احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ / الجزء الأول(لواء بغداد) الجدول السابع – ص٣١ – ص٣٣ / مطبعة – الحكومة / بغداد /١٩٥٤.

أما كيف تتوزع مكانيا إعداد العاملين البالغة ١٧٢٦٩٢عاملا وعاملة ، الذين اشرنا اليهم على مناطق بغداد فالجدول الأتي يؤشر لنا طبيعة هذا التوزيع داخل بغداد الكبرى – كما يؤشر لنا إعداد العاملين دون تخصص (اي العاملين الذين لديهم الاستعداد أن يعملوا اي عمل مقابل الاجر) .

الجدول (٥)

إعداد العاملين والعاملين من دون تخصص في مدينة بغداد الكبرى حسب المناطق (الوحدات الإدارية)(١٩٤٧)

المنطقة	إعداد العاملين	إعداد العاملين دون تخصص
مدينة بغداد	٨٣٧١١	٢٠٦٥٣
الاعظمية	٢٠٥٩٤	٤٣٣٦
الكرادة الشرقية	٢٦٥٦١	٧٧٣٢
الدورة	٤١٠٤	٤٦٠
المدائن	٦٠٤٧	٢٣٨
الكاظمية	١٤١٤٧	٣٢٤٩
ابو غريب	١٢٣٨٢	٥٧٦
الطارمية	٥١٤٦	٦٦
بغداد الكبرى	**١٧٢٦٩٢**	**٣٦٨٥٠**

المصدر : وزارة الشؤون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة - احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ / الجزء الأول (لواء بغداد) الجدول السابع – ص٣٣ – ص ٤٩.

٣- المستوى المعيشي :

يقاس المستوى المعيشي للسكان بعدة وحدات قياس الا أن تعداد السكان في ١٩٤٧ لم يوفر لنا سوى وحدة قياس تتمثل بنوع السكن ، فالجدول الثاني لهذا التعداد يوزع السكان حسب العاهات ونوع السكن ، وقد استفدنا منه في تنظيم الجدول الأتي ، ونلاحظ منه وجود ٢٢٩٥٠ عائلة في

ظروف سكنية غير لائقة فهي تسكن في بيوت مبنية من الطين أو تعيش في اكواخ وصرائف أو في خيم وبيوت الشعر أو في الخرائب . انه مؤشر واضح يعكس المستوى المعيشي الذي تعيشه هذه الأُسر ، وهي تشكل نسبة ٣٥٪ من عدد الأُسر البغدادية يومذاك البالغ تعدادها ٦٦٣٣٤ عائلة .

الجدول (٦)

إعداد العوائل في بغداد الكبرى حسب نوع السكن (١٩٤٧)

عدد العوائل	نوع السكن
٢٥٤٧٦	قصور – دور
١٧٩٠٨	عمارات سكنية
٥٢	دور لبن (طين)
٢٢٨٩٨	اكواخ – صرائف – خيم – بيوت شعر – خرائب
٦٦٣٣٤	**بغداد الكبرى**

المصدر : – وزارة الشوون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة – احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ – الجزء الأول – لواء بغداد الجدول الثاني – ص١٤ – ص٢٦.

(٥) الحالة الاجتماعية :

نتناول في الحالة الاجتماعية بعض من المؤشرات المهمة ، وهي الحالة الزواجية وحالة التعلم والثقافة والاديان والمعتقدات الدنية .

١– الحالة الزواجية :

نظرا لان الغالبية العظمى من البغداديين يدينون بالاسلام ، وهو دين يدعو إلى الزواج والزواج المبكر ويشجع على التناسل والانجاب من ذلك

نلاحظ حالات الزواج المبكر وكذلك تعدد الزوجات . ويؤشر لنا الجدول الأتي الحالة الزواجية ومنه نلاحظ:

١- ارتفاع نسبة العزاب الذين لم يتزوجوا فهي نسبة تصل بين الذكور إلى ٥٤,٩ ٪ وتهبط بين الإناث إلى حوالي ٣٧٪ وهي حالة متوقعة أن تهبط نسبة العازبات مقارنة بالعزاب الذكور في مجتمع يهتم كثيرا بتزويج البنات في اسرع وقت ممكن .

٢- توجد نسبة من البغدادين الذين تزوجوا من أكثر من زوجة الا انهم لايشكلون سوى نسبة ٧٪ من إعداد المتزوجين بينما يشكل المتزوجون من زوجة واحدة النسبة الكبيرة وتصل إلى ٩٣٪ مما يدل على أن الزواج من زوجة واحدة في المجتمع البغدادي كان السلوك السائد حينذاك .

الجدول (٧)

الحالة الزواجية لاهالي بغداد الكبرى ممن لاتقل أعمارهم عن (١٠) سنوات في (١٩٤٧)

الحالة الزواجية	ذكور	إناث	مجموع
اعزب	١١٧٦١٤	٧٤٥٦١	١٩٢١٧٥
متزوج من واحدة	٨٩٥٤٦	٩٨٨٤١	١٨٨٣٨٧
متزوج من اثنتين	٤٣٨٨	--------	٤٣٨٨
متزوج من ثلاث	٤٤١	--------	٤٤١
متزوج من اربع	١٦٣	--------	١٦٣
مطلق / مطلقة	٥٣١	١٥٨٠	٢١١١
مترمل/ مترملة	١٥١٠	٢٧٣٠٤	٢٨٨١٤
مفترق / مفترقة	--------	١٢٦	١٢٦
حالات غير مبينة	--------	٣٣٧	٣٣٧
المجموع	**٢١٤١٩٣**	**٢٠٢٧٤٩**	**٤١٦٩٤٢**

المصدر : وزارة الشؤون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة – احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ / الجزء الأول (لواء بغداد) – الجدول الأول .

وكان تعدد الزوجات محدودا بشكل ملحوظ فيشكل عدد المتزوجين من زوجتين نسبة ٤,٥٪ تهبط هذه النسبة إلى ٠,٤٪ وإلى ٠,٢٪ للمتزوجين من ثلاث زوجات ومن اربع زوجات على التوالي وذلك من مجموع الرجال المتزوجين .

٣- تبدو نسبة الطلاق بين اهالي بغداد محدودة جدا فهي بين الذكور ٠,٢٪ من الذكور المتزوجين ترتفع بين الإناث إلى ٠,٨٪ من الإناث المتزوجات وهذه النتيجة مقبولة في مجتمع يتمسك بالاسرة ويرى في الطلاق حالة اجتماعية صعبة رغم انه في الشريعة الاسلامية "ابغض الحلال" .

٤- أما عن حالات الترمل بين اهالي بغداد حيث يفقد الزوج زوجتة بسبب الوفاة أو يحصل العكس ، فهي حالات كانت محدودة النسبة فالترمل بين الذكور كان بنسبه ٠,٧٪ يرتفع بين الإناث ليصل إلى ١٣,٤٪ وهذا يتفق مع ما تنظر له الدراسات السكانية من مغادرة الازواج الحياة ، في الغالب ، قبل زوجاتهم .

٢- التعلم والثقافة :

يعد التعليم الخلفية الاساسية للثقافة ووسيلة مهمة لنشر الثقافة (*) وقد استفاد المجتمع البغدادي من التعليم " الحديث " مبكرا باعتباره مجتمع عاصمة البلاد منذ بداية القرن العشرين .

كانت حصة المجتع البغدادي من المعارف متميزة فقد اشارت الاحصائيات إلى وجود (٣٢) مدرسة ابتدائية واولية عام ١٩٢٧ وهي اقل

(*) تمت مناقشة اثر الثقافة والتعليم في واقع السكان لاول مرة في المؤتمر الدولي للسكان الذي عقد في بلغراد بتاريخ ١٩٦٥/٨/٣٠.

عن : الخفاف ، عبد علي حسن (١٩٧٤) سكان محافظة كربلاء / دراسة في جغرافية السكان(رسالة ماجستير غير منشورة) / كلية الاداب / جامعة بغداد / ص٣٤١ .

من عدد المدارس في الموصل التي بلغ عددها (٧١) مدرسة وذلك بفعل توجه الاقليات والطوائف من غير المسلمين لبناء المدارس هناك .

بعد عشر سنوات اي في ١٩٣٧ تطور هذا العدد من المدارس في بغداد إلى ١٠٦ مدرسة ، وكان هذا العدد يشكل نسبة حوالي ١٥٪ من عدد المدارس في العراق والبالغ ٧٢٦ مدرسة[٩] وبالنسبة إلى التعليم الثانوي فقد اشارت الاحصائيات إلى وجود (٤) مدارس ، اثنتان لمرحلة الثانوية وهما الثانوية الشرقية والثانوية المسائية ، واثنتان لمرحلة المتوسطة وهما الشرقية المتوسطة والكرخ المتوسطة وذلك في سنة ١٩٢٧ .

وفي سنة ١٩٢٩ تم تاسيس الغربية المتوسطة ، وفي سنة ١٩٣٥ تم تاسيس المركزية المتوسطة . لقد تطور عدد المدارس إلى (٩) مدارس متوسطة وثانوية في بغداد الكبرى تشكل نسبة ٣٠٪ من عددها في العراق والبالغ (٣٠) متوسطة وثانوية وذلك في سنة ١٩٣٧.[١٠]

اعطت هذه الخلفية التاريخية لبناء المدارس وتاسيسها نتائجها في الهبوط النسبي لمستوى الامية بين اهالي بغداد مقارنة بالعراق بشكل عام ، يضاف إلى ذلك ولكون بغداد العاصمة فقد تركزت فيها النخب المتعلمة والمثقفة ، وتوفر لاهلها العديد من وسائل الاتصال والاحتكاك بالنخب الاجنبية وغيرها . تشير نتائج تعداد السكان في ١٩٤٧ إلى ان نسبة الامية

---

[٩] وزارة الاقتصاد – مديرية الاقتصاد / الدائرة الرئسية للاحصاء (١٩٣٩) المجموعة الاحصائية السنوية العامة / ١٩٢٧– ١٩٢٨ ,/ ١٩٣٧–١٩٣٨ / الجدول /٧١ / مطبعة الحكومة – بغداد .

[١٠] المصدر نفسه / الجدول ٧٠ / .

بين اهالي بغداد كانت ٧٣٪ من مجموع سكانها في الوقت الذي ترتفع فيه هذه النسبة إلى ٨٩,١٪ في العراق . تهبط هذه النسبة بين الذكور إلى ٦٢٪ وترتفع إلى ٨٤٪ بين الإناث في بغداد ، وهي على صعيد العراق تتوزع بواقع ٨١,٢ ٪ بين الذكور و ٩٥,٨ ٪ بين الإناث . ويلخص الجدول الأتي هذه البيانات المتعلقة ببغداد الكبرى .

الجدول (٨)

إعداد السكان(ممن تقل أعمارهم عن ٥ سنوات) الاميين وغير الاميين في مجتمع بغداد الكبرى / ١٩٤٧ .

	غير الأميين		الاميون	
النوع	العدد	٪	العدد	٪
الذكور	٩٢٨٥٥	٣٨	١٥٠٦٥٩	٦٢
الإناث	٣٧٦٣٦	١٦	٢٠٠٨١٤	٨٤
المجموع	**١٣٠٤٩١**	**٢٧**	**٣٥١٤٧٣**	**٧٣**

المصدر: من إعداد الباحث استنادا إلى : بيانات الجدول الأول / الجزء الأول (لواء بغداد) – وزارة الشؤون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة – احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ / بغداد / مطبعة الحكومة (١٩٥٤) .

٣- الحياة الدينية :

المعروف عن مجتمع بغداد انه مجتمع التآلف والتسامح الديني فان الجميع يعيش في ألفة وسلام اجتماعي في المحلة السكنية الواحدة رغم تنوع الاديان والطوائف فيها . يكشف لنا الجدول السادس من جداول تعداد السكان لسنة ١٩٤٧عن (٦) اديان ومعتقدات دينية يعتنقها اهالي بغداد الكبرى ، ياتي في مقدمتها الدين الاسلامي بمذاهبه المتعددة . فيشكل المسلمون ٨٢,٣ ٪ من مجموع سكان بغداد ويبلغ تعدادهم ، ٥٣١,٧٠٥ نسمة . ياتي بعدهم اليهود بعدد بلغ ٧٧٤٨١ نسمة يشكلون نسبة ١٢٪ ، ثم المسيحيون بعدد يقل عن نصف عدد اليهود فكان تعدادهم ٣٥٧٣٢ يشكلون نسبة ٥,٥٪ .

إلى جانب هذه الاديان سجل تعداد سنة ١٩٤٧ الصائبة والازيديون ومعتقدات اخرى شكلت اقل من ٠,٥٪ من سكان بغداد حينذاك ، والجدول الأتي يلخص هذا الواقع الديني .

الجدول (٩)

الاديان والمعتقدات الدينية في مجتمع بغداد الكبرى (١٩٤٧)

الديانة أو المعتقد الديني	عدد المعتنقين/ نسمة	٪
الاسلام	٥٣١٧٠٥	٨٢,٣
اليهودية	٧٧٤٨١	١٢,٠
المسيحية	٣٥٧٣٢	٥,٥
الصائبة	٨١٨	٠,١٢٧
الازيدية	٨	٠,٠٠١
معتقدات اخرى	٢٨٠	٠,٠٤٣
المجموع	٦٤٦٠٢٤	١٠٠,٠٠

المصدر : حسبت الإعداد من قبل الباحث استنادا إلى : وزارة الشؤون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ الجزء الأول (لواء بغداد) – الجدول السادس .

نحن نرى أن لاخوف من التنوع الديني والطائفي في المجتمع فذلك امر طبيعي ، وهو امر يعكس الخلفية التاريخية ذات التنوع في المرجعيات ، وندعو إلى إعداد الدراسات والبحوث المنهجية وتشجيع طلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) لإعداد رسائل واطاريح حول الاديان والمذاهب في حقول الجغرافية وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها من حقول المعرفة ذات العلاقة . أن الخوف يتحدد من التوظيف السياسي للاديان والمذاهب الذي يقود عادة ، إلى التعصب المذهبي وإلى الغاء الآخر .

هكذا يبدو لنا مجتمع بغداد قبل نحو ٧٠ عاما يشكل اكبر تجمع سكاني حضري في العراق بلغت نسبة ١٣٪ من اجمالي سكان البلاد ، وهو مجتمع فتي بلغت نسبة صغار السن فيه ممن تقل أعمارهم عن ١٠ سنوات ٢٩٪ وهذا يعني انه يضم خزينا سكانيا للتكاثر وللزيادة العددية .

ولو اعتمدنا حالة السكن مؤشرا للمستوى المعيشي فان بيانات الحالة السكنية كشفت عن ٣٣٪ السكان من اهالي بغداد هم في مستوى متدنٍ وفقير ، وذلك يعود إلى محدودية فرص العمل حيث توصل هذا البحث إلى تحديد نسبة ٥٧٪ من القادرين على العمل هم في حالة البطالة "البطالة النظرية "، فالصناعة كانت ما تزال في مراحلها الأولى ، وما تزال الطبقة البرجوازية والطبقة العامة ، كلاهما في مرحلة النشاة ، فالعراق كان أخيرا قد خرج من الاقتصاد المعيشي وبدأ يرتبط تدريجيا بالسوق العالمية . إعداد المدارس محدودة والامية تنتشر بنسبة ٧٣٪ ترتفع بين الإناث إلى ٨٤٪ ، ومن المؤشرات المهمة هي محدودية تعدد الزوجات رغم أن المسلمين يشكلون أكثر من ٨٢٪ من المجتمع البغدادي ، فعدد المتزوجين من أكثر من زوجة لا يشكل سوى ٢,٥٪ فقط .

المراجع :

- وزارة الشؤون الاجتماعية – مديرية النفوس العامة – احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ – الجزء الأول – (لواء بغداد) – مطبعة الحكومة – بغداد

الجدول الأول

الجدول الثاني

الجدول السادس

الجدول السابع

المقاربة اللسانية النصية
- بحث في المرتكزات المعرفية والآليات الإجرائية -

الدكتور أحمد حساني
كلية الدراسات الاسلامية والعربية / دبي

الملخص :

إنَّ الخاصية المميزة لبنية النص ، من حيث هو نظام من العلامات الدالة ، تستدعي تكامل معارف ، وتلاقي إجراءات تطبيقية ، لمقاربة النص المنجز في الثقافة الإنسانية . مما جعل لسانيات النص تتبوأ مكانة علمية ومنهجية تؤهلها مرجعيا وإجرائيا لإيجاد إجابات علمية كافية لكثير من التساؤلات التي تطرحها إشكالية النص ، وتذليل الصعوبات والمعوقات التي تعترض سبيل القارئ المفترض لنص ما ، على اختلاف المرجعيات الفكرية التي تؤطر ذلك النص .

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن كثير من الأسئلة التي لها صلة بواقع التجربة اللسانية النصية العالمية ، ومدى تأثير ذلك كله في الوعي المنهجي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة . نجتزئ بذكر بعضها ههنا لأهميته :

١ـ كيف يمكن لنا أنْ نستثمر بوعي علمي عميق الإنجازات المعرفية والمنهجية المحققة في التجربة اللسانية النصية العالمية لترقية ثقافة القراءة ، وتحيين آليات تفسير النصوص وتأويلها ؟

٢ . ما الطرائق الناجعة التي يمكن اعتمادها للانتقال بيسر من لسانيات الكفاية اللغوية – التركيبية إلى لسانيات الكفاية النصية – الخطابية ؟ وما السبل المؤدية إلى إدماج مقاربة النص/الخطاب في المنهج اللساني النصي أو التداولي أو هما معًا ؟

٣ . إلى أي حد استطاعت الدراسات اللسانية النصية أنْ تؤسس لنفسها جهازًا من المفاهيم والاصطلاحات لتعزز به حضورها في فضاء ثقافة النص ؟

٤ . هل الإجراءات التطبيقية المعتمدة في لسانيات النص كافية لإيجاد بديل منهجي مؤهل لإضفاء الشرعية على وجودها ، وتحديد خصوصيتها ، وضمان استمراريتها ؟

توطئة : المقاربة اللسانية النصية : الأسس والمنطلقات .

مما لايغرب عن أحد هو أنَّ النص المنجز في العمر الحضاري للبشرية عبر تاريخها الطويل ، أضحى مركز استقطاب بلا منازع في الوعي الثقافي للمجتمع الإنساني ، إذ منذ أنْ وُجد الإنسان في هذا الكون ما برح يسعى جاهدًا عبر الحقب الزمنية المختلفة إلى اصطناع الرموز والعلامات النصية والخطابية لتخليد أثره في الوجود ، وإرسال شفرات تتعدى الزمان والمكان لربط الصلة الدائمة بين الأجيال المتعاقبة ، فهو ، حينئذ ، حوار أبدي مفتوح ظل يتجدد عن طريق الاستعمال غير المتناهي للنصوص العابرة للأزمنة والقارات ، باسترفاد وسائط لغوية متناهية بحدِّها وعددها كما هي شائعة في الأنظمة اللسانية للمجتمعات الإنسانية المختلفة . وبين البدء والمآل كان

الإنسان ، وكان الإرسال والتلقي ، وكان التواصل في أصفى صورة له باتخاذ سبيلين اثنين : سبيل الكتابة وسبيل القراءة ، فهي ، حينئذ ، ثنائية اقتضائية شرطية تفاعلية ظلت تؤطر الفكر الإنساني ، وتشده إليها شدًّا قويًّا.

ومن هينا فإنَّ أقل الناس إلمامًا بالإنجازات العلمية المحققة في الحقل المعرفي للسانيات ، يدرك لامحالة ، أنَّ المقاربة اللسانية للنص أو الخطاب أمست منهجًا إجرائيًا يحتل بجدارة الاستحقاق حيزًا رحبًا في ثقافة القراءة ، وتفسير النصوص وتأويلها ، مما أدى إلى تعميق المرتكزات المعرفية ، وتأسيس المفاهيم ، وترقية المنهج ، والتعامل مع النصوص ، من حيث هي أنساق من العلامات الدالة التي يصطنعها المجتمع اللغوي لتعزيز نزعة التواصل بين أفراد المجتمع البشري .

أضحت لسانيات النص حينئذ علمًا جامعًا لمجالات واهتمامات معرفية مختلفة ؛ إذ إنَّها في توجهها الجديد تتوخى مبدأ التوحد والتكامل بين معارف لها شرعية الحضور في مقاربة النص ، فهي منوال إجرائي يتخذ النص عامة ، والنص الأدبي خاصة موضوعًا له . بتحليل مضامينه والتعرف على مشروعية إنتاج هذه النصوص ، وضبط نمط بنائها وأثرها في سيرورة الخطاب المنجز في مجتمع لغوي معين .

أولا : لسانيات النص : البدء والمآل

إذا ما التفتنا التفاتة عجلى إلى المناخ المعرفي الذي نشأت في رحابه لسانيات النص ، سندرك أنَّ المقاربة اللسانية النصية تستمد شروط وجودها

من الإرث المعرفي للنظرية اللسانية المعاصرة على اختلاف مدارسها واتجاهاتها ، فهي تعتمد على تلك الإنجازات اللسانية المحققة ما قبل نشأتها ، وتتجاوزها في الوقت نفسه ، تعتمد عليها لأنّها تستمد منها التأطير المرجعي(النظري) ، وتتجاوزها لأنّ للسانيات النص آليات خاصة في التعامل مع النص موضوعها المحدد والوحيد .

من ههنا كان الحضور وكان الغياب ، فهي مؤطرة بمرجعية تستمد أصولها من ذلك الثراء المعرفي الناتج عن الإنجازات العلمية الكثيفة في تاريخ الفكر اللساني العالمي ؛ أي حضور الإرث المعرفي للنظرية اللسانية على الرغم من أنّها تتوخى التميز بآلياتها الإجرائية ، وهنا يكون الغياب . فهي ، حينئذ ، لم تنشأ من العدم ، وما ينبغي لها ذلك ، بل هناك علاقة سلالية بينها وبين اللسانيات في عهد البنيوية – الوظيفية والتوزيعية والتوليدية والتحويلية .

يجمع المتعقبون للمسار التحولي للسانيات النص أنّ النشأة الجنينية لهذا التأسيس المعرفي والمنهجي للمقاربة النصية بدأت تتشكل في بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، تبدّى هذا التأسيس واضحًا في أعمال مجموعة من الباحثين الألمان ابتداء من سنة ١٩٦٨[١] بإشراف **فايرنيتش**

---

(١) يرى بعض الباحثين أنّ الملامح الأولى للسانيات النص بدأت تلوح في الأفق في ألمانيا ، في الفترة ما بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ ، وكان الهدف آنذاك إيجاد نظرية للأدب ترتكز على المفاهيم اللسانية .

Voir.Lita Lundquist, La coherence textuelle : Syntaxe, Semantique , Pragmatique p11

H.Weinrch[٢] وهارتمان P. Hartmann و شميث [٣] S.F.Schmidt وغيرهم من الباحثين المنشغلين بإعادة الاعتبار للنص المغيب في الدراسات اللسانية البنيوية ، حيث انعقد أول مؤتمر لمناقشة دواعي حضور المقاربة اللسانية النصية (لسانيات النص) في التعامل مع النص قراءة وتفسيرًا وتأويلا ، والبحث في الآليات التي يمكن استرفادها لتعزيز المنهج اللساني النصي المتوخى. كان ذلك في جامعة كونستانس Konstanz [٤] بإشراف هارتمان Hartmann الذي أنشأ بعد ذلك مختبرًا أو مركزًا جديدًا للبحث اللساني النصي تجلت معالمه المعرفية والمنهجية في محاضراته المتميزة (النصوص موضوع لغوي) [٥] تلك المحاضرات التي وطأت السبيل المنهجي لوضع معايير النصية انطلاقًا من نظرته للنص من حيث هو علامة كلية .[٦]

---

(2) Harald Weinrich 1969: «Textlinguistik : Zur Syntax des Artikels in der Deutschen Sprache», Jahrbuch für Internationale Germanistik 1, Berne/Frankfort, 61-74.

(٣) س.ج سميث Siegfried Johannes Schmidt (١٩٤٠ .) ولد بـ : Jülich لغوي وفيلسوف وعالم اجتماع .

(٤) **كونستانس** (Konstanz) هي مدينة تقع في أقصى جنوب ألمانيا على بحيرة كونستانس على الحدود مع سويسرا . يبلغ عدد سكانها حوالي ٨٠ ألف نسمة لتكون بذلك أكبر مدينة مطلة على هذه البحيرة .

(5) Text als linguistiche

(٦) ينظر سعيد حسن بحيري علم لغة النص . المفاهيم والاتجاهات . مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ٢٠٠٤ هامش ص ٢٤٨.

تعَمَّقَ هذا التأسيس ، وأخذ طابعه المعرفي والمنهجي المتميز على يد الباحث الهولندي **فان دايك Van Dijk**[٧] الذي بشر يومها باستشراف آفاق نيرة للمقاربة النصية لتوسيع المجال الإدراكي والإجرائي للمنهج اللساني الوصفي ، أو البنيوي لتخطي بنية الجملة المغلقة ، والتحرر من سلطتها ، وقد أومأ إلى ذلك بواضح العبارة قائلا : " لقد توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالبًا عند حدود وصف الجملة ، وأمَّا في علم النص ، فإنَّنا نقوم بخطوة إلى الأمام ، ونستعمل وصف الجمل بوصفه أداة لوصف النصوص ، وما دمنا نستتبع هنا المكونات المعتادة للقواعد ، وسنستعمل النصوص المستخدمة بغية وصف الجمل ، فإنَّنا نستطيع أنْ نتكلم عن قواعد النص".[٨]

كان هذا التصريح منه بمثابة الإعلان عن ميلاد علم جديد يتخذ النص موضوعًا له ، يستمد منهجه من التجربة اللسانية السابقة لإيجاد منهج بديل يعزز حضور النص في الثقافة اللسانية . وكان **فان دايك Van Dijk** يسعى من خلال هذا التوجه إلى إقامة لسانيات نصية تدرس البنية النصية ،

---

[٧] ت.أ. فان دايك Teun Adrianus van Dijk (١٩٤٣ -) ولد بـ : Naaldwijk (Pays - Bas) باحث هولندي له اهتمامات بلسانيات النص وتحليل الخطاب .

[٨] فندايك ، النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص ، ترجمة منذر عياشي ، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، بيروت ، ١٤٧/١ .

ومظاهر التماسك في النص ، ويأخذ في الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية". [٩]

كان البدء في الانصراف نحو النص انطلاقًا من إرهاصات سابقة لاكتمال المقاربة النصية منها :

- رسالة I.Nye وهي باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة ١٩١٢، تضمنت مبحثًا يتعلق بالترابط بين الجمل توحي بضرورة تجاوز الجملة في التحليل اللساني .[١٠]
- أبحاث الفيلولوجي الروماني الإسباني Eugenio. Coseriu (١٩٢١ – ٢٠٠٢) التي استخدم فيها مصطلح لسانيات النص" Linguistica del texto". بخاصة في مقال له نشر سنة ١٩٥٥ .[١١]

وتعد تجربة **زليغ هارس Zillig Harris** [١٢] المنطلق الأساسي للتفكير بجدية في إيجاد لسانيات تنفرد بالنص ، وكان البدء عندما انصرف **هاريس**

---

[٩] سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، النص ـ السياق المركز الثقافي العربي بيروت والدار البيضاء ، ١٩٨٩ ص ١٥.

[١٠] ينظر سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٨ ص ١٨ .

[11] Eugenio Coseriu 1955-56: «Determinación y entorno. De los problemas de una lingüística del hablar», Romanistisches Jahrbuch 7, Berlin, 29-54; repris dans Teoría del lenguaje y lingüística general, Madrid, Gredos, 19733:282-323.

[١٢] زليغ هاريس (١٩٠٩– ١٩٩٢) : لساني أمريكي ، ارتبط اسمه باللسانيات البنيوية وتحليل الخطاب .

بالدراسة اللسانية البنيوية نحو تحليل الخطاب Discourse analysis[١٣] كان ذلك ابتداء من ١٩٥٢، إذ وطأ السبيل لإمكانية وجود منهج لتحليل الخطاب المترابط Connected ، سواء أكان ذلك في حالة النطق Speech ، أم في حالة الكتابة Writing ، يمكن لهذا المنهج ، كما كان يتوخاه **هاريس** ، أنْ يرقى بالدراسة اللسانية البنيوية لتتحرر من سلطة الجملة من أجل استكشاف بنية النص Structure of the text باستخدام الإجراءات اللسانية الوصفية Descriptive linguistics نفسها .[١٤]

ولا يمكن لهذا المنهج أنْ يتحقق في الواقع إلا بتجاوز الإخفاقات التي عاقت سبيل الدراسة اللسانية الوصفية بعامة ، واللسانيات التوزيعية بخاصة من هذه الإخفاقات المنهجية :

١ - اكتفاء الدراسة اللسانية بالجملة من حيث هي المرتكز الأساس في التحليل اللساني .

٢ - إقصاء البعد الاجتماعي في التحليل اللساني.

اعتمد **هاريس** في مشروعه اللساني الجديد الذي يرتكز معرفيًا ومنهجيًا على الدراسة اللسانية الوصفية ركيزتين اثنتين :

---

(13) Zillig Harris . Discourse analysis. PT30 Language .Vol 28 No t 1952

(١٤) ينظر جميل عبد المجيد البديع ، بين البلاغة العربية ولسانيات النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ص٦٥.

إحداهما : العلاقات التوزيعية بين الجمل ، وهو بهذا يتجاوز التحليل التوزيعي الذي ينطلق من العلاقات بين العناصر اللغوية في الجملة الواحدة .

والأخرى : الربط بين الممارسة اللغوية والموقف الاجتماعي ، كانت هذه الخطوة الأولى لإدراج السياق في الوصف اللساني.

كان **هاريس** ينظر إلى النص بوصفه متوالية من جمل كثيرة لها نهاية من دون أنْ يشير إلى التماسك بين هذه الجمل الذي يضفي عليها الخاصية النصية ، ولذلك تمسك بالتحليل الخارجي (سطح النص) ، فأغفل العناصر الجوهرية في تشكيل النص المتماسك .

يُلاحِظُ **بيرفيش Bierwisch** (١٩٦٥) في دراسته النقدية لعمل **هاريس** في تحليل الخطاب(١٩٥٢) أنَّ **هاريس** لمَّا اعتمد مبدأ التحليل إلى أقسام متكافئة صَعُبَ عليه أنْ يميز النصوص الحقيقية من تتابع الجمل.[١٥]

من هذا المنطلق الذي اعتمده **هاريس** انصرفت الدراسات اللسانية لاحقًا إلى ما بعد الجملة ، والتولج في أعماق النص ، ومقاربته في سياقه الموقفي ، من حيث هو معطى اجتماعي ، ومن هنا بدأت المقاربة اللسانية النصية تتشكل منذ منتصف الستينيات ، وسلكت سبيلها المعرفي والمنهجي ، فعرفت بلسانيات النص Linguistique du texte أو اللسانيات النصية Linguistique textuelle أو نحو النص Grammaire

---

[١٥] زتسيسلاف وأورزنياك مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص ، ترجمة سعيد حسن بحيري ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ٢٠٠٣.

Grammaire de فكان الإعلان صريحًا بتجاوز نحو الجملة ، du texte la phrase والانتقال إلى فضاء أرحب هو فضاء المقاربة اللسانية النصية.

L'approche de la linguistique textuelle.

ومن ههنا فإنّ نظرة عجلى في المسار الذي سلكته الدراسة اللسانية النصية تهدي إلى أنّ النصف الثاني من القرن العشرين شهد تحولا عميقًا في تأسيس ثقافة النص من حيث التأطير المرجعي والمفهوم والإجراء ، كان التحول بدءً من تلك الأرضية المنهجية التي أرسى أسسها **هاريس** ، وهي الأسس التي مهدت السبيل للانتقال بيسر من دراسة الكفاية النحوية إلى مقاربة الكفاية النصية . الخطابية ، وتعمقت هذه الأسس أكثر على يد **فان دايك** **Van Dijk** الذي يعد مؤسس المقاربة اللسانية النصية دون منازع ، ثم ارتقت هذه المقاربة أكثر ، وتعززت على يد **روبرت دي بوجراند** **Alain-Robert de Beaugrande**[١٦] (١٩٤٦ . ٢٠٠٨) في الثمانينيات من القرن العشرين.[١٧]

وتجدر بنا الإشارة ههنا إلى أنّه منذ ١٩٧٢بدأت صورة المنهج اللساني النصي تكتمل لدى Dressler وتجلى ذلك في دراسته التمهيدية بمدخل

---

(١٦) Alain-Robert de Beaugrande (١٩٤٦ _ ٢٠٠٨) أمريكي الأصل من مؤسسي مدرسة اللسانيات النصية في فينا Vienne نشر كتابه المعروف مدخل إلى لسانيات النص بمشاركة Wolfgang U. Dressler .

(١٧) Voir Dressler, W.U. & R. de Beaugrande 1981: Introduction to Text Linguistics. London, Longman 1981. Einführung in die Textlinguistik. Tübingen, Niemeyer

تفصيلي للإشكالية والمنهج اللساني في دراسته : مدخل إلى لسانيات النص[١٨] جمع في هذا المدخل عناصر نظرية نصية تقوم على ثلاثة مستويات :

المستوى النحوي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي.

كانت هذه المستويات تعالج منفصلة في اللسانيات النظرية أو نحو الجملة .[١٩]

إنْ كانت لسانيات النص تعد تحولا جديدًا في الدراسات اللسانية المعاصرة ، فإنَّها لم تحدث القطيعة مع المعارف السابقة التي ظلت تعيد مفاهيمها وإجراءاتها . لذلك كان **هارفج** Harweg يعد "البلاغة والأسلوبية فرعين سابقين مبشرين بعلم لغة النص".[٢٠]

وكان **فان دايك Van Dijk** أومأ إلى هذه العلاقة السلالية بين لسانيات النص والمعارف السابقة التي تشاركها في التعامل مع النص بأي كيفية من الكيفيات ، يقول في هذا الشأن :" يمكن أنْ تكون البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص . إذا ما تأملنا التوجه العام للبلاغة القديمة إلى وصف النصوص ووظائفها المتميزة . إلا أنَّه لما كان اسم البلاغة يرتبط غالبًا بأشكال ونماذج

---

(18) Einführung in die Textlinguistik

(19) Lita Lundquist, op.cit.p12.

(٢٠) زتسيسلاف وأورزنياك مدخل إلى علم لغة النص ص ٣٦ .

أسلوبية معينة ، وأشكال ونماذج أخرى ، فإنّنا نؤثر المفهوم الأكثر عمومية ، علم النص".[21]

أضحت لسانيات النص فرعًا ناشئًا من فروع اللسانيات المعاصرة ، وموضوعها الذي يحدد مجالها الإدراكي والإجرائي هو النص بوصفه وحدة لسانية كبرى تتوخى مقاربته من حيث:

- الاتساق والانسجام والترابط والتماسك بين مكوناته التركيبية والدلالية والتداولية.
- الإحالة المرجعية وأنواعها وتفاعل النص مع السياق .
- دور المشاركين في النص (الإرسال والتلقي) .
- ثنائية المنطوق والمكتوب .[22]

بدأت لسانيات النص تتشكل في الخطاب اللساني الفرنسي بتأثير المدرسة الألمانية على يد Harald Weinrich [23] ، يشير **جون ميشال آدم** **Jean-Michel Adam** إلى أنَّ حضور Harald Weinrich في

---

(21) فان دايك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، ٢٠٠١ ص ٢٣ .

(22) ينظر صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة . ٣٥/١.

(23) سنة ١٩٦٩ استخدم Harald Weinrich (١٩٢٧ . ...) مصطلح لسانيات النص Textlinguistik في عنوان دراسة نحوية أفردها للأدوات في اللغةالألمانية Voir, Jean-Michel Adam, L'émergence de la linguistique textuelle en France. Revue **de l'Université de Lausanne** (Suisse), Vol. 23, n° 2, Julho/2010 p13.

الجامعة الفرنسية كان له تأثير كبير في ظهور لسانيات النص في الثقافة اللسانية الفرنسية ، إذْ بعد تعيينه ليشغل الكرسي الأوروبي في المدرسة الفرنسية Collège de France بباريس سنة ١٩٩٠ كانت أول محاضراته حول لسانيات النص في فرنسا ، بفضل هذه المحاضرات بدأ مصطلح لسانيات النص (أو نحو النص) يشيع بين الدارسين اللسانيين الفرنسيين. هو الذي كان له الفضل كذلك في شيوع(٢٤) مصطلح لسانيات النص Textlinguistik (٢٥) في ألمانيا ابتداء من سنة ١٩٦٩في عنوان دراسة نحوية أفردها للأدوات في اللغة الألمانية. (٢٦)

تعمقت الدراسات اللسانية النصية في الثقافة الفرنسية على يد مجموعة من الباحثين اللسانيين منهم Denis Slakta (٢٧) الذي انطلق في أعماله اللسانية نحو النص من مقولة **هاليداي** :" الوحدة القاعدية (الأساس) ليست

---

(24) Voir, Jean-Michel Adam, L'émergence de la linguistique textuelle en France.Revue **de l'Université de Lausanne** (Suisse), Vol. 23, n° 2, Julho/2010 , p14.

(25) Harald Weinrich 1969: «Textlinguistik: Zur Syntax des Artikels in der Deutschen Sprache», Jahrbuch für Internationale Germanistik 1, Berne/Frankfort, 61-74.

(26) Voir, Jean-Michel Adam,op.cit.p13.

(27) Denis Slakta ، باحث لساني فرنسي (١٩٣٧ - ٢٠٠٤)

الكلمة ولا الجملة ، بل هي النص "[٢٨] وبناء على هذا التصور لوحدة النظام اللساني فإنَّ النص في نظر **سلاكتا** يبدأ من الركن التركيبي (Syntagme) .[٢٩] ويرى **سلاكتا** في هذا السياق أنَّ نحو النص يسعى إلى تفسير المبادئ التنظيمية ، وأنماط القواعد الشكلية في نظام العلامات.[٣٠]

لمّا تأمل **سلاكتا** مفهوم الجملة عند **بلومفيلد** تبين له أنَّ هذا المفهوم محدود بحدود الجملة المغلقة المعزولة عن سياقها اللغوي الطبيعي ، كان **بلومفيلد** ينظر إلى الجملة على أنَّها :" شكل لغوي مستقل لا يحتويه شكل لغوي أكبر بموجب علاقة قواعدية معينة". [٣١] عدَّل **سلاكتا** هذا المفهوم ، فالجملة في

---

(28) Michael Alexander Kirkwood Halliday 1970: «Language structure and language function», in New Horizons in linguistics, John Lyons éd., Pelican p160

(29) Denis Slakta 1980a: Sémiologie et grammaire de texte. Pour une théorie des pratiques discursives, 2 tomes, Paris X-Nanterre, p4 .

(30) Denis Slakta 1977: «Introduction à la grammaire de texte», Actes de la session de linguistique de Bourg-Saint-Maurice, publications du conseil scientifique de la Sorbonne Nouvelle-Paris III, 4-8 septembre 1977:p-63.

(31) Bloofield , Language 1933.p170

نظره:" شكل لغوي قابل أنْ يدرج ضمن شكل لغوي أكبر بوسائل قواعدية (نحوية) ، وهذا الشكل اللغوي الأكبر هو النص". (٣٢)

يرى **جون ميشال آدم** أنّ لسانيات النص لم تستطع أنْ تتحرر من سلطة المعارف السابقة التي تعاملت مع النص بكيفية من الكيفيات (البلاغة والفيلولوجيا والأسلوبية) ، إنّ حضور هذه المعارف في الإجراء اللساني النصي لهو دليل على أنّ لسانيات النص لم تحدث القطيعة مع الماضي .(٣٣)

ومن ههنا فإنّ لسانيات النص في نظر **جون ميشال** آدم هي استمرارية معدلة للمعرفة اللسانية السابقة ، فهي مشدودة إلى الإرث النصي السابق شدًّا قويًّا ، ولذلك لم تأخذ مكانتها المعرفية والمنهجية التي تستحقها ، فهي تابعة ضمنيًّا إلى الإجراء البلاغي والفيلولوجي والأسلوبي ، وإنْ كانت قد حاولت أنْ تعيد صياغة هذه المعارف صياغة جديدة تضفي عليها التميز من الناحية الإجرائية. (٣٤)

تناول **جون ميشال** آدم في بحث معمق له موسوم بـ : ظهور اللسانيات النصية في فرنسا بين المنظور الوظيفي للجملة ولسانيات النص ركز فيه

---

(32) Denis Slakta 1977: «Introduction à la grammaire de texte», Actes de la session de linguistique de Bourg-Saint-Maurice, publications du conseil scientifique de la Sorbonne Nouvelle-Paris III, 4-8 septembre 1977: p-63.

(33) Voir Jean-Michel Adam,op.cit.p15.

(34) Ibid.p15..

على تأثير مدرسة براغ ونحوها الوظيفي في ظهور لسانيات النص في الثقافة الفرنسية في السبعينيات من القرن العشرين .

ومن ثمة فإنَّ لسانيات النص ـ كما يرى **جون ميشال آدم** ـ فرع لساني حديث بالقياس إلى تحليل الخطاب ، وهو يؤكد أنَّ مصطلح لسانيات النص عرف في أوروبا منذ الخمسينيات في مقال للفيلولوجي الروماني الإسباني Eugenio Coseriu ١٩٥٥، ويعد هذا المقال بدأ المصطلح يشيع بين الدارسين اللسانيين في أوروبا ، وبعد عشر سنوات يتحدد المصطلح بمنطوقه (لسانيات النص Textlinguistik) كان ذلك في ألمانيا على يد Harald Weinrich جاء ذلك في عنوان دراسة خاصة بالأدوات في اللغة الألمانية. (٣٥)

ثانيا : النص : الحد والإجراء .

ما يمكن لنا الإشارة إليه منذ البدء هو أنَّ المعنى لايتحدد في التمثل الذهني المجرد ، وفي الوصف المادي الصوري ، بل يتحقق ذلك في إطار النص الذي هو النطاق الشامل الذي تتكاثر فيه المعاني وتتولد وتسلك سبلا أخرى ما كان لها أنْ تتوارد فيها لولا شرعية النصية ، ومن ثمة فإنَّ التأويل ، من حيث هو تفاعل القارئ مع المقروء ، لاينبغي له أنْ يقتصر على إيجاد التفسير الكافي للعلاقة بين العلامة ومرجعها الغائب الذي تنوب عنه ، بل يجب أنْ يتجاوز ذلك ليضطلع بتفسير العلاقة بين العلامة والنص الذي

---

(35) Ibid . p13.

وردت فيه ، والمسوغ الذي يمكن أنْ يسترفد ههنا هو أنَّ الإجراء التفسيري داخل النسقَ اللغوي ، يقابله الإجراء التأويلي في النص/ الخطاب. [٣٦]

ويسلك هذا السبيل نفسه **كلاوس برينكر** الذي ينطلق في تعامله مع النص من حيث كونه ممارسة لسانية من أجل تحقيق التواصل في التلقي الشفوي (السامع) ، أو التلقي الكتابي (القارئ) ، فالنص في نظره هو : " فعل لغوي معقد يحاول المتكلم أو الكاتب أنْ ينشئ به للنص علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ ". [٣٧]

ينظر بعضهم إلى النص بوصفه متوالية من العناصر يرتبط بعضها ببعض من أجل تشكيل الكلية النصية ،فالنص في نظر **هارفج Harweg** هو:" تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية". [٣٨] فالخطية في تسلسل العناصر اللغوية المشكلة لبنية النص هي التي تضفي عليه نصيته بطريقة اقتضائية استلزامية ، وذلك ما أومأ إليه **فاينريتش**

---

(٣٦) ينظر أحمد حساني السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 395 آذار ٢٠٠٤. ص٦٧.

(٣٧) كلاوس برينكر التحليل اللغوي للنصوص ـ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج – ترجمة سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ،٢٠٠٥ ص٢٥ .

(٣٨) زتسيسلاف وأرزنياك المرجع المذور سابقًا ، ص ٥٥.

Weinrich في سياق عرضه حدود النص . فالنص " تكوين حتمي يحدد بعضه بعضًا ؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضًا لفهم الكل". [٣٩]

أمّا **فان دايك** **Van Dijk** فيتعامل مع النص في ضوء ثنائية البنية السطحية والبنية العميقة ، مستثمرًا مصطلحات ومفاهيم النظرية التوليدية والتحويلية ، فالنص عنده " بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية". [٤٠] بهذا التعريف يكون **فان دايك** **Van Dijk** أدخل المكون الدلالي التوليدي الذي يعد أساس البنية السطحية .

أضحت النصية المعيار المعول عليه لميز النص من غيره من التراكيب اللغوية التي تشاركه في حصول الدلالة ، لذلك انبرى بعضهم يحدد المبادئ العامة التي يجب أنْ تتوافر في أي ممارسة لغوية لكي ترقى إلى مستوى النص . أهمها :

١- الاتساق (Cohésion) : الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية ، بمعنى التشكيل التركيبي للجمل .

٢-الانسجام (Cohérence) : هندسة عالم النص ؛ أي الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص (الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية النص).

---

[٣٩] حسن بحيري علم لغة النص ص٩٩.

[40] Dijk T.A van Some Aspects of text Grammar He Hague mouton, 1972. p123.

٣- القصد (Intentionnalité / Intentionality) : هو التعبير عن هدف النص الذي يغدو وسيلة متاحة في لحظة معينة بغية الوصول إلى هدف محدد .

٤- المقامية (Situationnalité / Situationality) : متعلقة بالسياق الثقافي والاجتماعي للنص.

٥- التناص (Intertextualité / Intertextuality) : هو أهم عنصر من العناصر التي تحقق النصية ،وهو أنْ تشكل النصوص السابقة خبرة النصوص اللاحقة.

٦- الإخبارية (informativité/ Informativity) : القدرات الإخبارية (المضامين الإعلامية).

٧- المقبولية أو الاستحسان(Acceptabilité/ Acceptability) : تتبدى في علاقة النص بالمتلقي ، من خلال إظهار موقف المستقبل للنص إزاء كونه صورة من صور اللغة المفهومة والمقبولة .[٤١]

يمكن لهذه المبادئ أنْ تنتظم في ثلاث مجموعات :

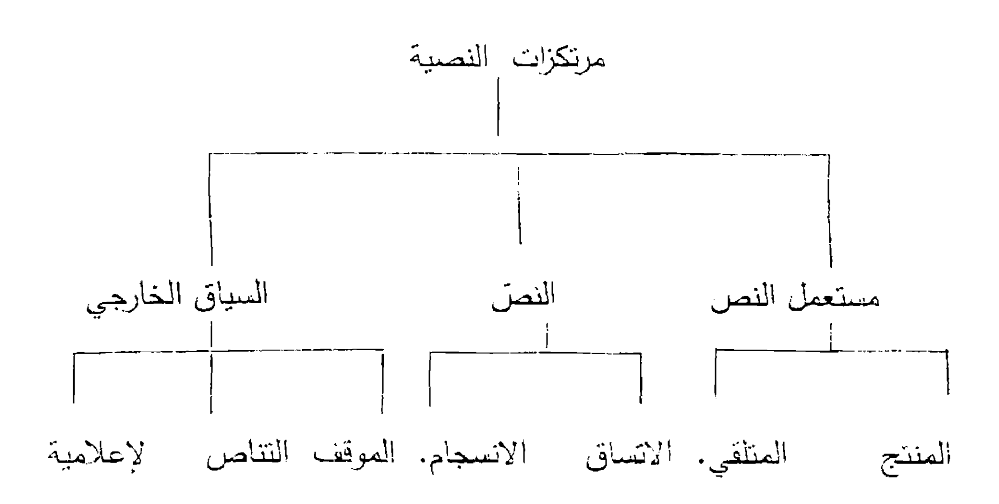
المجموعة الأولى : ما يتصل بالنص: معيار(الاتساق + الانسجام) .

المجموعة الثانية : ما يتصل بمستعمل النص : (المنتج + المتلقي) معيار القصد والقبول .

---

[٤١] روبرت ديبوجراند : النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص ١٠٣.

المجموعـة الثالثـة: مـا يتعلـق بالسـياق الخـارجي: (الموقـف+التنـاص + الإعلامية).



وتأسيسًا على هذه المعطيات كلها فإنّ النص إنجاز لغوي دال ، فهو ناتج عن الكفاية النصية ، ولا يخضع لعامل الكمية في الأداء ، ويشمل جميع الأنواع الافتراضية في التواصل ، ولذلك فهو في نظر **هاليداي ورقية حسن**: "يمكن أنْ يكون منطوقًا أو مكتوبًا نثرًا أو شعرًا ، حوارًا أو مونولوجًا ، يمكن أنْ يكون أي شيء من مَثَلٍ واحد حتى مسرحية بأكملها ، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة".(٤٢)

---

(42) M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan 1976, Cohesion in English, Longman, London. P1.

أورده محمد خطابي ص١٣

نخلص بعد هذا العرض إلى أنَّ هناك ثلاثة اتجاهات في التعامل مع النص:

الاتجاه الأول: (النص علامة) (٤٣)

ينظر هذا الاتجاه إلى النص بوصفه علامة كلية ، أو علامة كبرى Macro--signe ، وهو إذ ذاك يشبه العلامة اللسانية في سيرورتها الدلالية ، وفي مكوناتها الإحالية ، باعتماد التمثيل الثلاثي للعلامة الدال _ المدلول _ المرجع .

يتجاوز هذا الاتجاه التصور الثنائي للعلامة الذي تمسك به دي سوسير (العلامة كيان ثنائي يشكل علاقة بين الدال والمدلول داخل النطاق النفسي) ، بهذا التصور للعلامة يقصي دي سوسير الواقع الخارجي (المرجع) الذي تحيل إليه العلامة ، ولذلك انصرف القائلون بـ : (النص العلامة) إلى التعديل الذي أجراه **أوجدن وريتشاردز** بإدخالهما المرجع في مكونات العلامة فاغتدت العلامة ،حينئذ ، ثلاثية المبنى (الدال . المدلول . المرجع) .(٤٤)

أضحى النص في ظل هذا الاتجاه علامة كبرى تتكون من :

الدال: الشكل اللغوي الذي يكون البنية السطحية للنص . (عناصر الاتساق).

المدلول: المكون الدلالي الذي يشكل البنية العميقة للنص .(عناصر الانسجام).

---

(43) Voir , Litat Lundquist, op.cit . p18.

(٤٤) ينظر أحمد حساني مباحث في اللسانيات ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي . ٢٠١٢. ص ٣٩.

المرجـع : العـالم الخـارجي الذي يحيل إليـه الـنص . (الإحالـة الخـارجيـة أو الإحالة المقامية)

الاتجاه الثاني: (النص إنجاز فعلي للغة). (٤٥)

يتعامل هذا الاتجاه مع النص بوصفه إنجازًا واقعيًا للحدث اللغوي ، فالنص من ههنا مظهر كلامي ، أو ممارسة لغوية؛ لأنّها أثر في الواقع الفعلي للتجربة الإنسانية.

يتبنى هذا الاتجاه التمييز الذي اعتمده **دي سوسير** بين اللسان والكلام . فإذا كان اللسان نظامًا من القواعد يوجد بصفة مضمرة في أذهان المتكلمين . المستمعين ، فإنَّ هذا النظام لا يتجسد في الواقع إلا عن طريق الإنجاز الفعلي للكلام ؛ أي إخراج اللسان من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل .

أمسى النص ، حينئذ ، إنجازًا فعليًا للكلام من حيث كونه منتوجًا حقيقيًا للعملية التلفظية من أحل التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي . بهذا التصور للنص يكون هذا الاتجاه وسع المجال الإدراكي والإجرائي للنص بإدماج اللسانيات التداولية في مشروع لسانيات النص . ويعود حضور اللسانيات التداولية في المقاربة اللسانية النصية إلى مرجعيات مختلفة ، منها ذلك الإرث التداولي الذي يتبدى في المبادئ السيميائية التي رسخها **بيرس وموريس** ، ونظرية الأفعال الكلامية **لأستن وسيرل** ، والدراسات التي تناولت علاقة السياق(الموقف) بالعملية التواصلية .(٤٦)

---

(45) Voir, Litat Lundquist,op.cit .p 19.

(٤٦) **زتسيسلاف** وأورزنياك . المرجع المذكور سابقًا . ص ٨٩.

الاتجاه الثالث : (النص متوالية من الجمل) (٤٧)

يرى هذا الاتجاه أنَّ النص وحدة النظام اللساني يتضمن وحدات صغرى هي الجمل التي تتضمن بدورها وحدات أصغر هي الأركان التركيبية Syntagmes والكلمات والمورفيمات ، فالنص من ههنا لايعدو أنْ يكون متوالية منسجمة ومتماسكة من الجمل .

وبهذا التصور للنص تتجلى الكفاية النصيةCompetence textuelle التي تنتمي إلى الكفاية اللسانية Competence linguistique لأنَّ القدرة على إنتاج النصوص تتضمن القدرة على إنتاج الجمل ، فالكفاية التي تسمح للإنسان بإنتاج عدد لا حصر له من النصوص ، هي الكفاية نفسها التي تسمح له بالحكم على نصية النص التي تتحقق من خلال متوالية منسجمة من الجمل . ولذلك فإنَّ مفهوم النصية في النصوص يقابل مفهوم النحوية في الجمل.(٤٨)

تُعَدُّ الكفاية اللسانية التي تسمح للمتكلمين بإنتاج الجمل ، سواء أكانت متماسكة أم غير متماسكة ، مسوغًا لإمكانية وجود الكفاية النصية ، وهي تلك القدرة الضمنية التي تسمح للمتكلمين(الكتاب) والمستمعين(القراء)

---

(47) Voir, Litat Lundquist,op.cit.p20.

(48) Dominique MAINGUENEAU « À propos de la grammaire de texte ». In : Initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Hachette:Paris, 1976. p151.

بإنتاج نصوص متماسكة تركيبيًا ودلاليًا ، وتفسيرها بإضفاء النصية عليها. [٤٩]

وكان **بيتر هارتمان** قد أومأ إلى الكفاية النصية الضمنية المتوارية خلف الكلام يقول في هذا الشأن : " إنّنا حين نتكلم بوجه عام فإنّنا لا نتكلم إلاّ من خلال النصوص (...) فوسيلة الاتصال بين البشر ليست سوى اللغة ذات القدرة النصية ، وذات القيمة النصية ". [٥٠]

يرى **جون ميشال آدم** في هذا السياق أنَّ انتشار النصوص في المجتمع اللغوي (الكتاب والقراء) يستدعي تشكل الكفاية النصية لدى أطراف التواصل المتكلمين / المستمعين والكتاب / القراء ، وهي الكفاية التي تسمح لهم بإنتاج النصوص وتفسيرها انطلاقًا من الخبرة النصية التي هي مهارة امتلاك الأدوات والمعايير التي تجعل من ملفوظ ما نصًا. [٥١]

وكان **دي بوجراند** أومأ سابقًا إلى أنَّ مفهوم الكفاية يجب " أنْ يحظى بنظرة أكثر اتسامًا بالتكاملية ممّا يجري في العادة في قواعد الجملة ، فعلينا أنْ نبحث في تحديد القدرات التي تجعل الناس في العادة من أصحاب القدرة على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم". [٥٢]

---

[49] Dominique MAINGUENEAU, Linguistique pour le texte litteraire,Nathan,Paris2003(4em Edition) p175.

[٥٠] فولفجنج مدخل إلى علم لغة النص ص ٢٠.

[51] ADAM J-M, ,Eléments de linguistique textuelle Théorie et pratique de l'analyse textuelle,Pierre Mardaga, Bruxelles. Liège. 1990.

[٥٢] دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص١٠٢.

ثالثًا: النص بين الاتساق والانسجام

تتبدى النصية في أصفى صورة لها في التماسك النصي الذي يُشَكِّلُ الاتساق (Cohésion) والانسجام (cohérence) مرتكزه الأساسي ، وبذلك يكتسب النص نصيته ، وتتماسك مكوناته التركيبية والدلالية لتشكل وحدة دلالية كبرى ؛ تستمد هذه الوحدة وجودها من أدوات تركيبية ومعجمية ودلالية شتى تسهم في استمرارية النص وتعزز خطيته .

أولا. الاتساق Cohésion

يعد الاتساقCohésion (يسميه بعضهم السبك ، التضام ، الترابط) من مرتكزات النصية التي تحدد التماسك بين العناصر الشكلية الفاعلة لاكتساب النص خاصيته النصية التي ينماز بها عما سواه من الملفوظات ، وهو إذ ذاك يستمد مكوناته التركيبية من مكونات الجملة لكي يتعداها ، لتشكيل ما هو أوسع أو أكبر وأعمق ، ويستمد من المعجم الدلالات المجردة لإعادة صقلها في نظام متكامل قائم على الاستمرارية والسيرورة التركيبية والدلالية التي تعزز تماسك النص ؛ لأنَّ النص من حيث المبدأ هو " تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك ". (٥٣)

---

(٥٣) فولفجانج هاينة مان و ديتر فيهفجر مدخل إلى علم النص ترجمة سعيد حسن بحيري ص ٢١.

يقصد عادة بالاتساق في الثقافة اللسانية النصية " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما ،ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته."(٥٤)

يتشكل الاتساق في نسيج النص عن طريق عناصر تركيبية . معجمية تضفي على النص صفة الاستمرارية والخطية في زمن التلفظ أو الكتابة ؛ أي تعاقب الأحداث اللسانية في خطها الزمني فتتوالى وتنتظم بناء على آليات التركيب التي ينتظم وفقها الكلام ، ويعزز هذا الانتظام ما يسمى بالاعتماد النحوي (Grammatical Dependency) الذي يتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي(في الجملة ، فيما بين الجمل ، في الفقرة ، في جمل النص). (٥٥)

يتبدى الاتساق جليًا " في تلك المواضيع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر يفترض كل منهما الآخر مسبقًا ، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول عندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق ". (٥٦)

---

(٥٤) محمد خطابي المرجع المذكور سابقًا ، ص ٥.

(٥٥) ينظر سعد مصلوح نحو أجرومية للنص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول ط١ مجلد١٥ عدد١ ، ٢ يوليو . اغسطس ١٩٩١ ص١٥٤.

(56) M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan 1976, Cohesion in English, Longman, London p p4

أورده محمد خطابي : لسانيات النص . ص ١٥.

لقد أصبح مألوفًا في الثقافة اللسانية النصية أنَّ الاتساق ضربان : اتساق نحوي Grammatical Cohesion واتساق معجمي Lexical cohesion

أ : **الاتساق النحوي Grammatical Cohesion / Cohésion grammaticale**

يتشكل الاتساق النصي النحوي من العناصر الآتية :

- الإحالة Reference.
- الاستبدال :Substitution.
- الحذف Elimination.
- الوصل: Conjonction.

نورد ههنا مجددًا هذه العناصر الاتساقية لتوضيحها أكثر:

١ : **الإحالة Reference:**

إنَّ أقل الناس دراية بالدراسات الدلالية يدرك لا محالة أنَّ للإحالة في الدراسات اللغوية التقليدية (قبل لسانيات النص) دلالة خاصة ، هي تلك العلاقة بين العلامة ومرجعها الذي تحيل إليه في الواقع وتنوب عنه ، وذلك ما أشار إليه **جون ليونز** في سياق حديثه عن الدلالة والمرجع إذ يقول:" إنَّ العلاقة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة ، فالأسماء تحيل إلى المسميات". (٥٧)

---

(٥٧) ج . ب . براون وج . يول ، تحليل الخطاب ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، جامعة الملك سعود ، السعودية ،١٩٩٧.ص٣٦.

أمّا الإحالة في الدراسات اللسانية النصية فلها دلالة اصطلاحية مغايرة ، هي إحالة عنصر لساني في النسق النصي إلى عنصر لساني آخر سابق أو لاحق ، وبذلك يتماسك النص ، ويحافظ على استمرارية مكوناته وخطيته.

تتشكل مكونات الإحالة من عناصر لسانية تتواتر في البنية السطحية للنص ، وأنَّ هذه العناصر ليست لها دلالة في ذاتها ، بل هي مرتبطة بعناصر أخرى تسبقها أو تلحقها ، فشرط وجودها هو النص الذي يعزز هذا الترابط ، وهي إذ ذاك قائمة على مبدأ التماثل .[٥٨]

يشير **دي بوجراند** ، في هذا المقام الذي نحن بشأنه ، إلى خاصية تتميز بها الإحالة ، وهي أنَّ المتكلم أو الكاتب يبذل أقل جهد من أجل تقديم أكبر قدر من المعلومات ، فالإحالة في نظره هي: " صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل ". [٥٩]

ومن ههنا فإنَّ " العناصر المحيلة كيف ما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها ، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة ، وهي حسب الباحثَيْن[٦٠] : الضمائر ، أسماء الإشارة ، وأدوات المقارنة".[٦١]

---

[٥٨] ينظر الزناد الأزهر ، نسيج النص . بحث فيما يكون به الملفوظ نصا . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء . المغرب . بيروت لبنان (دت) ص ١١٨.

[٥٩] دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ص ٢٩٩.

[٦٠] هاليداي ورقية حسن .

[٦١] محمد خطابي ، لسانيات النص ص١٧.

أركان الإحالة :

١- المتكلم أو الكاتب : يعد منجز النص ركنًا أساسًا في الإحالة ؛ لأنَّ الإحالة عمل إنساني نابع عن إرادة وقصد .

٢ – اللفظ المحيل : هو العنصر اللساني الظاهر ، أو المقدر (الضمير والإشارة) ، وهو العلامة المرشدة التي تسمح للمتلقي بالحركة داخل النص وخارجه .

٣- المحال إليه : قد يكون المحال إليه موجودًا داخل النص (الإحالة النصية) ، أو خارج النص (الإحالة المقامية) ، يساعد المحال إليه المتلقي على فهم النص وتفسيره وتأويله .

٤- العلاقة بين المحيل والمحال إليه : هي تلك العلاقة التي تجعل المتلقي ينصرف إلى محال إليه بعينه ودون سواه ، هي نوع من التطابق ، أو التجانس بين العناصر التركيبية والدلالية المترابطة عن طريق الإحالة. (٦٢)

تنقسم الإحالة إلى نوعين :

إحالة مقامية (خارجية) : هي إحالة تتم خارج النص .

إحالة نصية (داخلية) : هي إحالة تتم داخل النص . وتنقسم إلى قسمين :

إحالة قبلية : يحيل العنصر المتأخر إلى آخر متقدم .

إحالة بعدية : يحيل العنصر المتقدم إلى آخر متأخر.

---

(٦٢) ينظر أحمد عفيفي ، الإحالة في نحو النص ، نسخة إلكترونية PDF . ص١٦.

تنقسم عناصر الإحالة النصية إلى : ـ شخصية Personal (ضمائر المتكلم ، المخاطب ، الغائب). ١- إشارية Demonstrative (أسماء الإشارة) . ٢- مقارنة Comparative (أسماء التفضيل ...). ٣- الموصولات Relative (الموصولات) ٤- التحديد (التعريف) Definiteness

الإحالة المقامية (الخارجية) : هي إحالة تتم خارج النص تربط النص بفضائه الخارجي لتعزيز وجوده وتعمل على استمراريته ، بتوكيد العلاقة بين الداخل والخارج لضمان كينونة النص وسيرورته ، إذ إنَّ النص موجود سياقي أو مقامي . وهي إذ ذاك . كما يرى **هاليداي ورقية حسن** . " تسهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام ، إلا أنَّها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر ". (٦٣)

٢. الاستبدال : Substitution

يعد الاستبدال عنصرًا من عناصر اتساق النص ، فهو علاقة تتم داخل النص كالإحالة تمامًا ، إلا أنَّه يختلف عنها في كونه يَعْقِدُ علاقة منسجمة على المستوى النحوي ـ المعجمي تسهم في تماسك النص فهو ، حينئذ ، " عملية تتم داخل النص ، إنَّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر". (٦٤)

---

(٦٣) محمد خطابي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص١٧.

(64) M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan 1976, Cohesion in English, Longman, London p88 .

أورده الخطابي ، لسانيات النص ، ص ١٩.

مثال قوله تعالى: { قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ } {آل عمران ١٣} .[٦٤]

استبدلت كلمة(أخرى) بكلمة (فئة) ؛ أي أنَّ (أخرى) حلت محل (فئة) في النسق النصي للآية . فالاستبدال من ههنا يشبه الإحالة كأنَّ (أخرى) أحالت إلى(فئة) .

أنواع الاستبدال :

١ - استبدال اسمي : تستبدل عناصر الاستبدال (آخر ، أخرى ، واحد ، واحدة) باسم سابق عنها ، فتحل محله .

٢ - استبدال فعلي: يحل فعل محل فعل آخر مقدم في التركيب (عمل وفعل) . (من أراد أنْ يبادر إلى نشر المعرفة ، فليفعل) . حلت (يفعل) محل (يبادر) . يفعل = يبادر .

٣ - استبدال العبارة أو القول : إحلال عنصر لغوي محل عبارة أو قول (ذلك ...) . (من أراد أنْ يسهم في البناء الحضاري للإنسان فليبادر إلى ذلك . حلت (ذلك) محل العبارة (أراد أنْ يسهم في البناء الحضاري للإنسان) .

---

[٦٤] آل عمران : ١٣.

٣ . الحذف Elimination:

لا يختلف الحذف عن الاستبدال من حيث كونه عنصرًا يحل محل عنصر آخر مفترض ، لكن الحذف(المحذوف) لا يترك أثرًا كالأثر الذي يتركه المستبدل ، فالحذف استبدال عن الصفر ، فهو كما يرى **هاليداي ورقية حسن** " علاقة داخل النص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق ، وهذا يعني أنَّ الحذف عادة علاقة قبلية ". (٦٦)

٤ . الوصل : Conjonction

هو ذلك الترابط القائم بين المفردات والجمل الذي يعزز استمرارية التماسك النصي ويقويه. " لأنَّ النص عبارة عن جمل ، أو متتاليات متعاقبة خطيًا ، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص ".(٦٧)

تسهم الروابط ، بوصفها عناصر لسانية وظيفية ، في ربط التواصل واستمراريته ، وتمكننا من التلفظ بعدد غير محدود من الجمل والنصوص ، وبها يكتسب النص ديمومته ، وهي شائعة ومعروفة في جميع الألسنة ، كالعطف بجميع أنواعه في اللسان العربي .(الواو ، الفاء ، ثم ، أو . وغيرها) .

---

(66) - M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan 1976, Cohesion in English, Longman, London p144

أورده محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص٢١..

(٦٧) محمد خطابي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص٢٢.

ب . الاتساق المعجمي : Lexical cohesion / Cohésion lexicale

١ . التكرار : Reiteration

يقصد بالتكرار إعادة عنصر لساني دال (مفردة) في موقع لاحق في النص لتعزيز الدلالة المقصودة ،وتأكيدها. ويكون التكرار إمّا بإعادة اللفظ نفسه بمنطوقه أو إعادته بمفهومه ؛ أي إعادة معناه بالاستناد إلى العلاقات بين المفردات في الحقول الدلالية ، كعلاقة الترادف ، أو التضاد ، أو علاقة الكل بالجزء ، إلى غير ذلك من العلاقات الدلالية التي تكون المتن المعجمي للسان ما.

٢ . المصاحبة اللغوية Collocation :

يقصد بالمصاحبة ورود ثنائيات من المفردات بينها علاقات ما؛ أي تلك العلاقات الدلالية القائمة بين المفردات لتأكيد استمرارية التماسك النصي وتيسير تفسيره وتأويله ، مثل علاقة التضاد أو التعارض ، كالعلاقة بين الليل والنهار والولد والبنت . وكعلاقة الكل بالجزء (البيت ، السقف ، الحائط) ، وتندرج علاقة المصاحبة في كل علاقات الحقول الدلاليه المعروفة .

ثانيا : الانسجام :

إذا ما دققنا النظر في البناء التماسكي للنص فسنهتدي إلى أنّ الانسجام أشمل ، وأعم من الاتساق ، كما أنّه أعمق منه في الآن نفسه ؛ لأنّ المتلقي في بحثه عن تماسك الانسجام لا يكتفي بالعناصر اللسانية التي تكون البنية السطحية للنص ، بل يتعداها إلى ما سواها ؛ أي التولج في البنية العميقة

للنص للبحث عن المكون الدلالي الخفي الذي يشكل تلك العلاقة الجدلية بين البنية العميقة والبنية السطحية للنص .

وما كان ذلك كذلك إلا لأنَّ " النص ينتج معناه إذن بحركة جدلية ، أو تفاعل متميز بين أجزائه ، ومن ثم ينظر إلى ذلك الانسجام الداخلي بين الدلالات الجزئية ، وليس إلى ذلك الانتقال المعهود والمنظم من الجزء إلى الكل ". [٦٨]

يتطلب الانسجام في نظر دي **بوجراند** إجراءات كافية لإيجاد الترابط المفهومي Conceptual connectivity تتكون وسائل الانسجام من :

١- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص .

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف .

٣- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية .

يتدعم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرفها النص مع المعرفة السابقة بالعالم . [٦٩]

يتحقق المسار الذي يسلكه المتلقي لاكتشاف الانسجام في مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة بناء تصور للنص ، يكون ذلك عندما يستكشف المتلقي العلاقات الداخلية التي تبني النص ، وتجعل بعضه يشد بعضه الآخر.

---

[٦٨] سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، ص٧٥.

[٦٩] دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص ١٠٣.

المرحلة الثانية : مرحلة إدماج تصور النص في معرفة المتلقي للعالم ، إذا قبلت معرفة العالم التصور المبني للنص ، فسيكون النص منسجمًا. (٧٠)

وقد عمق هذا التصور للانسجام كل من **براون و يول (١٩٨٣)** ، فالانسجام في نظر هذين الباحثين يتشكل خارج النص ، وليس في داخله ، فهو عملية تأويلية يقوم بها المتلقي بمعزل عن قصد المتكلم أو الكاتب ، فالانسجام من هينا " ليس شيئًا موجودًا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه ، وإنما هو شيء يبنى . ليس هناك نص منسجم في ذاته ، ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي ، بل إنَّ المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنَّه منسجم ، وعلى آخر بأنَّه غير منسجم (...) التركيز على انسجام التأويل ، وليس على انسجام الخطاب ".(٧١)

---

(٧٠) ينظر محمد خطابي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص٦.

(71) Voir, G. Brawn et G. Yule , Discourse analysis 1983. Cambridge University ,piess p244

أورده محمد خطابي لسانيات النص ص٥١.

خاتمــــة :

ينتهي بنا مآل التبحث إلى أنَّ التجربة اللسانية العالمية ما انفكت تؤسس لنفسها مرتكزات علمية ، وتراكمات معرفية ظلت تعيد نفسها باستمرار في المسار التحولي للنظرية اللسانية المعاصرة ، تلك التراكمات التي ما برحت تتجدد في سيرورة دائمة ، وتسلك سبيلها النظري والإجرائي إلى أنْ أثمرت ، وآتت أكلها في لسانيات النص ، أو اللسانيات التداولية أو هما معًا.

ومن هذا المنطلق فإنَّ المقاربة اللسانية النصية أضحت مركز استقطاب في الثقافة اللسانية المعاصرة ، فهي مقاربة تستمد أصولها من إرث المعارف السابقة التي تعاملت مع النص بكيفية من الكيفيات ، وظل هذا الإرث يُثْبِتُ حضوره في المرجعية النظرية التي ما فتئت تقدم الأدوات العلمية والمنهجية الكافية لإيجاد إجابات علمية دقيقة للتساؤلات الافتراضية التي تثيرها الإشكاليات العلمية والمنهجية الكبرى في الثقافة اللسانية النصية.

استطاعت لسانيات النص ، حينئذ ، أنْ تؤسس لنفسها جهازًا من المفاهيم والاصطلاحات ، تتماز به نظريًا وإجرائيًا ، فتعزز حضورها بين المعارف والعلوم التي تنتمي إلى فضاء النص المنجز في الثقافة الإنسانية ، وهي إنْ كانت تعتمد على النتائج المحققة في الدراسات اللسانية السابقة ، فهي تتجاوزها في الآن نفسه ؛ لأنَّها انفردت بآلياتها المنهجية ، وتميزت بموضوعها المحدد سلفًا في البيئة النصية ودون سواها.

ومن ههنا فإنَّ لسانيات النص ، بما تمتلكه من تكثيف نظري وإجرائي ، أضحت منهجًا بديلا عن المناهج اللسانية السابقة التي ما فتئت

تتمركز حول النظام والبنية والجملة ، فإذا هي ، حينئذ ، استمرارية مُعدّلة للمقاربات اللسانية السابقة ، تنفرد بمرجعيتها المعرفية التي تؤطرها ، ومفاهيمها واصطلاحاتها التي تعززها وإجراءاتها التطبيقية التي تفعلها ؛ فهي إذ ذاك انصراف نحو النص ، لمقاربته باسترفاد معايير النصية (Textuality / Textualité) ، وتجاوز معايير النحوية (Grammaticality / Grammaticalité) التي كانت مهيمنة على المقاربات اللسانية السابقة (سلطة الجملة) ، فاكتسب النص شرعية الانتماء إلى البحث اللساني .

مراجع البحث

أولا : المراجع العربية :

١- **حساني ، أحمد** :

أ - السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية ، مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ٣٩٢ كانون الأول ٢٠٠٣.

٢ - **عبد المجيد ، جميل** ، البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨.

٣ - **الأزهر ، الزناد** ، نسيج النص . بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب - بيروت لبنان (دت) .

٤ - **مصلوح ، سعد** ، نحو أجرومية للنص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول ط١ مجلد١٥ عدد١ ، ٢ يوليو - اغسطس١٩٩١ .

٥ - **بحيري ، سعيد حسن** ، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٨ .

٦ - **يقطين ، سعيد** ، انفتاح النص الروائي ، النص . السياق ، المركز الثقافي العربي ببيروت والدار البيضاء ، ١٩٨٩.

٧ - **الفقي ، صبحي إبراهيم** ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، القاهرة . دت .

٨ – **المهيري ، عبد القادر وآخرون** ، أهم المدارس اللسانية ، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ١٩٨٦.
٩ – **خطابي ، محمد** ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩١.
١٠ – **التجديتي ، نزار** ، إنتاج النص في نظرية زيغفريد شميت مجلة علامات ج٤١ م١١ سبتمبر ٢٠٠١.
١١ – **نور عوض ، يوسف** : علم النص ونظرية الترجمة ، ط ١ ، دار الثقة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، السعودية ، ١٤١٠.

ثانيًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

١٢ – **ج . ب . براون وج . يول** ، تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، جامعة الملك سعود ، السعودية ، ١٩٩٧.
١٣ – **روبرت دي بوغراند و لفغانغ دريسلر** ، مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد أعده للطبع : مركز نابلس للكمبيوتر الطبعة الأول .١٩٩٣
١٤ – **روبرت دي بوجراند** ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب القاهرة . ١٩٩٨.
١٥ – **زتسيسلاف وأورزنياك** ، مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ٢٠٠٣.

١٦ - **فان دايك :**

أ- النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص ، ترجمة منذر عياشي ، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٤.

ب- علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، ٢٠٠١ .

١٧- **فرانك بالمر** ، مدخل إلى علم الدلالة ، ترجمة خالد محمود جمعة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت الطبعة الأولى ١٩٩٧.

١٨- **فولفجانج هاينة من** ، **ديتر فيهفيجر** ، مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمة فالح بن شبيب العجمي ، نشر جامعة الملك سعود ١٩٩٩.

١٩- **كلاوس برينكر** ، التحليل اللغوي للنصوص- مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج - ترجمة سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ، ٢٠٠٥.

ثالثا : المراجع الأجنبية بلغتها :

20- **Denis Slakta;**

a- Sémiologie et grammaire de texte. Pour une théorie des pratiques discursives, 2 tomes, Paris X-Nanterre 1980a .

b - Introduction à la grammaire de texte, Actes de la session de linguistique de Bourg-Saint-Maurice, publications du conseil scientifique de la Sorbonne1977.

21- **Dominique MAINGUENEAU** : « À propos de la grammaire de texte ». In : Initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Hachette :Paris, 1976.

22- **Ferdinand de Saussure**, Cours de linguistique générale. Édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris: Payot 1983 .

23- **Jean Dubois et autres** , Dictionnaire de linguistique ,Paris,Larousse.1973.

24- **Jean-Michel Adam** :

,Eléments de linguistique textuelle Théorie et pratique de l'analyse textuelle,Pierre Mardaga, Bruxelles, Liège. 1990.

b- L'émergence de la linguistique textuelle en France.Revue de l'Université de Lausanne (Suisse), Vol. 23, n° 2, Julho/2010 .

25 – **Lita Lundquist** : La coherence textuelle : Syntaxe , Semantique , Pragmatique.

26- **Rastier François:** Le probléme épistémologique du et le statut de l'interprétation dans les sciences du langage. Revue: Langages no 129 mars 1998 Paris. contexte

الوعي العربي بالغرب
فهم الذات ومعرفة الاخر

وليد خالد احمد

الملخص :

تتناول الدراسة ، اتجاهات الفكر العربي المعاصر ، وموقفها من محاولة فهم الغرب ، من خلال اعتماد فهم الذات ، لذاتها ، هويتها ، تاريخها ، واقعها ، مستقبلها .. وهذا الفهم يحدده الصراع ضمن الهوية الثقافية التي تعتبر أسس المواجهة في علاقتنا نحن العرب بالغرب .

المقدمة :

ما هو الغرب ؟ كيف نفهم هذا الغرب ؟ ما هي تصوراتنا عنه ؟ على أية أسس نقيم علاقتنا به ؟ او كيف يجب ان تكون العلاقة بيننا ؟ ما هي القضايا والمشكلات التي تثيرها هذه العلاقة فكريا واقتصاديا وسياسيا ؟ ماذا يعني حوار الحضارات ؟ كيف نعرف ذاتنا لنتمكن من معرفة الآخر معرفة عميقة ؟

هذه الاسئلة وغيرها كثير وهي تسكن وعي العربي منذ بداية عصر النهضة ، واجاباتها كذلك ... انما هي جهد واجتهاد ومجاهدة في الوقت نفسه . انها قضية العلاقة بيننا بوصفنا عرب ننتمي جميعا مهما كان التفاوت في ثرواتهم او تقدمهم الاقتصادي والاجتماعي الى العالم النامي وبين الغرب .

لقد صارت مسألة الموقف من الغرب محكا اساسيا من محكات المناظرات والمداخلات والجدل الساخن الذي يجري كل يوم هنا وهناك في وطننا العربي . وهذه حال تنطوي بحد ذاتها على اختلال ايديولوجي مرتكن الى عقدة نفسية تضرب بجذورها في اعماق مرحلة الانعتاق من نير الهيمنة التركية العثمانية باتجاه التشرذم القطري الذي فرضته الامبراطوريات المنتصرة في الحرب العالمية الاولى . فأذا ما حاولنا قلب المنظور وعكسنا الأمر ، سنلاحظ التيارات الفكرية الاوروبية ومن ثم الامريكية وغيرها .. لاتتخذ من قضية الموقف من الشرق – الشرق العربي والاسلامي على نحو خاص – محكا ومفترقا للطرق .

فأمر الشرق بالنسبة اليهم غير حاسم ومن لايتجاوز الاتفاق الكاسح بين جميع التيارات الفكرية الغربية على انه فريسة او خواء قوة ، يتفق الجميع على ضرورات استغلاله والاستفادة منه في سبيل تعزيز مسيرة التفوق الاوروبية – الامريكية ودعمها تلك المسيرة التي تتمحور حول اسطورة التفوق الاري تحت ظل كنيسة او كنائس غربية مرنة لايمكن ان تكون قط حجر عثرة في مسيرة التقدم التقني هناك .

ولكن المسألة بالنسبة الى الفكر العربي المعاصر في اغلب اتجاهاته الفاعلة تختلف كثيرا. فقضية الموقف من الغرب كما تتخيله اصبحت جزءً من هوية بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، دعك من ان افرازات الحضارات الارية غدت اوثانا يتعبدها الكثير من الناطقين بلسان الضاد ممن لاتفارق الكوفيات رؤوسهم حتى يخلدون الى النوم .

كيف نفهم الغرب ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تعتمد اساسا على فهم الذات لذاتها ، هويتها ، تاريخها ، واقعها ، مستقبلها .. وهذا الفهم يحدده محتوى وعينا بما فيه من حدس ومعرفة ، اذ ان فهم الآخر الغربي هو نتيجة خبرة تاريخية محددة نعانيها في وجودنا الاجتماعي المباشر ، تقضي الى التسليم بوجود صراع ثقافي بين كيانين شرقي / عربي و غربي / اوروبي – امريكي .

وبقدر تعلق الأمر بمحاولة الثقافة العربية ، تحصين مجتمعاتها ازاء الهجمة الهائلة التي تشكلها وتقودها الثقافات المتطورة تقنيا على سبيل التشكيك بالأرث الحضاري العربي ، ومن ثم الغائه لغرض البديل الاستهلاكي الذي يخدم المخططات الاقتصادية الامبراطورية ... قد تمرر ضدنا عددا من الاتهامات الخطيرة التي ترنو الى نسف الاسس والمبادئ التي تعتمد عليها عناصر الثقة بالنفس والزهو اللذين يلونان الاعتزاز القومي والروحي المحلي بالذات .

هذا الطرح او الوعي الذي يحدد فهمنا لذاتنا وللآخرين من خلال ما تعرف بالنماذج المعرفية وهي ثلاثة :

١- النموذج التقليدي او البطركي .
٢- النموذج البطركي الحديث .
٣- النموذج النقدي .

في النموذج الاول – يرتكز الوعي على مفاهيم ثابتة ومطلقة ويقينية لا تؤدي الى الحوار والجدل واكتساب معرفة جديدة وانما الى رفض الجدل ورفض الآخر وترسيخ القيم التراثية .

في هذا النموذج تستمد الذات كل مقوماتها من الدين والتراث ، وترى في الآخر نقيضا لها . هكذا يصبح الغرب شرا مطلقا ، فكل محاولة لمحاورته او الاستفادة من علمانيته ونظمه تعد في وعي هذا النموذج البطركي كفرا ومروقا عن الاسلام او عمالة للاستعمار . هذا ما حدث لعلي عبد الرازق عندما نادى في كتابه (الاسلام واصول الحكم) بفصل الدين عن الدولة .

اما النموذج الثاني – فهو يتميز بمحاولة التوفيق بين التراث والحداثة وبين العلم والايمان وبين الماضي والحاضر . الا ان هذه المحاولة تستند في نظر بعض مفكرينا العرب ، الى رؤية ميتافيزيقية شبيهة برؤية النموذج الاول ، اذ ان الوعي البطركي الحديث يرى في الحقيقة العلمية اثباتا للحقيقة الدينية ودعما لها ، وفضلا عن ذلك بقي هذا الوعي سجين نظرة لا ترى الآخر الغربي والامريكي الا من زاوية المقارنة بالذات ، ولا يعرف أوربة في العصر الحديث باختلافاتها عنه وعن التراث الذي يتبثق منه ، اي ان الآخر الغربي لا يعرف ولا يفهم الا من حيث هو انعكاس او اختلاف لما هو عربي لما هو سلبي او ايجابي بالنسبة للذات العارفة والمعرفة.

ان الوعي البطركي الحديث ، يفتقر الى المفاهيم التي تمكنه من معرفة الغرب ومعرفة الذات في آن واحد ، لذلك يظل الخطاب الذي يصدر عنه خطابا وهميا.

وفي النموذج الثالث – النموذج النقدي الذي ظهر في السبعينيات والثمانينيات في المغرب العربي وفي اوساط المثقفين العرب في الخارج ، ينزع الوعي نحو العلمانية والاستقلال والانفتاح على الآخر / الغرب ، في المجال الفكري ، ويحاول ان يحاور بعمق المعرفة الغربية ، ويستوعب

مفاهيمها وآلياتها ، وبعد تحليل الاتجاهات التي تحكم هذا الوعي النقدي اتجاه منبثق عن العلوم الاجتماعية الانكلوا – امريكية تجاه قائم على الفكر الماركسي ، كما تطور في الغرب اتجاه مستمد من النظرية البنيوية والتفكيكية الفرنسية.

ان محدودية هذا الوعي/ النموذج ، لم يتمكن حتى الآن بالرغم من استقلاليته من ان يتجاوز اتكاليته الفكرية ، ومن ان يؤسس خطابه النقدي ، والدليل على ذلك ، هو انه يتعامل مع المفاهيم الفكرية الغربية كمفاهيم مطلقة متعالية وليس كمفاهيم نسبية اكتسبت دلالتها ضمن سياقات تاريخية محددة .

لكنني اؤمن ، ان هذا النموذج هو القادر على تأسيس حوار حقيقي ومتكافيء مع الغرب ، ومهمته لم تعد تتمثل في نقد الوعي البطركي التقليدي والوعي البطركي الحديث ، وانما في تغيير عملية التفكير ذاتها .

وبناءً على هذه النماذج التي تمحورت حول الطريقة التي تمكننا من فهم الغرب لفهم ذاتنا ، فأنها تقودنا الى تناول مدلولات الصراع والتعدد ضمن الهوية الثقافية التي تعتبر أسس المواجهة في علاقتنا نحن العرب بالغرب ، وهذا يتطلب منا بداية تحديد المفاهيم المتعلقة بالهوية الثقافية في سياقها الاجتماعي والتاريخي : مكونات الهوية الثقافية ، استمراريتها ، صيرورتها ، تنوعها ، تعددها .. وبالتالي تصنيف الثقافة العربية الى ثلاثة انواع محددة :

الثقافة السائدة – وهي تتصف بالسلفية والتقليدية ، وتستعمل الدين كأداة سيطرة وهيمنة او أداة تحريض او أداة مصالحة مع واقع مرير ، وتتصف

هذه الثقافة في بعض الاقطار العربية بالتوفيق بين السلفية والليبرالية الغربية .

الثقافة الفرعية – تتميز بتنوعها وتعدديتها حسب الطبقات الاجتماعية والطوائف والجماعات الاثنية والدينية والقبلية.

الثقافة المضادة – وهي الثقافة التي ترفض تقليد النموذج السلفي والنموذج الغربي ، وهي تتجلى خصوصا في اتجاهات التحديث في اوساط المبدعين والتيارات التقدمية على صعيد ايديولوجي .

ان توصيف العلاقة التي يجب ان تكون بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ، يقودنا الى تناول مفهوم الاصالة وماهية دلالاته لتنتهي الى ان هذا المفهوم لا يزال بالرغم من رواجه غامضا وغموضه يتجلى خصوصا في مجال التطبيق العملي .

ان المجتمع العربي متصل بالعالم ويشترك مع المجتمعات الاخرى بجملة من الاوضاع والسمات والتوجيهات ، وقد تكون بعض المبادئ الجديدة اكثر اصالة من مبادئ تقليدية لم تعد تخدم الوظائف التي كانت تخدمها في الامس فتحولت الى ممارسات طقوسية .

لذلك ، بناءً على ما تقدم .. فأننا لا نبارح الحقيقة بالاتفاق مع المفكر العربي الدكتور احمد صدقي الدجاني ، عندما نذهب الى الفصل بين اتجاهين رئيسين في خارطة الفكر العربي المعاصر ، استنادا كما اسلفنا الى قضية الموقف من الغرب ، وهما : الاتجاه الانغماسي والاتجاه الانكماشي . ولكن – برأينا – الاستاذ الدجاني يخفق في التمييز بين هذين الاتجاهين

واتجاه ثالث تتمثله بعض الحركات السياسية القومية ، وهو الاتجاه الانتقائي المتحرر من عقدة الغرب .

*** التيار الانغماسي**

هناك من الافراد واحيانا الجماعات الفاعلة ممن يعتقدون بتفوق مذهل للحضارة الغربية المادية ، بسبب ما قدمته من مبتكرات مادية ساهمت في جعل الحياة اسهل واكثر رفاها متناسين الاثمان الباهضة التي يتوجب على الامة دفعها من كرامتها ومستقبلها في سبيل اقتناء هذه المنتجات الغربية .

لقد ارتمى هؤلاء ممن اكتفوا بعروبة اللسان واللباس في احضان (الغرب) وثن الدولار الكامن في معابد نيويورك وواشنطن ، ذلك الوثن الذي مكنهم من اقتناء افخر الماديات الحياتية .

لقد تخلى هؤلاء وبسرعة مذهلة عن مدرسة التاريخ العربي الاسلامي ، ليحضروا في صفوف مدرسة الغرب الرأسمالي المادي التي أسسها رجال من نمط مالثوس وآدم سمت .. فكان ان غمر هؤلاء انفسهم في الذيلية السلبية المستكينة ، كما انهم حاولوا تحويل هذه الذيلية السلبية الى برنامج عمل الساحة العربية ، يتلخص بالاستيراد المتعافي من الغرب بالجملة ... افكار وماديات ...

لقد كان لارتماء هؤلاء بالمستنقع الغربي نتائج وخيمة على الساحة الفكرية والسياسية العربية ، فكانت عبوديتهم للفردوس الغربي وراء اذعانهم لكل ما تمليه عليهم الادارات الغربية من خرائط تخطيط المدن الى ارسال مرتزقتهم وجيوشهم في مهمات لا قومية ضد القوى القومية والوطنية الشريفة .

لقد ادى اذعان هذا التيار لمعطيات المصالح الغربية الى استلاب الارادة وكره كل اتجاه قومي محلي يرنو الى استثمار واحياء التراث العربي الاسلامي الذي يرنو الى بناء شخصية قومية عربية متميزة في عصر تعصف به الارادات المتناقضة والمتصارعة .

*** التيار الانكماشي**

كانت من اخطر واسوأ نتائج التمادي بعبادة الغرب والانغماس بملذات افرازاته... ان برز على سطح الثقافة والسياسة العربية المعاصرة ، تيار آخر ، هو التيار الانكماشي ، الذي كانت استجابته للحضارة وللفكر الغربي ، استجابة معقدة ترتكن الى كره كل ما هو غربي غير محلي وعلى نحو متعامي . وعلى الرغم من ايجابيات هذا التيار في مقاومة الغزو التجاري والثقافي الغربي ، فأنه ما لبث ان سقط ضحية التمجيد المتعامي للمحلية وللمتوارث وللأصولي بغض النظر عن السلبيات وبدون انتقاء واستدلال للايجابي من هذا الارث المحلي الغائر في القدم .

ولا تخفى سلبيات هذا التيار شديد الحساسية على المتتبع الفطن للاحداث ومساراتها.. فعملية اغلاق الابواب تجاه كل ما هو غربي مهما كانت طبيعته وصفته لاتخدم غرضا مستقبليا متفائلا. فنحن ، وعلى الرغم من حساسيتنا تجاه الغرب وتجاه تطلعات امبراطورياته التي ترنو الى استلابنا ونهب ثرواتنا ، لا يمكن ان نحيا في جزيرة منفصلة عن العالم الذي غدا بفعل وسائل الاتصال ، قرية كونية ، وكان الادهى في سلوكيات التيار الانكماشي هو ارتمائه في احضان الماضي وتقديسه لكل شيء فيه من دون استدلال . ونتج عن ذلك عبودية عمياء لهذا الماضي بكل ما جرف معه من سلبيات

مثل التشرذم الطائفي والاسري ، فضلا عن حبس هذا التيار نفسه في صومعة لاتطال على عالم اليوم ، ولا تستشرف المستقبل في عالم تعصف به المنافسات والسباقات بين الامم التي تريد ان تجد لنفسها موطئ قدم في بناء عالم جديد وهوية ثقافية في الحياة الحديثة .. هكذا ظهرت دعوات ساذجة على الرغم من تقديسها المحلية ، تستدعي التندر والاسف احيانا ، وهي دعوات الى احياء كل شيء قديم حتى وان كان من افرازات نكوص الامة أبان العصور المظلمة ، عصور التردي والتراجع. وقد ذهب هؤلاء في تقديس المتوارث حد تمجيد السالب منه واحياء العادات السيئة والتقاليد البالية التي لا تخدمنا في عصر يتفجر بالجديد الشجاع .

* **التيار العقلاني**

يرتكن هذا التيار الى المبدأ الذي لايرنو الى اغلاق الابواب ازاء التقدم الحضاري التقني في ذات الوقت الذي يحاول فيه اعتصار الارث الثقافي القوي والروحي على سبيل استحصال الايجابي المفيد منه لأضاءة المستقبل من خبرة التاريخ. وهو بذلك اكثر عقلانية من كلا التيارين الآنف ذكرهما ، وهو من الناحية الثانية التيار الذي تتوجس منه الامبراطوريات الغربية لسببين : اولهما – عدم سكينته ورضوخه الذيلي لمعطيات الامبراطوريات الغربية . وثانيهما – رفضه لزنزانة التقليد المتعامي غير المجدي وغير المؤلد لافاق مستقبلية .

التجربة وليس التعامي هي الانموذج الفكري الذي يحدد مسارات هذا التيار الفكري القومي الذي يرنو لأن لا تتخلى الامة عن ارثها التاريخي

المفيد في ذات الوقت الذي يحاول فيه ايجاد موطئ قدم لها في عالم اليوم كأمة تستحق الوجود والحياة .

وعلاقة هذا التيار بالماضي علاقة لا سكونية لانها تحاول تحويل الماضي الى درس ، درس فلسفي ودرس تربوي ودرس مستقبلي . كما ان علاقة التيار العقلاني بالمستقبل هي علاقة ذكية متوهجة تحاول كنه سر التقدم المادي والتقني الغربي على سبيل الافادة منه وتجنب سلبياته ومنزلقاته المميتة .

ان محاولة استيراد ادوات الانتاج من الغرب هي فكرة ذكية ، لانها لا ترنو الى مجتمع استهلاكي يكتفي بالتمتع قصير النظر بالثروات القومية . كما ان محاولة استيراد ادوات وسائل الانتاج ذاتها ، هي عملية صعبة محفوفة بالمخاطر ، لأن الامبراطوريات الغربية ترقبها بدقة ولا تسمح بها ، فهي سر التقدم والتحول من عالم التخلف الى مصاف عالم التقدم.

وهنا ، يحاول هذا التيار الفكري الفطن ان يضع أسسا من الواقعية واحترام انجاز الآخر على نحو قادر على رصد الايجابي وعزل السالب من التجربة الحضارية والثقافية الغربية .

وهذا هو التيار الفكري القومي الذي تخشاه الامبراطوريات الغربية ، لانها ترى من خلال اجهزتها الحواسية ومراقب الرصد فيها ، بأنه هو التيار الذي اذا ما ساد في الامة يمكن ان يحقق للامة نقلة نوعية وثورية تحيل الامة من الواقع الذيلية والهزيمة الى حافة المبادرة واستشراق المستقبل الحق .

ولا تتردد الامبراطوريات الغربية قط بضرب هذا التيار الفكري ، فكرا وجهازا اداريا ، اذا ما حقق هذا التيار تسنما للقيادة في احد الاقطار العربية .

ان التيار الفكري العقلاني في علاقته بالغرب هو تيار قومي ينطلق من صفحات الماضي المشرق للامة ليتسلح بسجايا الثقة بالنفس والايمان بقدرات الامــة ، علــى سـبيل الافـادة والاسـتفادة مـن معطيـات الثـورة الصـناعية والمعلوماتية والتقنية التي حدث ان تفجرت في غرب أوربة وانتقلت بعدها الى بقاع اخرى من العالم . كما ان مفكري هذا التيار لايعانون من عقد نفسية نحو الغرب لانهم لايعبدون آلهته العمياء في ذات الوقت الذي لايغلقون فيه انفسهم منه في قوقعة كلسية يصعب كسرها.

*** تثوير الماضي**

واحدة من اخطر التهم التي يمكن ان يوجهها مخططو الثقافات الغربية المتفوقة تقنيا ، هي تهمة ارتكان الثقافة العربية الى الماضـي . الماضـي الطللي الذي تنقصه الحيوية والتوليدية. واذ تجري من حين لآخر الدعوات المغرضة الى اعادة دراسة التاريخ العربي على النحو الذي يُبرز عناصر التجزئة والتشرذم والدموية فيه . فأن التخطيط الثقافي المعاكس المقابل غالبا ما يحاول نسف افكار الارتجاع التربوي والتعليمي الى التراث ، بوصفه ارتجاعا رجعيا لامجديا وغير قابل لمواكبة معطيات العصر التقني الجديد. والعملية بهذه الطريقة السهلة تغدو واضحة المعالم .

لقد غدت فكرة التمسك بالارث القومي والروحي للامة وسيلة يستخدمها مصممو الثقافات المقابلة لغرض الاقلال من شأن ثقافتنا حتى التندر بعملية التمسك بها. فماذا اعددنا لمواجهة ذلك ؟ وماذا هيأنا لنكسب عقول الى تلك الكتب التي تجمع غبار السنين على رفوف مكتباتنا ازاء ثقافات وفنون الغرب ؟

هذه الاسئلة غاية في البساطة ، ولكن الاجابة الذكية عنها لحل اشكالياتها تتطلب جهدا هائلا وفرقيا .. قد يستغرق منا عقودا من الزمن .

* اخيـــرا

من كل ما تقدم ... يمكن ان نلاحظ بأن تمسك مصممي الثقافات المضادة لثقافتنا بافكار الحوار والتلاقح الثقافي انما يحاولون في حقيقة الأمر تمرير خدعة يقصد منها استغفال المجتمع العربي ومثقفيه . وهنا ، تظهر لنا معطيات كلمات المستشرق برنارد لويس الذي قال : اننا نحن الذين وهبنا الشرقيين شعورا بالاعتزاز القومي ، واننا الذين وهبناهم احساسا ، ولاول مرة في التاريخ بالهوية القومية .

المقصود من هذه الادعاءات ، هو ان التفوق الثقافي الغربي المادي المعاصر المرتكن الى آلة عسكرية / اقتصادية متجبرة يكفي ذريعة ليس فقط لتمرير النموذج الثقافي الغربي مثلا على ثقافتنا بل كذلك لغرض تقديم ثقافتنا القومية والروحية على النحو الذي يخطئ بالقبول الغربي .

وهذا هو ذات الهدف الذي يرنو الى احالة الارث الثقافي القومي والروحي الى المتحف التاريخي ، باعتباره صفحة مطوية لاتقدم ولاتؤخر ، صفحة نستحق عناء المراجعة من قبل المؤرخين والاثاريين والهواة فقط .

الزينـة والتبرج عند المرأة المسلمة في صدر الإسلام والخلافة الأموية

الدكتورة سعاد جواد حسن
قسم التأريخ – كلية التربية -- جامعة ميسان

الملخص :

عرفت الزينـة والتبـرج لـدى الأمم والشعوب منـذ زمـن بعيـد فـي تـأريخ الإنسـانية حيـث ورد ذكرهـا فـي الكتـب السـماوية ومنـهـا القـرآن الكـريم وتضمنت العديد من السور والآيات القرآنيـة الكريمـة ذكـر الزينـة والتبـرج وأدواتها وأنواعها .

اهتم الناس رجالا ونساء بالزينـة والتبرج وان خص هذا البحث النساء دون الرجال حيث أغرمت المرأة بالزينـة والتبرج ولربما لطبيعتها الشفافة ومشاعرها الرقيقة ورغبتها فـي التمييز والظهور في مجتمعها بينها وبين نساء عصرها .

ولم يحرم الإسلام الزينـة للمرأة ومع ذلك حدد لها أحكاما وضوابط تتوافق مع المبادئ والقيم العربية الإسلامية .

من خلال ما تقدم تعرض البحث إلى موضوعة الزينـة والتبرج معانيها وأهميتها وتطـور اهتمـام المـرأة العربيـة المسلمة بهـا كمحصلة للاحتكـاك بالشعوب والأمم الأخرى وكان قدوتهم في ذلك الطبقات المرفهـة وأصحاب الشأن الذين حرصوا وبلغوا في الاهتمام بتزيين زوجاتهم وإمائهم ولما كان النـاس علـى ديـن ملـوكهم فقـد حرصـت غالبيـة النسـاء بزيـادة اهتمـامهن

بأنفسهن وتفننت المرأة في الزينة والتجمل وبالغ بعضهن فيها حتى صار للمرأة العربية المسلمة قصب السبق في الكثير مما تستخدمه المرأة في عصرنا الحاضر .

المقدمة :

الزينة في اللغة ، ما يتزين به ، والزينة والزونة ، أسم جامع لما تزين به[1] ، وهي تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة [2] وخص صاحب الكشاف الزينة بالمرأة فقال : الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب[3].

اما التبرج فهو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ، وتبرجت المرأة أي أظهرت وجهها ، وإذا أبدت المرأة محاسن جيدها ووجهها قيل عنها تبرجت ، وتُرى في عينيها حُسْن نظر[4] وحقيقة التبرج "تكلف إظهار ما يجب

---

[1] ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ، ت٧١١هـ ، لسان العرب ، ٢٠٢/١٣ ، مادة زين ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦م.

[2] الزبيدي ، السيد محمد مرتضى ، ١٢٠٥هـ ، تاج العروس ، ٢٢٩/٩ ، مادة الزينة ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي . د. ت.

[3] الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي ، ت٥٣٨هـ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ٣:٦١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ، د ، ت .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ٢١٢/٢ ، مادة برج .

إخفاؤه ، واختص بأن تتكشف المرأة للرجال لإبداء زينتها واظهار محاسنها.[٥]

ويقترن التبرج بالزينة قال تعالى "غير متبرجات بزينة"[٦] والتبرج هنا أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها ان تستره كما يرى أهل التأويل[٧] ، أما أهل اللغة فيرون أن التبرج ، إظهار الزينة وما يستدعي به شهوة الرجل ، وقيل إنهن كن يتكسرنَ فِي مشيهنَ ويتبرخترنَ[٨] ، وورد في الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه كان يكره عشر خلال منها .. "التبرج والزينة في غير محلها [٩] مما يشير الى معناه العام وهو إظهار الزينة للناس الأجانب[١٠] ويعزز هذا المعنى قول الشاعر الأموي أيمن بن خُريم الاسدي :[١١]

عَلام يُكحلن حور العيون　　　ويحدثنَ بعد الخضاب الخضابا

---

[٥] الفخر الرازي ، ابو عبد الله محمد بن عمر القرشي ، ت٦٠٦هـ ، التفسير الكبير ، ٣٤/٢٤ ، مصر ، ط١ ، د ، ت.

[٦] سورة النور ، اية٦٠.

[٧] الطبري ، محمد بن جرير ، ت٣١٠هـ ، جامع البيان في تأويل أي القران ، ١٦٧/١٨ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤م .

[٨] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢١٢/٢ ، مادة برج .

[٩] ابو داود ، سليمان بن الاشعث الازدى ، ت٢٧٥هـ ، سنن ابي داود ، ٤٠٦/٢ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٢م .

[١٠] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢١٢/٢ ، مادة برج .

[١١] الاصبهاني ، ابو الفرج ، ت٣٥٦هـ ، كتاب الاغاني ، ٩/٢١ ، ١١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٧م .

ويعرِكن بالمسك أجيادهن ويدنين عنـد الحجال العيابـا

ويبرقنَ إلا لما تعلمـون فلا تمنعَـنٌ النسـاءَ الضَرابـا

وورد في القرآن الكريم يوم يسمى يوم الزينة في قوله تعالى (موعدكم يوم الزينة وأن يحشرَ الناس ضحى)[١٢] يعني يوم عيد كان لهم يتزينون فيه بالملابس الفاخرة كما يراه أهل التفسير.[١٣]

والزينة ضربان ، زينة ظاهرة للعيان ، واخرى باطنة مخفية ، يوضح ذلك قوله تعالى : (ولا يُبدينَ زينتهن إلا ما ظهر منها.... ولا يُضربن بأرجلهنَ ليُعلمَ ما يُخفينَ من زينتهنَ)[١٤]، والظاهر من الزينة الثياب والوجه والكحل والخضاب والفتخ ـ الخواتيم الكبار التي تلبس في اليد ، اما الزينة الباطنة فهي المختلفة والخلخال ، والدملج والسوار ، والقرط ، والإكليل والوشاح .[١٥]

---

[١٢] سورة طه ، اية ٥٩.

[١٣] الطبري ، جامع البيان ، ١٧٧/١٦ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٤.

[١٤] سورة النور ، اية٣١.

[١٥] الزمخشري ، الكشاف ، ٦١/٣ ، وانظر : القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ، ت٦٧١هـ ، مختصر تفسير القرطبي اختصار الشيخ محمد كريم راجح ، ٣٥٦/٣ ، ٣٥٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ابن كثير ، عماد الدين ابى الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت٧٧٤هـ ، تفسير القران العظيم ، ٢٨٣/٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، د ، ط ، د ، ت.

ويرى الزبيدي ان الزينة ثلاثة أشكال ، زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة وما إليها، وزينة خارجية كالمال والجاه وغيره ، وزينة بدنية كالقوة وحسن الوسامة وطول القامة[١٦] ، في حين يرى فريق أخر ان الزينة على ضربين طبيعية كالأزهار وبهجة الأحجار الثمينة ، والوجوه ومحاسنها ، والزينة الصناعية ، وهي ما يصنعه الناس في ثيابهم ومنازلهم ، وما يزينون به نساؤهم من الدمالج والأقراط والخواتيم والحلي والحلل ، والاحجار الكريمة كالزبرجد والياقوت والماس والزمرد وأمثالها[١٧] كما في قول الشاعر :[١٨]

كأنها في حُسن وشاره   والحلى حلى التبر والحجاره

ولم يحرم الإسلام الزينة قال تعالى : (قُل مَن حَرمَ زينة الله التي أخرجَ لعباده)[١٩] ، وعلى الضد من ذلك فقد حث الإسلام على الزينة وشجعها ، وخص الله سبحانه وتعالى بني البشر بها فقال : (يابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجدٍ)[٢٠]، ويرى اهل التأويل في معناها ، الزينة من الكساء والشملة

---

[١٦] تاج العروس ، ٢٢٩/٩ ، مادة الزينة .

[١٧] جوهري ، طنطاوي ، الجواهر في تفسير القران الكريم ، ٣١/١٨ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٥٠هـ .

[١٨] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٩٤/١٤ ، مادة حلى .

[١٩] سورة الأعراف ، اية ٣٢ .

[٢٠] سورة الأعراف ، اية ٣١ .

وجيد البز والمتاع ، حيث كانت العرب قديما نساءً ورجالا يطوفون بالبيت بغير ثياب ما عدا الحمس[٢١] فانزل الله تعالى هذه الاية .[٢٢]

ووردت الزينة والتبرج في القران الكريم في قوله تعالى : (فليس عليهنَ جناح ان يضعنَ ثيابهنّ غير متبرجات بزينة)[٢٣] أي لا تتبرج النساء بوضع الجلباب ليُرى ما عليهن من الزينة[٢٤]، وقال تعالى : (وقَرنَ في بيوتكنَ ولا تبرجنَ تبرج الجاهلية الأولى)[٢٥] ، أي إظهار الزينة ، وابراز المرأة محاسنها للرجال كما كانت نساء الجاهلية تفعل من قبل.[٢٦]

ولم تحرم الزينة على المرأة ، ولكن الله سبحانه وتعالى نهى أن تبدى المرأة زينتها هذه إلا لمن احلها الله له ، كالزوج والاخ والابن والنساء والاطفال ... الخ فقال تعالى : (وليضربنَ بخمرُهنّ على جيوبهنّ ، ولا يُبدينَ زينتهنّ ألا لبعولتهنّ أو ابائهنّ أو اباء بعولتهنّ أو ابنائهنّ أو أبناء بعولتهنّ أو اخوانهنّ أو بنى اخوانهنّ أو بنى اخواتهنّ أو نسائهنّ أو ما ملكت إيمانهنّ

---

[٢١] الحمس ، قريش واحلافهم ، وسموا بذلك لانهم تحمسوا في دينهم ، وتشددوا فيه ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٧/٦ ، مادة حمس.

[٢٢] الطبري ، جامع البيان ، ١٥٩/٨-١٦٢.

[٢٣] سورة النور ، اية ٦٠.

[٢٤] ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ٣٠٤/٣.

[٢٥] سورة الاحزاب ، اية ٣٣.

[٢٦] الطبري ، جامع البيان ، ٤/٢٢.

أو التابعينَ غيرأُولى الإربة من الرجال أو الطفل الذينَ لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يَضربنّ بأرجلهِنّ ليُعلمَ ما يخفينَ من زينتهنّ).[٢٧]

ونبذت السنة النبوية الزينة والتبرج في غير محلها ظاهرة كانت أو مخفية لما لها من تأثير يتناقض مع المعايير الاجتماعية العربية الإسلامية ، وأُثر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه : "كره الزينة والتبرج في غير محلها ، والضرب بالكعاب"[٢٨] وشبه (صلى الله عليه وسلم) المرأة المتبخترة بالزينة كالظلمة يوم القيامة وقال : "مثلَ الرافلة في الزينة في غير اهلها كمثل الظلمة يوم القيامة لا نور لها"[٢٩] وورد عنه (صلى الله عليه وسلم) : قوله "شر نسائكم المتبرجات".[٣٠]

ومع كل هذه التحذيرات الشرعية بشأن الزينة والتبرج ، فقد حرصت المرأة على مر العصور والحقب التأريخية ، وفي اغلب المجتمعات الخاصة والعامة على الاهتمام بمظهرها ، وابراز جمالها ، وعمدت الى كل مل يميزها ويظهرها بمظهر يليق بها ، واستخدمت من مواد الزينة وأدوات التجميل على اختلاف انواعها الطبيعية والصناعية الظاهرة والمخفية من اردية مختلف

---

(٢٧) سورة النور ، اية ٣١.

(٢٨) أبو داود ، سنن ابى داود ، ٢/٤٠٦.

(٢٩) السيوط ، عبد الرحمن ابن ابى بكر ، ت٩١١هـ ، إسبال الكساء على عورات النساء ، تحقيق خالد عبد الكريم وعبد القادر احمد ، ص٣٥ ، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٠م.

(٣٠) المناوى ، محمد الرؤوف ، ت١٠٣١هـ ، فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرحمن السيوطي ، ٣/ ٤٩٣ ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، د ، ت .

الوانها واشكالها وانواعها ومنشئها ، ولبست الحلي المختلفة الصنع والمتنوعة الاستعمال تلبس المرأة بعضها في الرأس وبعضها على غرتها واخرى في أذانها من الاعلى او من الاسفل كالقرط والرعاث وغيرها ، وبعضها في جيدها ونحرها كالقلائد والمخنقة والتقصار[٣١] وانواع اخرى في يدها او معصمها او اصابعها كالأساور والدمالج والمعاضد والخواتم والفتوخ ، وبعضها في ارجلها كالحجول والخلاخيل والخواتم ، هذا الى جانب ما استخدمته المرأة لتجميل عينها وتزينها بانواع الكحل والاثمد والرامك ، وما يطيب رائحتها من انواع العطور والطيوب المختلف شذاها كعطر الخزامى والذريرة والخلوق والزعفران والعنبر والغالية والعود والمسك ... الخ ، وهذا مما حدا بالأدباء والشعراء بالتبارى في التعرض لمختلف هذه الأنواع من الزينة واستلهامها في اشعارهم ، وسوف نرى في ثنايا هذا البحث انواع الزينة ومواد التجميل التي استخدمتها المرأة عند تعرضنا لها خلال الفترة المعنية بالبحث كل في موضعه .

وتشير المصادر التأريخية الى أن الزينة والتبرج عرفت على ما يبدو منذ وقت مبكر من تأريخ البشرية ، وتميزت ببساطتها أول الأمر ، ولم تتعد الملبس وبعض الحلي ويدل على ذلك قوله تعالى : (وقَرنَ في بيوتكنَ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[٣٢]، وحيث كان من معالم تَبرج المرأة

---

[٣١] التقصار ، القلادة ، البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ، ت٥٩٩هـ ، سمط اللآلئ ، صححه عبد العزيز الميمني ، ٢٢١/١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/ ١٠٢ ، مادة قصر.

[٣٢] سورة الاحزاب ، اية ٣٣.

وزينتها ان تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين وقيل انها كانت تلبس الثياب الخفاف التي تصف الجسد.[٣٣]

وبتقادم الزمن وتطور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تطورت الزينة وتخصصت وتعددت انواعها واشكالها والوانها واستخداماتها ، حتى صارت المرأة في العصور المتأخرة مثقلة بأدوات الزينة والتجميل خاصة في مناسبات الأفراح والمسرات .[٣٤]

ومما ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه حبذ التوسط في الملبس وكره ما هو غير معتاد وما يُشهر به لابسه ، سواء كان ذلك في رفعة الملابس ورقيها او العكس ، ويبدو أن المبالغة في التجميل بالملبس والزجر عن تركه يكون على وجهين ، يتعلق الاول بلون الملابس وحسنها

---

[٣٣] ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن علي ، ت٥٩٧هـ ، احكام النساء ، ص٦٧ ، مكتبة التراث العلمي ، القاهرة ، د ، ت ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٢/٢١٢ ، مادة برج .

[٣٤] ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد ، ت٨٠٩هـ ، الانتصار بواسطة عقد الامصار ، قسم ٦٧/١ ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، د ، ت ؛ المقريزي ، احمد بن علي ، ت٨٤٥هـ ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، ٨٧٣/١-٨٧٩ ، دار الامين ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م.

قال (صلى الله عليه وسلم) "اياكم والحمرة أي التزين باللباس الاحمر"[٣٥] ويتعلق بنوع الملابس نفسها.[٣٦]

ومع ذلك فقد استمرت الزينة والتبرج واهتمام المرأة بهما معا وان لم تكن عما كانت عليه قبل ظهور الإسلام ، والمعلومات الواردة في مصادرنا التأريخية والأدبية من شأنها ان تسلط الضوء لتعرفنا على الكثير مما كانت تستعمله المرأة من مواد وأدوات الزينة والتجميل خلال الفترة المعنية ،

وعرفت معظم أسواق بلاد العرب مختلف مستلزمات الزينة والتجميل سواء ما كان يرد اليها من داخل بلاد العرب او من خارجها.[٣٧]

وفطن عرب ما قبل االإسلام الى أهمية الزينة والحلى للمرأة فكان في مكة وقفا لإعارة الحلي والزينة والمستلزمات التي تتطلبها الافراح والاعراس ومن ثم إعادتها بعد انتفاء الحاجة إليها.[٣٨]

والى جانب ذلك فقد ظهر على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من

---

[٣٥] المناوي ، فيض القدير ، ٣/١٢٠.

[٣٦] الباجي ، ابو الوليد سليمان بن خلف ، ت ٤٩٤هـ ، المنتقى شرح موطئ مالك بن انس ، ٧/٢١٨-٢١٩ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١/ ١٣٣٢هـ.

[٣٧] عن هذه الاسواق انظر ، حمور ، عرفان محمد ، اسواق العرب ، ص١٠٩ ، ١١٠ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، دار الشورى ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م.

[٣٨] ارسلان ، شكيب ، ت١٣٦٦هـ ، حاضر العالم الاسلامي ، م٢ ، ج٣/٨ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، د ، ط ، د ، ت.

بين النساء من كانت تعمل (مقينة)[٣٩] تزين النساء وتجملهن في أيام إفراحهنّ، منهن أم غيلان مولاة لقبيلة دوس كانت تمشط العرائس وتزينهن ، ويروى ان ابا ازيهر الدوسي كان قد زوج الوليد بن المغيرة بنتا له إلا انه اخذ مهرها ثم امسكها عنه حتى مات الوليد ، وكان قد وصى بنيه بأن يأخذ ثأره من أبا ازيهر الدوسي فخرجوا ومعهم الشاعر ضرار بن الخطاب بن مرداس القهري الذي لجأ الى ام غيلان المقينة ، فدافعت عنه هي وبناتها ونسوتها ، فقال فيها ضرار[٤٠]

جزى الله عنا غيلان صالحا ونسوتها إذهنَ شعثٌ عواطلُ

فهنّ دفعنَ الموت بعد اقترابه وقد ظهرت للثائريـن مقاتـلُ

ومن المقّينات ايضا ، أم سليم بنت ملحان ، ويروي ابن هشام أنه حينما أعرس الرسول (صلى الله عليه وسلم) على صفية بنت حيي بن اخطب بخيبر كانت التي جملتها ومشطتها وأصلحت أمرها للرسول (صلى الله

---

(٣٩) المقينة ، المزينة ، ابن سيدة ، علي بن اسماعيل النحوي الاندلسي ، ت٤٥٨هـ ، المخصص ، سفر ، ٥٤/٤ ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، د ، ط ، د ، ت.

(٤٠) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري ، ت٢١٨هـ ، السيرة النبوية ، علق عليها وفهرسها عمر عبد السلام تدمري ، ٥٩/٢-٦٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٠م ، الجمحي ، محمد بن سلام (ت٢٣١هـ) ، طبقات فحول الشعراء ، شرحة محمود شاكر ، ص٢٠٩-٢١٠ ، دار المعارف للطباعة والنشر ، مصر ، د ، ت .

عليه وسلم) هي أم سليم بنت ملحان[٤١] ومنهن ايضا ، آمنه بنت عفان بن ابي العاصي ، أخت عثمان بن عفان[٤٢] ومنهن شبرة بنت صفوان القريشة[٤٣]، ومنهن ايضا ، أم رعله القشيرية ، وأم أيمن ويقال إنها زينت عائشة وقينتها.[٤٤]

ومن البديهي ان الزينة استخدمت من قبل العوام والخواص من الناس ومنذ القدم ، وشجعت القبائل العربية فتياتهم على الزينة وتفاخرت بذلك، أنشد أبو عبيد قبيلة تميم بهذا المعنى قوله:[٤٥]

بني تميم زهنعوا فتاتكم   أن فتاة الحي بالتزنتِ

وانطلاقا من مبادئ الاسلام ، فقد حثت السنة النبوية المطهرة على الزينة والطيب ، وورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله : "اياكم والشعث حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونة فليعصرها وليدهن بها" وأكد (صلى الله عليه وسلم) على المرأة بشكل خاص ، وورد عنه قوله

---

[٤١] السيرة النبوية ، ٢٨٩/٣ ، ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ، ت٨٥٢هـ ، الإصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستعاب في أسماء الاصحاب ، ٣٣٨/٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ، ط ، د ، ت . الكتاني ، عبد الحي ، ت ١٣٨٢هـ ، التراتيب الإدارية ، ١١١/٢ ، دار الكتاب العربي بيروت ، د ، ط ، د ، ت.

[٤٢] ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ٢٢٠/٤.

[٤٣] الكتاني ، التراتيب الإدارية ، ٢/ ١١١.

[٤٤] العسقلاني ، الاصابة ، ٤٣١/٤ ، الكتاني ، التراتيب الإدارية ، ١١١/٢.

[٤٥] زهنعوا ، زينوا ، ابن سيدة ، المخصص ، سفر ٥٤/٤.

(صلى الله عليه وسلم) لزوجهِ عائشة : "مالي أراك شعثاء[٤٦] مرهاء[٤٧] سلتاء[٤٨]"[٤٩] وغالبا ما كان الأباء يوصون بناتهم بالمداومة على الزينة والتطيب ، فهذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان من أجواد العرب ، ت٩٠هـ ، يوصي ابنته قائلا : "عليك بالزينة والطيب"[٥٠] وكذلك فعل مثله أسماء بن خارجة الفزاري حين زوج ابنته[٥١] ، وكذا أبو الاسود الدؤلي قال لابنته : (أطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن)[٥٢] ، كما شجع

---

(٤٦) الشعثاء ، التي لا تدهن ، الزبيدي ، تاج العروس ، ٦٢٨/١ ، مادة شعث .

(٤٧) المرهاء ، التي لا تكتحل ، ابن سيدة ، المخصص ، سفر ٥٨/٤ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٤٠/١٣ ، مادة مره .

(٤٨) السلتاء ، التي لا تختضب ، ابن سيدة ، المخصص ، سفر ٥٨/٤ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٥/٢ ، مادة سلت .

(٤٩) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد ، ت٤٣٩هـ ، العقد الفريد ، صححه احمد امين واخرون ، ٢٢٦/٦ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٨م.

(٥٠) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، ت٢٥٥هـ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ٩١/٢ ، نشر مكتبة الخانجي ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٨م .

(٥١) الاصبهاني ، الاغاني ، ١٨/ ٣٠١ ، اسماء بن خارجة الفزاري ، ت٦٦هـ ، انظر ، الذهبي ، محمد بن ابراهيم بن عثمان ، ت٧٤٨هـ ، تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، ص٥٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، حودث سنة ٦١-٨٠.

(٥٢) الاصبهاني ، الاغاني ، ١٨/ ٣٠٩ ، ابو الاسود الدولي اسمه ظالم بن عمر بن علي ، اول من تكلم في النحو ، ت٦٩هـ انظر الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص٢٧٦ ، حودث ٦١-٨٠.

الأزواج نساءهم على استخدام الزينة كما فعل ابراهيم بن علقمة بن قيس النخعي[٥٣] ، وكانت النساء تتزين لأزواجهن منهن أم سليم الرميضاء بنت ملحان بن خالد الأنصارية التي عاشت في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٥٤] وروى المسعودي ان اسماء بنت ابي بكر قد استهوت زوجها الزبير بسبب عطرها وطيبها عندما جلست إلى جانبه بعد السعي بين الصفا والمروة فنهاها عن ذلك[٥٥]، وحثت النساء بعضهن بعضا على الزينة والدهن والطيب كما فعلت عائشة أم المؤمنين مع عائشة بنت طلحة.[٥٦]

ولكلف المرأة وولعها في التزين فقد أتخذت الزينة إحدى الوسائل المهمة لإبعاد المرأة من التدخل في شؤون السياسة والمشاورة في الأمور، ومما يؤيد ما ذكرناه رسالة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان على خلاف مع أم المؤمنين بنت عبد العزيز زوج الخليفة الوليد بن

---

[٥٣] ابو نعيم الاصبهاني ، احمد عبد الله ، ت٤٣٠هـ/ حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، ٢/ ١٠٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٧م .

[٥٤] ابو النعيم الاصبهاني ، حلية الأولياء ، ٢/ ٥٨ ، المناوي ، فيض القدير ، ٣/ ٥٢٠.

[٥٥] ابو الحسن علي ، ت٣٤٦هـ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٣/ ٩٠ ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، د. ط ، د. ت.

[٥٦] المقالي ، ابو الحسن علي بن محمد المعافري ، ت٦٠٥هـ ، الحدائق الغناء في اخبار النساء ، تحقيق عائدة الطيبي ، ص٥٩ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٧٧م.

عبد الملك ، بهذا الصدد قائلا له : "... لا تشغلهن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن في الأمور...".[٥٧]

ومن ابرز أنواع الزينة وأقدمها الطيب ، واشتهرت به أسواق العرب قبل الإسلام ، وأختص بعضها ببيعه[٥٨]، واستخدمت المرأة الطيب واصبح من مستلزمات حسنها وزينتها ، وورد على لسان الكثير من الشعراء القدامى والمخضرمين[٥٩] ، ومن ثم اصبح من متممات المسرات وأساسياتها باستمرار ، وقد ذُكر أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، حين زوج كريمته فاطمة (رضي الله عنها) من ابن عمه علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) جعل ثلثي مهرها في الطيب ، ويذكر ابن سعد أن عليا (كرم الله وجهه) حين تزوج فاطمه (رضي الله عنها) باع بعيرا له بثمانين وأربعمائة درهم ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : "اجعلوا ثلثين في الطيب وثلثا في الثياب"[٦٠].

---

[٥٧] المسعودي ، مروج الذهب ، ١٦٧/٣.

[٥٨] القلقشندي ، احمد بن علي ، ت٨٢١هـ ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١/ ٤١١ ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

[٥٩] أمرئ القيس ، الديوان ، ص٤٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م ، النابغة الذبياني ، ت٦٠٢م ، الديوان ، تحقيق كرم البستاني ص٤٢ ، ٥٠ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٣م ، ابو الفضل ، ربيعة ، حسانّ بن ثابت شاعر الإسلام ، ص٥٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م.

[٦٠] محمد بن سعد بن منيع البصري ، ت٢٣٠هـ ، الطبقات الكبرى ، ٢١/٨ ، دار صادر ، بيروت ، د. ط ، د. ت.

ويبدو ان الطيب لم يكن محرما ، وقد أثر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) إيثار للطيب ورغبته فيه ، وتميزه بين ما يمكن استخدامه من الطيب للرجال والنساء، حيث ورد عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله : "خير طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه".(٦١)

وقد حرصت المرأة العربية من اجل إتمام زينتها، وأظهار مستهلها ومقدمها ، بإنتقاء أبهى العطور ، وأطيبها عبقا ، وأزكاها شذا فكانت النساء تتطيب ، ويحث بعضهن بعضا على الطيب ، كما كان الاباء ينصحون بناتهم ، ويوصوهن بالزينة والطيب .(٦٢)

وجاء في مأثور كلام العرب (خير النساء الخَفِرة العَطِرة المعطرة)(٦٣) ويُعد المسك ، على مايبدو ، من اقدم العطور وأَفضلها وقد ورد ذكره في القرآن، قال تعالى (ختامهُ مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)(٦٤)، وورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : "أطيب الطيب المسك"(٦٥)، واثر الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا اللون من الطيب للنساء فقال: "خذي

---

(٦١) ابن حنبل ، احمد ، ت٢٤١هـ ، مسند احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، ٣/ ٣٢ ، دار الفكر ، مصر ، د. ت.

(٦٢) انظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٩١/٢ ، الاصبهاني ، الاغاني ، ١٨/ ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ١٥/ ١٥٨- ١٥٩ ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢/ ٥٨ ، ١٠٠ ، المناوي ، فيض القدير ، ٥٢٠/٣ ، المالقي ، الحدائق الغناء ، ص٥٩

(٦٣) ابن سيدة المخصص ٥٤/٤ ، ابن منظور لسان العرب ، ٥ /١٨٠.

(٦٤) سورة المطففين ، ايه ٢٦.

(٦٥) احمد ابن حنبل ، مسند احمد وبهامشه منتخب كنز العمال ، ٣٣/٣.

فرضة من المسك وتطييبي بها"[٦٦]، وقال الاعشى الشاعر الذي أدرك الإسلام ، ت٧هـ في المسك :[٦٧]

إذا تقومَ يضوعَ المسكُ أصورةً   والزنبقُ الوردُ من أردانها شمل

ولم تقتصر المرأة في استخدام المسك في تطييب ثيابها بل وتعطير ذوائبها، وفي هذا قال الشاعر المخضرم ، سويد ابن ابي كاهل ، ت٦٠هـ : [٦٨]

وقرونا سابغا اطرافها   غللتها ريح مسكٍ ذي فنع

وفي العصر الأموي حيث شهدت الحياة الاجتماعية بكل مناحيها تحولا ملحوظا شمل مرافق الحياة كلها واحتلت المراة في هذا العصر مكانة مرموقة لم تصل إليها من قبل من التحضر ، والحرص في الاهتمام بمظهرها وزينتها وطيبها ، بالغت في استخدام المسك ، وفي هذا يقول الشاعر المرار بن المنقذ العدوى ، ت١١٠هـ :[٦٩]

وهي لو يُعصر من أردنها   عبقِ المسكِ لكادت تنعصر

---

(٦٦) المناوي ، فيض القدير ، ٤٣٦/٣ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٨٧/١٠ ، مادة مسك .

(٦٧) ميمون بن قيس ، ت٧هـ ، ديوان الاعشى ، شرح يوسف شكري فرحات ، ص٢١٨ ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م.

(٦٨) التبريزي ، ابو زكريا يحيى بن علي ، ت٥٠٢هـ ، شرح المفضليات ، تحقيق محمد علي البجاوي ، قسم ٧٠٣/٢ ، دار نهضة مصر للطباعة ، د.ت ، فروخ ، عمر ، تاريخ الادب العربي ، ٣٣٨/١-٣٣٩ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٥م .

(٦٩) فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ١/ ٥٩٩.

والى جانب عطر المسك ، فقد كان هناك ضروب أخرى من الطيب التي استخدمتها المرأة منها ، القطر[٧٠] ، وفي هذا قال الشاعر عمر بن ابي ربيعة .[٧١]

لم يرُعنى بعد أخذي هجعة   غير ريحُ المسكِ منها والقطر

ومن انواع الطيب الأخرى ، العبير[٧٢] ، وفيه يقول الشاعر الاعشى ، ت٧هـ :[٧٣]

ومثلك مُعجبة بالشباب   صاك العبير بأجسادها

واستخدمت المرأة من الطيب ايضاً ، ما يعرف بـ الزباد[٧٤]، واورد ابن الجوزي ان ام حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، زوج الرسول (صلى الله

---

[٧٠] القطر : العود الذي يتبخر به ، ابن الاجدابي ، ابو اسحق ابراهيم بن اسماعيل ، ت٤٧٠هـ ، كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ ، تحقيق عبد الرزاق الهلالي ، ص١٢٥ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٧ ، ١٩٨٦م ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠٧/٥ ، مادة قطر.

[٧١] شرح الديوان ، ص ١٤٨ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الاندلس ، بيروت ، د. ت.

[٧٢] العبير هو اخلاط مجموعة من الطيب ، ابن الاجدابي ، كفاية المتحفظ ، ص١٢٤.

[٧٣] ديوان الاعشى ، ص٨٨ .

[٧٤] الزباد ، نوع من الطيب تخرج من حلمة دابة تجلب من الهند ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٩٣/٣ ، مادة زبد .

عليه وسلم) كانت تستخدم هذا اللون من الطيب ، ولم ينكره الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليها.[٧٥]

ومن ضروب الطيب الاخرى التي عرفتها المرأة ما يعرف بـ الذريرة[٧٦]، وفيه يقول الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات ، ت٧٥هـ :[٧٧]

فوق الجلودِ يفوحُ في   اردانها عبقُ الذريرةِ

ومن الانواع الاخرى ايضا طيب العنبر[٧٨]، والزنجبيل [٧٩]، والرند[٨٠]، وقد جمعهت الشاعر عمر بن ابي ربيعة بقوله :[٨١]

والعنبرُ الاكلفُ المسحوق خالطهُ   والزنجبيل ورندٌ هاجهُ السحرُ

---

(٧٥) ابو الفرج ، عبد الرحمن بن علي ، ت٥٩٧هـ ، صفوة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواسي قلعجي ، ٤٥/٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥م.

(٧٦) الذريرة ، نوع من الطيب يجلب من الهند ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٠٣/٤.

(٧٧) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق محمد يوسف نجم ، ص٤٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨م.

(٧٨) العنبر ، ضرب من الطيب وقيل هو شمع عسل ببلاد الهند كما يوجد في سواحل عدن ، ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي ، صورة الارض ، ص٣٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت ، الزبيدي ، تاج العروس ، ٤٢٦/٣.

(٧٩) الزنجبيل ، نوع من الطيب في عمان والصين ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣١٢/١١ ، مادة زنجبيل .

(٨٠) الرند ، هو الاس ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٨٦/٣ ، مادة الرند.

(٨١) شرح الديوان ، ص١٢٣.

وقال في ذلك ايضا الشاعر ابو الذيال الذي أدرك الإسلام [82]:

والمسك والزنجبيل عُلّ به　　　　أنيابها بعد غفلةِ الرصدِ

وكذلك استخدمت المرأة عطر ، الخزامى[83]، قال فيه الشاعر الإسلامي مالك بن الريب التميمي ، ت ٥٦هـ ،[84]

وعينٌ وقد كان الظلامِ يُجنها　　　　يُسفَن الخزامى نورها والأقاحيا

وكان الند[85] من انواع الطيب المعروفة آنذاك ايضا ، قال فيه عبد الرحمن بن حسان وهو يشبب ببنت معاوية بن ابي سفيان :[86]

تجعلُ المسك واليلنجوج والند　　　　صلاء لها على الكانون

ومن انواع الطيب الاخرى التي عرفت خلال تلك الفترة ايضا ، القرنفل[87]، واليلنجوج [88]، وورد ذلك في شعر عمر بن ابي ربيعة بقوله[89]:

---

[82] الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ص٢٤٦.

[83] الخزامي ، نوع من الطيب ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٧٦/١٢.

[84] ابو زيد القرشي ، محمد بن ابي الخطاب ، ت ، حدود ١٧٠هـ ، جمهرة اشعار العرب ، شرحها عمر فاروق الطباع ، ص٢٢٨ ، دار الارقم ، بيروت ، ١٩٩٥م ، فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ٣٩٣/١.

[85] الند ، نوع الطيب ، الزبيدي ، تاج العروس ، ٥١٢/٢.

[86] المبرد ، محمد بن يزيد ، ت٢٨٥هـ الكامل ، علق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم ، ٢٩٧/١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د. ط ، د. ت.

[87] القرنفل ، نوع من الطيب ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٥٦/١١ ، مادة قرمل .

[88] اليلنجوج ، عود البخور وهو نوع من الطيب ، ابن الاجدابي ، كفاية المتحفظ ، ص١٢٥.

[89] شرح الديوان ، ص١٧٣.

يفوح القرنفل من جيبها وريحُ اليلنجوج والعنبرُ

كما كان طيب ، الغالية ، معروفا ايضا ومنذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٩٠]، وذكر الاصبهاني ان الشاعر عمر بن ابي ربيعة كان يرامي جارية له ببنادق الغالية .[٩١]

ومن انواع الطيب الاخرى ما يعرف بـ (الخلوق) ، وورد عن أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي ، زوجة خالد بن سعيد بن العاص ، الذي استشهد في وقعة "مرج الصفر سنة ١٤هـ" ، كانت ممن تتطيب بالخلوق[٩٢]، كما ان إحدى صويحبات عمر بن ابي ربيعة ، واسمها نُعْم ، استقبلته مرة في المسجد الحرام ، ومسحت ثوبه بالخلوق وذهبت[٩٣] ، وذكر عمر بن ابي ربيعة ذلك في شعره حين قال[٩٤]

أدخل الله رب موسى وعيسى جنة الخلد من ملاني خلوقا

ومما استخدمته المرأة من الطيب ايضا ، السك ، ورد عن عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وسلم) قولها : "كنا نضمد جباهنا بالسك المطيب عند الإحرام".[٩٥]

---

(٩٠) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣٤/١٥ ، مادة غلا .

(٩١) الاغاني ، ١٤١/١٥.

(٩٢) البلاذري ، احمد بن يحيى ، ت ٢٧٩هـ ، فتوح البلدان ، تحقق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، ص١٦٤ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، د.ط ، ١٩٨٧م .

(٩٣) الاصبهاني ، الاغاني ، ٦٤/٤ .

(٩٤) شرح الديوان ، ٤٥٠ ، الاصبهاني ، الاغاني ، ٦٤/٤ .

(٩٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٤٢/١٠ ، مادة سُكك .

كما أستخدمت المرأة خلال تلك الفترة انواع اخرى من الطيب منها ، الجل ، والياسمين ، والريحان ، والزنبق ، ووردت على لسان الشعراء(٩٦)، ولكثرت استخدام المرأة للطيب، فقد نعتها الشعراء بـ المعطار قال عمر بن ابي ربيعة.(٩٧)

هل في هوى رَجُلِ جناحٌ زائرٌ   جهرا احب خريدةً معطارا

ومن الجدير بالذكر ان الطيب كان من ضمن الهدايا التي كانت تقدم للخلفاء ، ويشير الاصبهاني الى ان عروة بن محمد السعدي بعث الى الخليفة سليمان بن عبد الملك بهدايا كان من جملتها الطيب فلما وصل وجده قد قضى نحبهُ ، فأعطيت الى خلفه عمر بن عبد العزيز(٩٨)، كما كان من الهدايا التي يتبادلها العامة فيما بينهم رجال ونساء ، وكان عمر بن ابي ربيعة يهدي انواع الطيب الى من يحب من النساء .(٩٩)

ولا يفوتنا ان نذكر نظرا لاهمية العطر في حياة المرأة العربية انذاك وجدنا عددا من النساء ممن كنَ يمتهنَ العطارة خلال تلك الفترة منهن اسماء بنت مخرمة التي اسلمت زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكان ابنها عبد

---

(٩٦) الاعشى ، ديوان الاعشى ، ص٢١٨ ، عمر بن ابي ربيعة ، شرح الديوان ، ص٥٠٣ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١/١٢١ ، مادة جلل .

(٩٧) شرح الديوان ، ص١٤٤ ، وانظر ايضا ص١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٣.

(٩٨) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥/ ٣٢٦.

(٩٩) الاصبهاني ، الاغاني ، ١/١٢٥ ، ٨/١١٢.

الله بن ابي ربيعة يبعث لها العطر من اليمن وتبيعه في المدينة[١٠٠]، والعطّارة حولاء بنت ثويب[١٠١] والعطّارة مليكة والدة السائب بن الاقرع ، وكانتا زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .[١٠٢]

ونال الخضاب اهتمام المرأة ، وكان على ألوان عدة منه الاحمر والاسود، ويستخدم لتغيير شعر الرأس والحواجب والاطراف ايضا ، وقبيل الاسلام حيث رواج سوق النخاسة ان النخاسون يوصون الجواري- عند البيع - بالتبرج للمشتري فكنّ يُخضبن حواجبهن بالرامك[١٠٣]، فيخضبنها بالخضاب الاحمر اذاكانت الجارية بيضاء ، والخضاب الأسود اذا كانت الجارية سوداء[١٠٤] . ولم يحرم الاسلام الخضاب وقد كره الرسول (صلى الله

---

(١٠٠) ابن سعد ، الطبقات ، ٨/٣٠٠ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ومعه الاستيعاب ، ٤/٢٢٦ ، الكتاني ، التراتيب الادارية ، ٢/٤٠.

(١٠١) ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ومعه الاستيعاب ، ٤/٢٧٠ ، الكتاني ، التراتيب الادارية ، ٢/٤٠.

(١٠٢) ابن حجر العسقلاني الاصابة ومعه الاستيعاب ، ٤/ ٣٩٧ ، الكتاني ، التراتيب الادارية ، ٢/٤٠.

(١٠٣) الرامك ، هو مادة سوداء كالقار تخلط مع المسك والطيب ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠/٤٣٤ ، مادة رمك ، الزبيدي ، تاج العروس ٧/١٣٧.

(١٠٤) متز ، ادم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعريب محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ١/٣٠٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ ، د. ت.

عليه وسلم) أن ترى المرأة ليس في يديها حناء أو اثر خضاب[١٠٥] ، وورد عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله لزوجه عائشة "مالي أراك سلتاء[١٠٦]"[١٠٧] وكان يقول (صلى الله عليه وسلم)"لا تدع المرأة الخضاب"[١٠٨] ولكثرة استخدام المرأة للخضاب تغنى به الشعراء قال ابي خراش الهذلي في غزوة أحد عن امرأته .[١٠٩]

أقر العين أن عُصبت يداها   وما ان تُعصبان على خضاب

ويصنع الخضاب من نبات الكتم وهو نبات خاص فيه حمرة يخلط مع الوسمة ليجعل لون الشعر اسودا ، وفي حديث فاطمة بنت المنذر مع أسماء في الاحرام كانت تدهن بالمكتومة [١١٠] كما اتخذت المرأة لصبغ وجهها ما يعرف بـ "الغمرة" وهي الزعفران ، وقيل هي الكركم وقيل الجص تطلى به المرأة وجهها ليصفو لونه[١١١] ويقال هو الورس ، وهو نبات اصفر تتخذ منه الغمرة لصبغ الوجه ، واستخدمته المرأة لتغير لون الشعر قال ابن هرمة الشاعر الأموي :[١١٢]

---

[١٠٥] احمد بن حنبل ، مسند احمد وبهامشه منتخب كنز العمال ، ٣/ ٨٠ .

[١٠٦] سلتاء ، المرأة التي لا تغتضب ، ابن سيدة ، المخصص سفر ٤/ ٥٨.

[١٠٧] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٦/ ٢٢٦.

[١٠٨] احمد بن حنبل ، مسند احمد وبهامشه كنز العمال ، ٣/٣٥.

[١٠٩] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣/ ٤٢.

[١١٠] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/ ٥٠٨ . مادة كتم .

[١١١] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/ ٣٢ مادة غمر .

[١١٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ٦/٢٥٤ ، مادة ورس .

كأنما خضبت بحمض مورس آباطها من ذي قرون ايايل

واستخدمت المرأة الغمرة لصبغ أعضاء جسمها ، ويروي البلاذري انه في سنة (٣١هـ) دعت أم حبيبة بنت أبي سفيان بصفرة ومسحت بها ذراعيها وعارضتها بعد ثلاثة أيام فقط من وفاة أبيها وقيل من وفاة اخيها يزيد[١١٣]، وكانت بعض النساء تصبغ ترائبهن بالزعفران للزينة ، وقال عمر بن ابي ربيعة في ذلك :[١١٤]

والزعفران على ترائبها شرق به اللبات والنحرُ

ولاسهاب المرأة في استخدام الخضاب ، فقد ورد ذلك على لسان الكثير من شعراء تلك الفترة[١١٥] . وبهذا يكون الشعراء قد خلدوا استخدام مثل هذه الأدوات التي كانت النساء تزين بها .

كما اهتمت المرأة بزينة وجهها ، وخصته بذلك باعتباره أهم معالمها البارزة ، وسعت الى ذلك بشتى الوسائل والامكانات المتاحة آنذاك فاستخدمت ما يعرف بـ (التنمص) لتخليصه مما يعلق به من الشعر [١١٦]

---

[١١٣] فتوح البلدان ، ١٨٤-١٨٥.

[١١٤] شرح الديوان ، ص١٤١ ، الزبيدي ، تاج العروس ، ٢/ ١٥٨.

[١١٥] الاعشى ، ديوان الاعشى ، ص١٢ ، عمر ابي ربيعة ، شرح الديوان ، ص٢٤٦ ، ٢٦٥ ، ٢٩٣ ، ٣٨٣ ، ٤٢٧ ، ٤٨٨ ، الاصبهاني ، الاغاني ، ٦/٨٤ .

[١١٦] ابن منظور ، لسان العرب ، ٧ / ١٠١- ١٠٢ ، مادة نمص .

كما عمدت الى "تزجيج"[١١٧] حواجبها قال الشاعر الأموي الراعي النمري واصفا ذلك :[١١٨]

إذا ما الغانيات برزنَ يوما　　　وزججنَ الحواجب والعيونا

وقال ايضا :

وهزة نسوةٍ في حي صدقٍ　　　يزججن الحواجب والعيونا

ويروي ابن عبد ربه ان رجلا تحدث الى الخليفة سليمان بن عبد الملك عن جارية شاهدها عند باب سعيد بن عبد الملك ، وقد وصف حاجبها بقوله : "لها حاجبان قد قوسا على محجر عينيها"[١١٩] وصور الشاعر جميل بثينة حاجب صاحبته بقوله :[١٢٠]

فقالت ثم زجت حاجبيها　　　أطلتَ وليسَ في شيء تطيلُ

وإضافة الى ذلك فقد كانت بعض النساء يخططنَ حواجبهنَ لتكون بالشكل الذي يرغبنَ فيه ، وأشار حسان بن ثابت في عمرة بنت علقمة الحارثية واصفا شجاعتها ومتعرضا لحواجبها المَعلَمةِ بقوله :[١٢١]

---

[١١٧] الزجج ، وهو حذف زوائد الشعر من الحواجب وتدقيقهما ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٨٧/٢ ، مادة زجج .

[١١٨] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٨٧/٢ ، مادة زجج .

[١١٩] العقد الفريد ، ٦٧/٦.

[١٢٠] القالي ، ابو علي ، ت٣٥٦ ، الامالي ، ٨٣/٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ، ط ، د . ت.

[١٢١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤٤/٣.

أذا عَضَلَ سيقت الينا كأنها جداية شِرِكَ مُعلَمات الحواجبِ

وقد وصف الشاعر الاموي عمر بن ابي ربيعة ذلك فقال:[122]

وجبين وحاجبٌ لم يُصبهُ نتفِ خطٍ كأنهُ خط نونِ

وقد بالغت المرأة في زينة وجهها فاستخدمت ما يعرف "بالعلطة أو اللعَطة" وهي عبارة عن خط اسود بصفرة ، وقيل هي نقط سوداء تضعها المراة على خدها تتزين بها[123]، وما يتصل بذلك فقد ظهر في العصر الأموي ما يعرف بـ "شجة عبد الحميد" نسبة ألى عبد الحميد بن عبد الله الذي كان اجمل شباب عصره ألا ان شجة أصابته في جبهته ولم يشنهُ الناس عليها ، بل استحسنوها واقبلت النساء على تقليدها ، وهي ان يخططن وجوههن بما يشبه الغطاء الذي كان يضعه عبد الحميد على شجته[124]، وبذلك فقد سبقت المرأة العربية قرينتها في بعض مظاهر التزيين في العصر الحديث وان اختلفت الطرائق والوسائل نتيجة للتطور العلمي والتقني.

واعتادت المرأة ، ومنذ القدم ، أن تزين عينها بالكحل ، والكحل انواع أفضله ما يعرف بالأثمد [125] ، وورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم):

---

(١٢٢) شرح الديوان ، ٢٩٦.

(١٢٣) ابن سيدة ، المخصص سفر ٥٧/٤ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٧/ ٣٥٥ ، ٣٩١ ، مادة علط .

(١٢٤) الثعالبي ، عبد الملك بن محمد ، ت٤٢٩هـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ص٩٥ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥م .

(١٢٥) الاثمد ، حجر يتخذ منه الكحل وقيل هو نوع من الكحل ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠٥/٣ ، مادة ثمد .

"خيرا كحالكم الاثمد"، وقال ايضا "عليكم بالأثمد"[١٢٦]. ولم يحرم الإسلام الكحل ، وفي حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) لزوجه عائشة : "مالي اراك مر هاء"[١٢٧]. وغالبا ماكان الأباء يوصون بناتهم بزينة الكحل ، وورد عن اسماء بن خارجة الفزاري ، ت٦٦هـ قوله لابنته : "عليك بأحسن الحسن الكحل"[١٢٨] وقال ابو الاسود الدؤلي ، ت٦٩هـ لابنته : "أحلى الحلاوة الكحل"[١٢٩] وفي وصية عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ت ٩٠هـ ، لابنته : "وعليك بالزينة وان ازين الزينة الكحل"[١٣٠]، وقد تفننت بعض النساء باستخدام الكحل الاثمد ، حيث خطت بعضهن جفون عينها، كما كانت تفعل زينب صاحبة الشاعر حجية بن المضرب الكندي الذي أدرك الإسلام وقال فيها[١٣١]

وخطت بفردي إثمد جَفنَ عينها　　　لتقتُلني وشَدَ ما حُبُ زَينَب

---

[١٢٦] النسائي ، ابو عبد الرحمن بن شعيب ، ت٣٠٣هـ ، سنن النسائي ، المجتبى ومعه زهر الربى ، ١٢٩/٧ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط١ ، ١٩٦٤م ، الهيثمي ، علي بن ابي بكر ، ت٨٠٧هـ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحرير العراقي وابن حجر ، ٩٦/٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٧ ، المناوي ، فيض القدير ، ٤٨٥/٣.

[١٢٧] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٦/٦.

[١٢٨] الاصبهاني ، الاغاني ، ٣٠١/١٨.

[١٢٩] الاصبهاني ، الاغاني ، ٣٠٩/١٨.

[١٣٠] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٩١/٣-٩٢.

[١٣١] الاصبهاني ، الاغاني ، ٢١/٢١ ، الزركلي ، الاعلام ، ١٧٠/٢.

وحرصت المرأة على المداومة والتبكير في زينة الاكتحال ولم تتركه يوما على ما يبدو ، ويعزز ذلك قول الشاعر ثور بن عبد الله- الذي أدرك الإسلام- لزوجته يوما(١٣٢)

إذا أنتَ باكرت المنيئة باكرت   مداكا لها من زعفران واثمد

وتتركه بعضهن لفترة معينة ، في ظروف الأحزان ، والمصائب ففي حديث زينب بنت ام سلمة أن النساء زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتركن الاكتحال بعد وفاة أزواجهن حداداً عليهم(١٣٣)، وتحرم بعض النساء الكحل خلال الحوادث الجلل ، ورد على لسان بثينة أنها حرمت على نفسها الاكتحال حين وردها نبأ وفاة صاحبها جميل(١٣٤) هذا وقد ورد الكحل على لسان العديد من شعراء العصر الاموي(١٣٥)

---

(١٣٢) ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ، ت٦٢٦هـ ، معجم الادباء ، تحقيق إحسان عباس ، ٣/١٢٢٢-١٢٢٥ ، دار الغرب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، والمنيئة ، دباغة الجلود ، والمداك ، الحجر يسحق عليه الطيب ، المبرد ، الكامل ، ٢/٢٣٣ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١/١٦١ ، ١٠/٤٢٦.

(١٣٣) العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ١٢/ ٢٦٤ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط الاخيرة ، ١٩٥٩م.

(١٣٤) الاصبهاني ، الاغاني ، ٧/٢٦٠.

(١٣٥) عمر بن ابي ربيعة ، شرح الديوان ، ٣١٠ ، ٢٣٤ ، ٤٧٦ ، ٤٨٨ ، ٤٩١ ، ابو زيد القرشي ، جمهرة اشعار العرب ، ص١٨٨ ، الاصبهاني ، الاغاني ، ١/٦٩ ، ٢/٢٢.

ومن وسائل زينة الجسم "الوشم" وهو العلامات او الخطوط في الذراعين[١٣٦] تجعلها المرأة على ذراعيها باستخدام الإبرة ثم تحشوه بالنوؤر[١٣٧] ، او تحشوه بالكحل او النيل فيزرق لونه او يخضر[١٣٨]، وذكر النابغة الذبياني ، ت٦٠٢هـ ، الوشم على القوام بقوله :[١٣٩]

سراتهُ ما خلا لبانهُ لهقٍ   وفي القوائم مثل الوشم بالقارِ

ووصف الشاعر الاعشى الذي أدرك الإسلام نقش الوشم على الذراع بقوله :[١٤٠]

ترد معطوف الضجيع على   غيل كأن الوشم فيه خللُ

كما عرفت المرأة الوشم على الكف ايضا ، يوضح ذلك الشاعر الاموي عمر بن ابي ربيعة حين قال :[١٤١]

تلوح على طول الزمان عراصها   كما لاح في كف الفتاة وشومها.

كما عرفت المرأة الوشم على الخد والشفاة ايضا، وللاعشى ما يعزز ذلك بقوله :[١٤٢]

---

(١٣٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/ ٦٣٨ ، مادة وشم .

(١٣٧) النؤور ، دخان الشحم ، ابن سيدة ، المخصص ، سفر ٤/٥٧ .

(١٣٨) الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٩٤.

(١٣٩) ابو زيد القرشي ، جمهرة اشعار العرب ، ص٩٨.

(١٤٠) ديوان الاعشى ، ص٢٥٩.

(١٤١) شرح الديوان ، ص٣٢٠ ، ٢٥٨

(١٤٢) البكري ، سمط اللالى ، ١٧٦/١.

وتفترِ عن مشرقٍ باردٍ كنؤور الاقاحي أسف النؤورا

وترد المصادر التاريخية انه في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي ه عنه) كانت اسماء بنت عميس موشومة اليد أي منقوشة بالحناء[143]، ره الإسلام عادة الوشم لدى المرأة ، وحذر الخليفة عمر بن الخطاب من ارستها . وجاء في صحيح البخاري انه اتى اليه بأمرأة كانت تشم فاستفتي ها ، ويبدو ان ذلك نتيجة لما ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه: ن الواشمات والمستوشمات" .[144]

ومع ذلك فقد استمرت النساء يتزين بالوشم، وتعرض الشعراء لهذه ظاهرة، قال عمر ابن ابي ربيعة[145]

أوقفت من طلل على رسم بلوى العقيق يلوح كالوشم

واهتمت المرأة العربية المسلمة باسنانها، وعمدت الى نظافتها وجلرها ، ير المصادر التاريخية الى ان تنظيف الاسنان كان يتم بالأشنان والسكر ديق الصيني أو الفحم المدقوق[146] ، وحينما جاء الإسلام و انطلاقا من النظافة من الايمان رغب في السواك ، وورد عن الرسول (صلى الله

ابن منظور ، لسان العرب ، ٦٣٨/١٢ ، مادة وشم .

ابو عبد الله ، ت٢٥٦هـ ، صحيح البخاري بشرح الكرماني ، ١٣١/٢١-١٣٢ ، المطبعة البهية ، مصر ، ١٩٣٧م.

شرح الديوان ، ٢٠٨.

متز ، الحضارة الاسلامية ، ٣٠٢/١.

عليه وسلم) أن "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" وغيره من الاحاديث[147]، فكانت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول تديم السواك[148] ، وكانت هند بنت اسماء ، زوج الحجاج ، ممن تديم السواك حتى تغزل بها الشاعر جرير بن الخطفي فأراد الحجاج قتله[149] ، وقد أتخذت المساويك من الاشجار الطيبة الرائحة منها الأراك[150] ، ويقال له المرد قال الاعشى [151] :

وجيد إدماء لم تُذعر فرائصها ترعى الأراك تعاطي المرْد والوَرقا

كما أتخذت المساويك من شجر الاسحل ايضا ، قال عمر بن ابي ربيعة في ذلك[152]

اذا هي لم تستك بعود اراكة تُنخل ما ستاكت به عود اسحل

---

(147) احمد بن حنبل ، مسند احمد بهامش منتخب كنز العمال ، ٣/٤٣٤ ، مالك بن انس ، الموطأ ، صححه واخرج احاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، ١/٦٦ ، دار احياء الكتب العربي ، مصر ، ١٩٥١م . ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد ، ت٢٧٥هـ ، سنن ابن ماجة . حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، ١/١٠٥ ، ١/١٠٦ ، ٢٤٩ ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، د.ت.

(148) ابن سعد ، الطبقات ، ٨/١٣٩.

(149) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣/١٦٠.

(150) الأراك ، شجر طيب الرائحة تعمل منه المساويك ، ابن الاجدابي ، كفاية المتحفظ ، ص١٠١.

(151) ديوان الاعشى ، ص١٨٩ ، وانظر ايضا ، ص٢٠.

(152) شرح الديوان ، ص٤٩٨.

كما استخدمت مساويك شجر البشام ، قال الشاعر عامر بن الطفيل ، ت١٠هـ(١٥٣)

ليالي تستبيك بذي غروب ومُقلة جؤذرٍ يرعى بشاما

ويعد الشعر ولا يزال تاج المرأة ، ومن مظاهر حسنها وجمالها ، لذا فقد تفننت المرأة العربية ومنذ القدم بتنظيمه وتسريحه رَجلا مسدولا مزينا ظهرها احيانا ، او قرونا تنحدر على متنيها ، وتجعده احيانا ، وتطييبه بشتى أنواع الطيب وتزينه بالورس والزعفران ، واتخذت بعضهن الأكاليل والتيجان من الحلي الثمينة ، وابتكرت بعضهن في تصفيفه ما يصطلح عليه في العصر الحديث – بالتسريحات – واقترنت بعض تلك التصفيفات بأسمائهن كالنوفلية والكعكبية الى جانب اللمة والوفرة والجمة ، ولذا فقد جمعن بين القديم والحديث في هذا المجال .

ولقد اتسمت المرأة العربية بطول شعرها الأسود الفاحم الذي طالما زين ظهرها بذوائبه الجعدة كعنا قيد الكرم قال عمر بن ابي ربيعة : (١٥٤)

وبوحف مائل رَجِلٍ كعناقيد من الكرمِ

كما ارتعت المرأة بالغدائر او القرون ، قال الاعشى(١٥٥) : وغدائر سود على كفل تزينه الوثارة واتخذت بعضهن الحلي الثمينة لتلك الغدائر قال عمر بن ابي ربيعة :(١٥٦)

---

(١٥٣) ديوان عامر بن الطفيل ، ص١٠٦ ، دار لبنان للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٢م.

(١٥٤) شرح الديوان ، ص٢٥٨.

(١٥٥) ديوان الاعشى ، ص١١٦.

(١٥٦) شرح الديوان ، ص١٤١.

وبدائد المرجان في قرن والدر والياقوت والشذر

ولكي تخفي المرأة معايب شعرها كقلته او خفته فقد كانت تضع على رأسها شيئا من الصوف ثم تختمر عليه ليبدو اكثر كثافة وجمالا ويسمى ذلك بـ "النوفلية" وربما لتوهم به من يراها من الرجال ، يعزز ذلك قول الشاعر جران العود الذي أدرك الأسلام :(١٥٧)

الا لا يغرن أمرأ نوفلة على الرأس بعدي والترائب وضح

ومن التصفيفات الأخرى ما يعرف بالكعكبية ، وهي النونة من الشعر وسؤداها ان تجعل المرأة شعرها أربع ضفائر وتداخل بعضها ببعض قال أحد شعراء العصر الأموي (١٥٨) :

وتصبح تذرى الكعكبية وينتف من لينك ماكان أزغبا

كما عرفت المرأة "اللمة" (١٥٩) وذكر الاصبهاني انه عند وفاة خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة ألا وضعت لمتها على قبره (١٦٠) كما كانت تضع الجارية الطرة ، وهي ان تقطع لها في مقدمة ناصيتها شعرا من جملة شعرها وتتخذ أحيانا من الزامك (١٦١) أو من الحلل

---

(١٥٧) ابن سيدة ، المخصص ، ٤/٥٩ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/٦٧٣ ، مادة نفل ، الزركلي ، الاعلام ، ٣/٢٠٠ ، عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ١/١٩١.

(١٥٨) الزبيدي ، تاج العروس ، ١/٤٥٧ ، الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ١/١٢٩.

(١٥٩) اللمة ، شعر الراس اذا جاوز شحمة الاذن ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/٥٥١ ، مادة لمم .

(١٦٠) الاغاني ، ١٥/٢٦.

(١٦١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤/٥٠٠ ، مادة طرر .

السيراء[١٦٢]، وفي الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما أهدى اليه اكيدر دومة الجندل حلة سيراء أعطاها الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لتتخذها النساء طررا لهن [١٦٣]

ولتشبه بعض النساء بالرجال ، فقد أتخذت بعضهن الجمة [١٦٤] ، وورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه لعن النساء المجممات لتشبههن بالرجال [١٦٥] ، كما عرفت النساء الوفرة ، وهي مجتمع الشعر على الرأس [١٦٦] ، ويروى أن أزواج الرسول (صلى الله عليه وسلم) كن يأخذن من شعورهن حتى يدعنه كهيئة الوفرة .[١٦٧]

واستخدمت المرأة لترجيل شعرها وتمريحه ، المخيط ، وهو نوع من الامشاط . أورد الاصبهاني ان بثينة صاحبة جميل كانت ممن تستخدمه [١٦٨] ، ولتزين المرأة شعرها ، فقد أتخذت بعضهن عصائب الورس والزعفران ، وفي رواية عن أميمة بنت رقيعة أن أزواج النبي (صلى الله عليه

---

(١٦٢) السيراء : ضرب من الوشي ، ابن الاجدابي ، كفاية المتحفظ ، ص ١٢.

(١٦٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤/٥٠٠ ، مادة طرر .

(١٦٤) الجمة : من شعر الرأس ما سقط على المنكبين ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/١٠٧ ، مادة جمم .

(١٦٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/١٠٧ ، مادة الجمم .

(١٦٦) الزبيدي ، تاج العروس ، ٣/٦٠٥.

(١٦٧) احمد بن حنبل ، مسند احمد بهامش منتخب كنز العمال ، ٣/٣٥.

(١٦٨) الاغاني ، ٧/٢٦٠.

وسلم) كن بعصبن أسافل شعورهن بالورس والزعفران[١٦٩] ، كما كانت النساء تزين شعورهن ، بـ الأكليل ، وهو التاج مزين بالجوهر ، قال حسان بن ثابت [١٧٠] :-

قد دنا الفصح فالولائد ينظمن   سراعا "أكلة" المرجان

ويبدو ان بعض هذه الأكاليل كانت ذات ألوان مختلفة فقد وصف عمر بن ابي ربيعة اكليل صاحبته :[١٧١]

اكليلها ألوان   ووجهها فتان

هذا الى جانب استخدام المرأة الطيب لتزيين شعرها ، قال الشاعر الاموي سويد بن ابي كاهل[١٧٢]

وقرونا سابغا اطرافها   غللتها ريح مسك ذي فنع

كما استخدمت المرأة لشعرها ، الادهان المعروفة انذاك ، ويعد الدهن من انواع الزينة التي كانت معروفة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، مثل دهن أنبان ، ودهن البنفسج ، وقد أثر عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله : سيد الدهان البنفسج[١٧٣] وأوصى بعض الأباء بناتهم

---

(١٦٩) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٣/٢١٩.

(١٧٠) ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/٥٩٥-٥٩٦ ، مادة كلل .

(١٧١) الاصبهاني ، الاغاني ، ٦/١٣٢.

(١٧٢) فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ١/٣٣٩.

(١٧٣) احمد بن حنبل ، مسند احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال ، ٣/٢٦ ، المناوي ، فيض القدير ، ٤/١١٩.

باستخدام الدهن [١٧٤] ، وقد وصف الشاعر جران العود – يقال انه أدرك أوائل القرن السابع الميلادي – دهان شعر المرأة وزهائه فقال : [١٧٥]

ولا فاحم يسقى الدهان كأنه   أساود يزهاها مع الليل ابطحُ

وتحرم بعض النساء استخدام الدهن عند الشدائد والأحزان ، فقد حرمت بثينة صاحبة جميل دهن شعرها حين وردها نبأ وفاته [١٧٦].

وقد بالغت بعض النساء بأستخدامهن الشعور المستعارة ، وقد كره الاسلام ذلك ، وورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله "ايما امرأة زادت في راسها شعر ليس منه فأنه زور ، تزيد فيه" [١٧٧] وفي الحديث عن أسماء ان امرأة سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت : "يا رسول ان ابنتي اصابتها الحصبة فأمرق شعرها وأني زوجها ، أفأصل فيه ..." [١٧٨] فمنعها الرسول من ذلك ، ورخص في القرامل ، وهي ضفائر الصوف أو البريسم أو الشعر تصل به المرأة شعرها . [١٧٩]

---

(١٧٤) الاصبهاني ، الاغاني ، ١٨/٢٠٩.

(١٧٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/٦٧٣ ؛ مادة نقل ، الزبيدي ، تاج العروس ، ٨/١٤٣ ، فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ١/ ١٩١.

(١٧٦) الاصبهاني ، الاغاني ، ٧/٢٦٠.

(١٧٧) النسائي ، سنن النسائي ومعه زهر الربى ، ٢/١٢٤.

(١٧٨) البخاري ، صحيح البخاري بشرح الكرماني ، ٢١/١٣٠.

(١٧٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/٥٥٦ ؛ مادة قرمل

ومع كل ذلك فقد استخدمت النساء الشعور المستعارة ، فقد اورد الاصبهاني ان المغنية ، جميلة ، وضعت الوفرة على رأسها[١٨٠] واكتشف في خربة المفجر ، قصر هشام ، تماثيل توجد فيها شعور مختلفة على شكل لفائف صغيرة او دوائر متلاصقة مثقوبة الوسط .[١٨١]

واتخذت المرأة "الخمار" ويقال له النصيف[١٨٢]، ومنه قول الشاعر النابغة الذبياني :[١٨٣]

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه　　　　فتناولته وأتقتنا باليدِ

ويسميه البعض بـ "الطاق" قال ابن الأعرابي :[١٨٤]

وسائله الاصداغ يهفو طاقها　　　　كأنما ساق غراب ساقها

وفسره ، فقال أي خمارها بطير وأصداغها تتطاير ، ومن انواع الخمر ايضاً ، ما يعرف بـ "النقاب" ، وهو القناع على مارن الأنف ،

---

(١٨٠) الاغاني ٧/٢٨٣-٢٨٤.

(١٨١) اسمية العظم ، المجتمع في العصر الأموي ، ص٧٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

(١٨٢) ابن الاجدابي ، كفاية المتحفظ ، ص٢٣ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٩/٣٣٦ ، مادة نصف .

(١٨٣) الديوان ، ص٤٠ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٩/٣٣٢ ، مادة نصف .

(١٨٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠/٢٣٣ ، مادة طوق .

ومنه الوصواص ، وهو البرقع الصغير[١٨٥] ، قال ابن مياده الشاعر الأموي : [١٨٦]

كأن القرون السود فوق مقذها اذا زال عنها برقع ونصيف

وكل هذه المسميات للخمار حين نسمعها يتبادر الى أذهاننا بأنها حجاب كانت المرأة تضعه على وجهها ليكون سترا لها وتتخفى به معالم جمال وجهها عن الأجانب ، وهذا صحيح الى حد ما فيما يخص المرأة العربية ، وتدلل المصادر التاريخية على ذلك فتذكر ان حرب يوم الفجار الثاني - أحد أيام العرب المشهورة - كان بسبب سؤال فتية من غزية قريش وكنانة امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ان تسفر لهم ، الا انها ابت عليهم ، فأحتالوا عليها وكشفوا سترها . فكانت الحرب بين الفريقين [١٨٧] وكانت هنيدة بنت صعصعة عمة الشاعر الفرزدق تلبس الخمار[١٨٨] ، وكذا الصحابية الخنساء - تماضر بن عمرو بن الشريد - وقد

---

(١٨٥) ابن سيدة ، المخصص : سفر ٣٩/٤ ، الزبيدي ، تاج العروس ، ٤٩٢/١.

(١٨٦) الاصبهاني ، الاغاني ، ٢٢٣/٢.

(١٨٧) كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، ٩٩٧/٣ ، دار مكتبة الاندلس ، بنغازي ، د. ت .

(١٨٨) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢٩٥.

ورد على لسان أخيها صخر حينما اعترضت عليه زوجته بعدم مقاسمتها خيار ماله قال [189]

والله لا امنحها شرارها ولو هلكت قددت خمارها

وقد ورد الخمار في الذكر الحكيم بقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن)[190] فكان الخمار حجابا وسترا للمرأة ، وورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه علم كريمته فاطمة (رضي الله عنها) كيفية التستر بالخمار[191]، وجاء في سنن أبي داود ان نساء الأنصار حينما نزلت هذه الاية عمدن الى جحورهن فشققنها واتخذن منها خمرا [192] . وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط حين لحقت الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة متنقبة [193] . ويبدو ان النقاب كان شائعا ويدل على ذلك قول الشاعر الإسلامي عمرو بن الايهم التغلبي :[194]

ويبرزهن شزرا كالسعالي يتطلعن من وراء النقاب

---

(189) البغدادي عبد القادر بن عمر ، ت ١٠٩٣هـ ، خزانة الادب ولب لباب العرب ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ٤٣٥/١ ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٩.

(190) سورة النور ، اية ٣١.

(191) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢/٠٠.

(192) ٦١٨/٢.

(193) الواقدي ، محمد بن عمر ، ت ٢٠٧ ، المغازي تحقيق مارسدن جونس ، ٦٢٩/٢ ، دار المعارف ، مصر ، لا.ت ، ١٩٦٦م.

(194) البكري ، سمط اللالى ، ١٨٤/١.

ويروى انه في فتح مكة دخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورأى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم لذلك ، فقال الشاعر حسان بن ثابت .(١٩٥)

تظل جيادنا متمطرات   تلطمهن بالخمر النساء

ويقال ان هند بن عتبة حين أسلمت يوم الفتح وبايعت الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت متنقبة(١٩٦) وكانت ام ايمن – مولاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) واسمها بركة – زوجة زيد بن حارثة وأم أسامة بن زيد تلبس القناع (١٩٧) وكانت زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) زينب بنت جحش وحفصة وعائشة وجويرية ممن لبسن النقاب .(١٩٨)

ومع ذلك يبدو ان بعض النساء العربيات وحتى ممن كُنّمن علّية القوم اتخذت من هذا الخمار زينة وسترا بما تفنن بعضهن في لبسه ونوعيته وفي لونه أيضا عزز ذلك ما أورده الشاعر المخضرم الحطيئة حين قال (١٩٩)

الى طفلة الأطراف زين جيدها   مع الحلي والطيب المجاسد والخُمر

وأكد عمر بن أبي ربيعة ذلك بقوله :(٢٠٠)

---

(١٩٥) البرقوقي ، عبدالرحمن ، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص٦١ ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٨٠م ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، المغازي ، ص٥٤٢-٥٤٧.

(١٩٦) ابن سعد ، الطبقات ، ٨/٢٣٦.

(١٩٧) ابن سعد ، الطبقات ، ٨/٢١٤.

(١٩٨) ابن سعد ، الطبقات ، ٨/١٢٦.

(١٩٩) جرول بن أوس ، ت٥٩ ، ديوان الحطيئة ، تحقيق نعمان محمد امين ، ص١٠٤ ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧م .

(٢٠٠) شرح الديوان ، ص١٤٣.

يدنين من خشية العيون على ... مثل المصابيح زانها الخمر

ومن حيث نوعيته فقد اتخذت بعض النساء خمارها من الخز[201]، روى القيرواني[202] عن أبي حازم بن دينار – وكان من وجوه التابعين كان ، حاجا فرأى امرأة حاسر شغلت الناس عن مناسكهم بحسن وجهها وجمالها ، وحينما عنفها على ذلك قالت :- أنا من اللاتي قيل فيهن :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها ... وأدنت على المتنين بردا مهلهلا

كما اتخذت بعض النساء نقابها من الحرير قال الشاعر :[203]

قد تنقبن بالحرير وأبدين ... عيونا حور المدامع نجلا

وتعددت ألوان الخمر التي استخدمتها المرأة . فقد روى البخاري عن عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وسلم) . حفصة زوجة عبد الرحمن بن الزبير القرظي وعليها خمار اخضر[204] . ولبست عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وسلم) خمارا اسود[205]. ويروي الاصبهاني شكوى أحد التجار العراقيين من بائعي الخمر في المدينة الى صديقه الشاعر مسكين

---

(201) الخز نسيج من صوف وابريسم ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/٣٤٥.

(202) ابو اسحاق ابراهيم بن علي ، ت٤١٣هـ ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ١/١٦٨ ، دار الفكر العربي ، مصر ، د.ت ، الاصبهاني ، الاغاني ، ١٧/٢٤٠-٢٤١.

(203) عمر بن ابي ربيعة ، شرح الديوان ، ص٤٩٨.

(204) البخاري ، صحيح البخاري بشرح الكرماني ، ١/٧٥.

(205) ابن سعد ، الطبقات ، ٨/٧١ ، ٧٣.

الدرامي بكساد بيع الخمر السود ، فما كان من الدرامي الا ان تغزل بالخمار الاسود قائلا : [٢٠٦]

قل للمليحةِ بالخمارِ الاسودِ ماذا فعلت بناسكٍ متعبدِ

فشاع غنائها في المدينة ولم تبق فتاة مليحة الا وابتاعت خمار اسود حتى نفذ جميع ما كان مع التاجر من الخمر السود ، وكان قول مسكين هذا خير وسيلة للاعلان عن الخمر السود ، كما لبست بعض النساء الخمر المذهبة ، ووصف أحد شعراء أهل الهوى تلك الخمر بقوله :- [٢٠٧]

قل للمليحة في الخمار المذهب أذهبت دين أخ التقى المتعبدِ

ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض النساء قد حرمن على أنفسهن لبس الاخمرة الملونة والمصبوغة في أحوال حزنهن ومصائبهن . وقد اثر عن بثينة صاحبة جميل أنها حرمت على نفسها لبس الخمار المصبوغ عند سماعها نبأ وفاة جميل ..[٢٠٨]

ومن أنواع الخمر التي لبستها المرأة ما كان رقيقا جذابا يشف عما وراءه وقد روى ابن سعد في طبقاته "دخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة ،

---

[٢٠٦] الاغاني ٣٢٧/٢.

[٢٠٧] حسن ، درويش مصطفى ، الرسالة الامنية في اللباس والزينة ، ص٢٩ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، د. ت.

[٢٠٨] الاصبهاني ، الاغاني ، ١٦٠/٧.

وعلى حفصة خمار رقيق فشقته عائشة وكستها خمارا كثيفا" [٢٠٩] ، وقال عمر بن أبي ربيعة واصفا رقة خمار صاحبته :[٢١٠]

فقلت :

أشمس أم مصابيح بدت لك خلف السجف أم أنت حالم ؟

وعلى الرغم مما ذكر عن أستعمال النسوة للخمر ، وحرصهن على أمتلاكها فأن هناك ما يشير الى عزوف بعضهن عن الخمر ، ويروى ان عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وامها أم كلثوم بنت ابي بكر الصديق كانت لا تستر وجهها اطلاقا ، ولما عاتبها مصعب على ذلك قالت "ان الله تبارك وتعالى وسمني بمسيم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم ، فما كنت لاستره ، ووالله ما فيّ وصمة يقدرُ ان يذكرني أحد بها "[٢١١] كما كانت الاماء من النساء سوافر [٢١٢] وكانت غاضرة أم بشر بن مروان سافرة ايضا [٢١٣] وكانت ليلى الأخيلة تسفر عن وجهها دون حجاب قال فيها الشاعر [٢١٤] :-

---

[٢٠٩] ٧١/٨ ، الباجى ، المنتقى شرح موطأ مالك ، ٢٢٣/٧--٢٢٤.

[٢١٠] شرح الديوان ، ص٣٣ ، ٢٠٨ ، الاصبهاني ، الاغاني ، ٩٨/١.

[٢١١] الاصبهاني ، الاغاني ، ١٠٦/١٠ ، القيرواني ، زهر الاداب ، ٢٥٧/١.

[٢١٢] ابن سعد ، الطبقات ، ٣٨١/٥.

[٢١٣] الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص١٦٧ ، دار مكتبة العرفان ، لبنان ، د. ت.

[٢١٤] القالي ، الامالي ، ٨٧/١-٨٨ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٩/٨ ، مادة برقع .

وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت   فقد رابني منها الغداة سفورها

وحج أحد وجوه التابعين ، وهو حازم بن دينار ، فرأى إمرأة حاسر ، فتنت الناس بجمالها ، وشغلتهم عن مناسكهم فأنبها على ذلك ، واجابته أنا من آلاتي قيل فيها :

أماطت كساء الخز عن حُرَ وجهها   وأرخت على المتنين بردا مهلهلا

من الاء لم يحججن يبغين حسبة   ولكن ليقتلنَ البريء المغفلا[(٢١٥)]

وتشير المصادر التأريخية الى ان النساء كنَ يتزين ويظهر بعضهنَ الاخر ، ويظهرنَ للرجال ايضا ، وحكي ان جميل رأى بثينة في أحد الاعياد ، واعجبتهُ لما رأى منها فعشقها[(٢١٦)] ، واخيرا لم يقتصر الخمار على الوجه، بل أتخذت بعض النساء وكما نراه في حاضرنا اليوم ، الخُمر لليد ايضا ، واغلب الظن ان ذلك كان للحشمة والتقى إلا انه لا يخلو من ملامح جمالية ، مما دعا البعض في التعرض له قال عمر بن ابي ربيعة[(٢١٧)]

يخُمرن أطراف البنان من التقى   ويخرجنُ جنح الليل معتمرات

وفي الختام فقد أظهر البحث مدى اهتمام المرأة العربية كغيرها من نساء عصرنا وممن جاورها من الامم والاقوام الاخرى بالزينة قبل الإسلام ، وورد في الذكر الحكيم بعض مما كان من تلك الزينة ، ثم جاء الإسلام فلم

---

(٢١٥) القيرواني ، زهر الاداب ، ١٦٨/١ ، الاصبهاني ، الاغاني ، ٢٤٠/١٧-٢٤١.

(٢١٦) الاصبهاني ، الاغاني ، ١٤٦/٧.

(٢١٧) الاصبهاني ، الاغاني ، ٥٤/٦ ، ٥٦.

يحرمها ، قال تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده)[218]، وعلى الضد ، ذلك فقد شرع الإسلام الزينة للناس وشجعهم عليها قال تعالى (يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد)[219]، وان كان سبحانه وتعالى قد نهى المرأة عن بعض هذه الزينة كما حرم عليها ان تبدي زينتها إلا ما كان ظاهرا منها للناس عامة فقال (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ... ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفينّ من زينتهنّ[220] الى جانب المحافظة على المعايير الاجتماعية الأسرية ، ولتكن الاسرة اهلا لتربية جيل يعيش في كنفها ويكون محافظا على المبادئ والقيم العربية الإسلامية .

وفي العصر الراشدي ونتيجة لتوسع الدولة العربية خارج الجزيرة العربية بالفتوحات وحركات التحرير العربية الإسلامية ، وما ترتب عليه من ازدياد الأموال الواردة للدولة مما أدى إلى الرخاء الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية فأنعكس ذلك كله على المرأة فزاد اهتمامها بذاتها وبزينتها لتعزز مكانتها ومركزها وتتفاخر على نساء عصرها خاصة بعد خروج الرجل من الجزيرة العربية ، وميل البعض منهم للزواج بالاعجميات لاهتمامهن بجمالهن على الرغم من تدخل الدولة بعدم الزواج منهن ، مما جعل المرأة العربية المسلمة تعيد النظر في الاهتمام بمظهرها وهندامها وزينتها وكل ما له علاقة بذلك .

---

(218) سورة الاعراف ، اية ٣٢.

(219) سورة الاعراف ، اية ٣١.

(220) سورة النور ، اية ٣١.

المسلمين عن الإسلام الاول، وكان قـدوتهم في ذلك الطبقات الراقية المرفهة والأمراء الذين يالغوا في الاهتمام بتزيين زوجاتهم وامائمهم ، ولما كان الناس على دين ملوكهم فقد حرص الكثير من النساء بزيادة اهتمامهن بالزينة وأدوات التجميل وتفننت المرأة في ذلك ، وبالغ بعضهن فيها حتى صار للمرأة العربية المسلمة في تلك الفترة قصب السبق في الكثير مما تستخدمه المرأة في عصرنا الحاضر من زينة وادوات تجميل وغيرها مما أظهره البحث علما ان هذا غيض من فيض مما كانت تتزين به المرأة ، وما زال الباب مفتوحا لرصد الكثير من مظاهر الزينة والتبرج لدى المرأة .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

رتبت المصادر والمراجع حسب أسماء مؤلفيها المشهورين بها دون الأخذ بـ أل و ابن وأبو وابن أبي .

١- ابن الأجدابي ، أبو أسحق ، ابراهيم بن إسماعيل ، (ت٤٧٠هـ) ، كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ ، تحقيق عبد الرزاق الهلالي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٧، ١٩٨٦م .

٢- أرسلان ، شكيب (ت ١٣٦٦هـ) حاضر العالم الإسلامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، د . ط ، د ، ت .

٣- الأصبهاني ، ابو الفرج ، (ت٣٥٦هـ) ، كتاب الأغاني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٦م.

٤- الأعشى ، ميمون بن قيس ، (ت٧هـ) ديوان الأعشى ، شرح يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م .

٥- أمريء القيس ، (ت٨٠ ق.هـ) الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م.

٦- الباجي ، ابو الوليد سليمان بن خلف ، (ت٤٩٤هـ) ، المنتقى شرح موطأ مالك بن أنس ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١، ١٣٣٢هـ .

٧- البخاري ، ابو عبد الله ، (ت٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري بشرح الكرماني ، المطبعة البهية ، مصر ، ١٩٣٧م .

٨- ألبرقوقي ، عبد الرحمن ، شرح ديوان حسان بن ثابت ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٠م .

٩- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، (ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب العرب ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٩م.

١٠- البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ، (ت٥٩٩هـ) ، سط الآلي ، صححه عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦م .

١١- البلاذري ، أحمد بن يحيى، (ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف ، ببروت ، د. ط ، ١٩٨٧م .

١٢- التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي ، (ت٥٠٢هـ) ، شرح المفضليات ، تحقيق محمد علي البجاوي، قسم ٢، دار نهضة مصر للطباعة ، د. ت

١٣- الثعالبي ، عبد الملك بن محمد، (ت٤٢٩)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥م .

١٤- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، (ت٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، مصر، ط٣ ، ١٩٦٨م .

١٥- ....، المحاسن والأضداد ، دار مكتبة العرفان ، لبنان ، د. ت .

١٦- الجمحي ، محمد بن سلام ، (ت٢٣١هـ) ، طبقات فحول الشعراء ، شرحه محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر ، مصر ، د. ت.

١٧- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، (ت٥٩٧هـ) ، صفوة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥م.

١٨- ....، أحكام النساء ، مكتبة التراث العلمي ، القاهرة ، د . ط . د. ت .

١٩- جوهري ، طنطاوي ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٥٠هـ.

٢٠- ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ، (ت٨٥٢هـ) الاصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب في اسماء الاصحاب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ، ط ، د ، ت .

٢١- ....، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط الاخيرة ، ١٩٥٩م .

٢٢- حسن ، درويش مصطفى ، الرسالة الامنية في اللباس والزينة ، دار الاعتصام ، القاهرة ، د ، ت .

٢٣- الحطيئة ، جرول بن اوس، (ت٥٩هـ) ، ديوان الحطيئة ، تحقيق نعمان محمد أمير ، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧م.

٢٤- حمور ، عرفان محمد ، أسواق العرب ، دار الشورى ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م .

٢٥- ابن حنبل ، احمد ، (ت٢٤١هـ) ، مسند احمد حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، دار الفكر ، مصر ، د. ت.

٢٦- ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي ، صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت ، ابو داود ، سليمان بن الاشعث الازدي ، (ت٢٧٥هـ) .

٢٧- سنن ابي داود ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٥٢م.

٢٨- ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد ، (ت٨٠٩هـ) الانتصار بواسطة عقد الامصار، قسم١ ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د. ت .

٢٩- الذهبي، محمد بن ابراهيم بن عثمان، (ت٧٤٨هـ)، تأريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٣٠- الزبيدي ، السيد محمد مرتضى ، (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، د. ت.

٣١- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د، ط، د، ت.

٣٢- الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي ، (ت٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الإقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة ، بيروت ، د ، ط ، د ، ت ، س .

٣٣- ابو زيد القرشي ، محمد بن ابي الخطاب ، (ت١٧٠هـ) جمهرة اشعار العرب ، شرحها عمر فاروق الطباع ، دار الارقام ، بيروت ، ١٩٩٥م.
٣٤- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري ، (ت٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى ، دار صادر، بيروت ، د ، ط ، د ، ت.
٣٥- ابن سيدة ، علي بن اسماعيل النحوي الاندلسي ، (ت٤٥٨هـ)، المخصص ، سفر٤ ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ، د ، ط ، د ، ت.
٣٦- السيوطي ، عبد الرحمن ابن ابي بكر، (ت٩١١هـ) اسبال الكساء على عورات النساء ، تحقيق خالد عبد الكريم وعبد القادر احمد ، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط١، ١٩٩٠م .
٣٧- الطبري ، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ) ، جامع البيان في تأويل أي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٤م.
٣٨- عامر بن الطفيل ، (ت١٠هـ) ، ديوان عامر الطفيل ، دار لبنان للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٣م .
٣٩- ابن عبد ربه الاندلسي، احمد بن محمد ، (ت٤٣٩هـ) ، العقد الفريد ، صححه احمد امين واخرون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، مصر، ١٩٦٨م.
٤٠- العظم ، اسمية ، المجتمع في العصر الاموي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٩٩٦م.

٤١- عمر بن ابي ربيعة ، (ت٣٥هـ) ، شرح الديوان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الاندلس ، بيروت ، د ، ت .

٤٢- الفخر الرازي ، ابو عبد الله محمد بن عمر القرشي (ت٦٠٦هـ) التفسير الكبير مصر ، ط١، د . ت.

٤٣- فروخ ، عمر ، تأريخ الادب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٩٦٥م .

٤٤- ابو الفضل ، ربيعة ، حسان بن ثابت شاعر الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٩٩٣م .

٤٥- القالي ، ابو علي ، (ت٣٥٦هـ) ، الامالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٤٦- القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارير ، (ت٦٧١هـ) مختصر تفسير القرطبي ، اختصار الشيخ محمد كريم راجح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ت١٩٨٧م .

٤٧- القلقشندي ، احمد بن علي ، (ت٨٢١هـ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٤٨- القيرواني ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي ، (ت٤١٣هـ) ، زهر الاداب وثمر الالباب ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، مصر ، د . ط ، د . ت .

٤٩- ابن قيس الرقيات ، عبيد الله بن قيس ، (ت٧٥هـ)، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨م.

٥٠- الكتاني ، عبد الحي، (ت ١٣٨٢ هـ) ، التراتيب الادارية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ط ، د ، ت.

٥١- ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (ت٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، د. ط، د. ت.

٥٢- كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، دار مكتبة الاندلس ، بنغازي ، د. ت ، د. ت.

٥٣- ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد ، (ت٢٧٥هـ) ، سنن ابن ماجة ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، د. ت.

٥٤- المالقي ، ابو الحسن علي بن محمد المعافري ، (ت٦٠٥هـ) الحدائق الغناء في أخبار النساء ، تحقيق عائدة ألطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، ١٩٧٧م .

٥٥- مالك بن انس ، (ت١٧٩هـ) ، الموطأ، صححه واخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٥١م .

٥٦- المبرد ، محمد بن يزيد، (ت٢٨٥هـ) الكامل ، علق عليه محمد ابو الفضل ابرزهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٥٧- متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعريب محمد عبد الهادي ابو ريدة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ ، د. ت.

٥٨- المسعودي ، ابو الحسن علي ، (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعاون الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة الإسلامية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٥٩- المقريزي ، احمد بن علي ، (ت٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، دار الأمين ، القاهرة ط١، ١٩٩٨م .

٦٠- المناوي ، محمد عبد الرؤف ، (ت١٠١٣هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرحمن السيوطي ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، د . ت .

٦١- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥م .

٦٢- النابغة الذبياني ، (ت٦٠٢هـ) ، الديوان ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٣م .

٦٣- النسائي ، ابو عبد الرحمن بن شعيب ، (ت٣٠٣هـ)، سنن النسائي ، المجتبى ومعه زهر الربى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط١ ، ١٩٦٤م .

٦٤- ابو نعيم الأصبهاني ، احمد بن عبد الله ، (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٧م .

٦٥- النويري ، احمد بن عبد الوهاب ، (ت٧٣٢هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ، د. ت.

٦٦- الواقدي ، محمد بن عمر، (ت٢٠٧هـ) ، المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، دار المعارف ، مصر ، لندن ، ١٩٦٦م.

٦٧- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري ، (ت٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، علق عليها وفهرسها عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣، ١٩٩٠م.

٦٧- الهيثمي ، علي بن ابي بكر ، (ت٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحرير العراقي وابن حجر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢، ١٩٦٧م .

٦٨- ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ، (ت٦٢٦هـ) ، معجم الأدباء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م.

عناصر التحويل بين قدامى النحاة العرب والمحدثين

- دراسة مقارنة -

المدرسة المساعدة

ضوية صادق جعفر الربيعي

الملخص :

تسربت الى الباحثين العرب آراء في دراسة اللغة ومنها كتب تشومسكي ولاسيما آراؤه في التوليدية والتحويلية ، وأعجبوا بها وعدوها فتحا مبينا .

وفي هذا البحث حاولت الباحثة أن تظهر سبق النحاة واللغويين العرب الى هذا اللون من الدراسات .

المقدمـة :

إنّ نظرية التوليد والتحويل التي سطع نجمها في الولايات المتحدة مع تشومسكي نالت اهتمام علماء اللسان في الغرب والشرق واحدثت ثورة لغوية في علم اللسان الحديث ، جعلت هذه النظرية وكدها تفسير اللغة على أنّها ظاهرة عقلية إنسانية إذ تعاين اللغة انطلاقا من الذات المنتجة لها. فهي وصف لمعرفة المتكلم بأنظمة لغته والقوانين التي تحتكم إليها مما يقرن الأداء اللغوي بالمستوى الذهني الذي يشكله . وتنظر التحويلية إلى اللغة

على أنّها قدرة كامنة ذات مظهر إبداعي تتجلى في قدرة أبناء اللغة على فهم ما لا يتناهى من الجمل النحوية وبنائها. ويتضح أنّ عناصر التحويل هي أصول نحوية بلاغية تؤلف ضربا من التصرف في وجوه العبارة. تأتلف نظرية التوليد والتحويل على صورة منهج متقدم من مناهج التحليل اللساني الحديث ، وتظهر اتفاقا لافتا ونظرية النحو العربي: فالأصالة والفرعية والرتبة والحذف والزيادة والبنية السطحية والبنية العميقة والقدرة الكامنة والأداء اللغوي عناصر مشتركة بين نظرية النحو العربي ونظرية التحويل .

إنّ عناصر التحويل هي أصول نحوية بلاغية تؤلف ضربا من التصرف في وجوه العبارة بما يناسب المقصد المراد التعبير عنه فهي توظيف لاستراتيجيات النحو للتحكم في معاني اللغة وتقديمها في نماذج تحويلية متعددة تفوق المعنى الناتج عن ترتيب الأبنية على النسق المألوف، فالانطلاق من بنية الأصل نحو تحولات الرتبة يمثل اتساعا في التعبير يحقق نسقا بيانيا ناتجا عن كسر النسق والمرونة في حرية الرتبة لإحداث التأثيرات السوافقة لمقتضى الحال، وتتضمن عناصر التحويل تبدلات مدارها تكوين خبرة جمالية تستحضر وسائل قادرة على توظيف المتخيل الذهني المسؤول عن الفراغ المعرفي والمشكل لمجهول البيان ، إذ تشكل نقطة تحول في دراسة النحو العربي دراسة تسهم في الكشف عن المعاني الإضافية للنصوص . وتتولى هذه العناصر اكتناه نظام التحويل الدلالي الناتج عن اختلاف درجات المعنى مما يؤدي استجلاء النص من الداخل ، وقد تسنى للعناصر التحويلية أنْ تعين كيفية تأدية الأبنية لوظائفها على وفق صياغة خاصة تسمح بمرونة تسع مدرات التوصيل

وتكوين الوجه الجمالي . وتمثل حركة العناصر بالتقديم والتأخير والحذف فهذه العناصر تمارس تمردا على قواعد البنية بما يؤلف لذة نصية تقود البنى نحو الوظائف الجمالية التي تنهض على نحو خاص .

إلى طرح تساؤل مفاده :

هل التزم النحاة القدماء بخط منهجي واحد صنعوا منه نسيج تفكيرهم النحوي ؟ وبيان ذلك أنَّ النظرية التوليدية تكشف : أنَّ اللغة (ملكة فطرية) ذات مظهر إبداعي ، تتجلى في قدرة الناطقين بلسان من الألسن على فهم مالا يتناهى من الجمل السوية . وقد اشار إلى ذلك أبو القاسم الزجاجي في كتابه الإيضاح في علل النحو أنَّ سبق الخليل إلى تقرير فكرة العلاقة الكامنة والأداء اللغوي بقوله : "إنَّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله ، وأنْ لم ينقل ذلك عنها" وهكذا يعيد الخليل اللغة إلى نظام يستنبطه أهلها ويقيمون النسق اللغوي على اساسه فهو يشير إلى القدرة الكامنة التي تسبق الإنجاز اللغوي وتجعله متناسقا إذ يصدر عن الجوهر الذي يستقر في الذهن ويفرض أشكال البنية وتلقى عبارة الخليل : "وقام في عقولها علله" مع مفهوم النحو عند التحويليين الذي يقرره نهاد موسى في كتابه نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث بقوله : "يراوح التحويليون في التعريف النحو مترادفين : اولهما : أنَّ النحو نظام من الاحكام قائم في عقل أهل اللغة ، والثاني : أنَّ النحو نظرية يقيمها اللغوي مقترحا بها وصفا لسليقة المتكلم" .

ويرى تشومسكي أنَّ نظرية العامل والربط السياقي تمثل ذروة ما توصلت إليه النظرية من اكتمال ، هذه النظرية التي بذل قصارى جهده من

اجل أن تكون نظرية لغوية متماسكة . كما أن خاصية التحويل عند تشومسكي وأنصاره تشابه في كثير من جوانبها مع ما نجده في النحو العربي من قواعد الحذف ، والإحلال ، والتوسع ، والاختصار ، والزيادة ، والترتيب .

إنَّ المتفحص والمدقق في الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التحويلية ، والقواعد النحوية التي أرساها علماؤنا العرب القدامى يجد أنَّ النحو العربي لم يكن غافلا أو بعيدا عن هذه الأسس والأفكار ، ومن ذلك مثلا أنَّ أحد أعلام العربية العلامة (عبد القاهر الجرجاني) قد سبق تشومسكي إلى تحديد الفروق الدقيقة بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة ، حيث فرّق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق فجعل النظم لمعانٍ في النفس وهو تماما البنية العميقة عند تشومسكي ، أما البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات ، كما أنَّ التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات في السياق ، كما حسم عبد القاهر الجرجاني قضية ربط النحو بالدلالة ، وبيّن أهمية هذا الربط وضرورة اعتماد المكّون التركيبي على المكّون الدلالي ، هذه العلاقة تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها ومعرفة أهميتها إلى أن ظهر كتاب تشومسكي الثاني "مظاهر النظرية النحوية"

لذا فانّ استقراء النصوص النحوية عبر التتبع المنهجي الذي يظهر فلسفة التبويب ، وكيفية المعالجة بقصد استخلاص الصور المنهجية سيكون المنهج المتبع في هذه البحث ولا شك في الاستعانة بتطور الدرس

اللغوي الحديث ، ولعل المنهج التحويلي في صورته الحديثة ، سيكون عونا لنا في سبيل التحقيق هذا الغرض .

ولذا كان لزاما إن يلم هذا البحث بعرض ابرز الأسس التي قام عليها هذا المنهج ، وذلك نحـــو انطلاقة في الظاهرة اللغوية نفسها بوصفها تمثل ، قدرة فعالة ، مختصة بالإنسان ومن ثم فان المنهج اظهر اتفاقا لافتا ومنهج سيبويه في التحليل اللغوي ، فلم يكتف سيبويه بتصنيف العناصر اللغوية في مستواها السطحي بل عمد إلى البنية العميقة مظهرا أثرها في تكوين الطاقة التعبيرية ، فالحركة الإعرابية والحذف والزيادة عناصر تحويلية لها أهمية عند سيبويه في نقل التركيب من معنـــى إلى آخر ، وتشكل النظرية التحويلية منهجية تتوخى دراسة الجملـــة انطلاقـــا من القوانين النحويـــة التي تسعى إلى البيان عن قواعد المتحكمة في الأبنية وطرق تشكيلـــها والوظـائف التي تؤديـــها داخل النسيج البنائي . بالتميز بين الكفاءة التي هي ملكة ذاتية تتمثل في القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية اللغة ، وتمثل البنية العميقة في الكلام ، والأداء اللغوي هوا لاستعمال الآني للغة ضمـــن سياق معين ، وتمثل البنبة السطحية للكلام .

يمثل توافق أساليب البحث اللغوي حتى يتسنى لنا بيـــان تفسيـــر الظاهرة النحوية عبر المنهج التحويلي .

وقد تم العرض على الصورة الآتية :

- (التعريف بالمنهج)

- المنهج التحويلي • (تجاذب المعنى والإعراب)

- التعليق (المستقيم الحسن والمستقيم الكذب)

- الجملة البسيطة والمركبة

- الجمل الملتبسة

- توحد المعنى وتعدد الإعراب

- من عناصر التحويل (التقديم والتأخير والحذف)

- ومن نتائج البحث والخاتمة

ولاريب في أنّ الطريق شاق وطويل إلى توحيد الدراسات اللغوية بمفهومها المنهجي.

التمهيد (التعريف بالمنهج) :

المنهج التوليدي التحويلي

Trans For Motional and Generative Linguistics

منذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين وعلماء اللغة يحاولون وضع نظام من القواعد الواضحة التي تحدد العلاقات التي تربط بين مكونات الجمل السليمة نحويا . ومن هذه المحاولات تلك التي قام بها عالم اللغة نعوم تشومسكي صاحب نظرية القواعد التحويلية التوليدية ، التي طرحها أول مرة في كتابه التراكيب النحوية syntactic structures ، الذي نُشر في عام ١٩٥٧ ، ثم في كتاب جوانب النظرية النحوية Aspects of the Theory Syntax الذي نُشر في عام ١٩٦٥ تقدّم بنموذج مبسّط للنحو التحويلي

ابتداءً . إذ ذهب إلى أن القواعد النحوية لأيّة لغة ينبغي أن تولد جميع الجمل ، والجمل فقط في هذه اللغة أي أنها قواعد تختص بالجمل في حد ذاتها .

وادى افتراض تكّون النحو من عدد محدود من القواعد القادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل إلى ضرورة صلاحية تكرر بعض القواعد . وقد اطلق عليها القواعد المتكررة recursiv ، ذلك النموذج البسيط الذي اطلق عليه نموذج القواعد النحوية المحدودة finite state grammar وهو يقوم على مبدأ يقول إن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات ، تبدأ من اليسار إلى اليمين (لأن النموذج قد طبق على الإنجليزية أصلا) ، أي عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول ، فأن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارُها مباشرة ، وبناء على ذلك يجري التركيب النحوي للجملة [١]

يعد تشومسكي اللغة قدرة فعالة فطرية مختصة بالإنسان ، ومن هنا يرى أن التحليل اللساني ينبغي أن يشرح اللغة من الداخل ، وليس من الخارج ، وعدّ شرح الظاهرة اللغوية بمصطلح سلوكي. [٢]

إذ إن معرفة النحو التحويلي وفهمه يعد ضرورة أساسية لأي إنسان في أي تخصص يرغب في دراسة قدرة الإنسان اللغوية والوقوف على أهمية اللغة في كافة نواحي النشاط الإنساني وسبر تلك العلاقة الفريدة الجوهرية التي

---

[١] قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث :١١٥.

[٢] علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات الاستاذ الدكتور سعيد حسن بحيري : ١٢ .

يقال إنها تربط بين تركيب اللغة والخصائص الفطرية innate properties للعمليات العقلية .[٣]

ومن هنا فالمنهج التوليدي التحويلي منهج تحليلي لغوي حديث، وقد نال اهتمام علماء اللغة المعاصرين في الغرب والشرق ، وأحدث بقدرته على الوعي المتعلق الذي لايكتفي بمعاينة المستوى السطحي من النظام اللغوي بل يغوص كشفا عن التفاعل الدلالي المرتبط بالبنى العميقة ، وقد : قاد تشومسكي ثورة علمية فعلية نجم عنها ظهور لنموذج جديدNew Paradigm للتفكير في اللغة ، مفادة الاهتمام بالجهاز الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي.[٤]

وهذا التركيب هو الذي يعطي المعنى المقصود للجملة ، مما ينطلق بالفعل أو يرسم بالكتابة فيسمى بالتركيب الظاهري أو البنية السطحية[٥]. والعلاقة بين البنية العميقة Deep structure والبنية السطحية surface structure تتم بواسطة ما سماه تحويلا Trans Formation

يرفض تشومسكي "تحويل اللغة إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من المعنى ومن العقل في هذا الوصف السطحي الذي يصوره دي سوسير"[٦] كما يرفض معاملة الإنسان "باعتباره آلة تتحرك

---

(٣) المصدر السابق : ٩٧.

(٤) اللسانيات واللغة العربية / عبد القادر الفهري : ٦٥ .

(٥) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث : ١٨٤.

(٦) النحو العربي والدَّرس الحديث / عبده الراجحي : ١١٢.

حسب القوانين تحددها مواقف معينة" [٧] فالإنسان في نظره "لا يختلف عن الحيوان بقدرته على التفكير والذكاء فحسب، ولكنه يفترق عنه بقدرته على اللغة" [٨] وانتهى إلى أنّها خاصة انسانية لا يشاطر الانسان فيها أي مخلوق من المخلوقات. وإنَّ من النتائج التي توصل إليها عن طريق الفرضيات أنَّ اللغة تقوم على بنى فطرية وعالمية ، ولقد ضرب لنا مثلا عن ذلك بالعلاقة القائمة في الجملة بين المسند والمسند إليه. [٩]

وتقوم نظرية تشومسكي في القواعد التوليدية على ثلاثة مكونات :[١٠]

أولا- المكون التوليدي : وهدف هذا المكون اللغوي هدف تواردي تنظمي ، فهو توليدي لأنه ينتج عدد غير محدود من الجمل وتنظيمي لأنه يعطي معاني نحوية منظمة ومنسقة .

ويمكن تعريف الجملة التوليدية بأنها : اقل عدد من الكلمات يؤدي غرضا في جملة خبرية لا إنشائية مثبتة لا منفية مبنية للمعلوم لا للمجهول ، ويعمل هذا المستوى من خلال نوعين ءن القواعد التوليدية .[١١]

---

[٧] التراكيب النحوية / تشومسكي : ١٩.

[٨] المصدر نفسه : ١٩.

[٩] اللسانيات والدلالة / منذر عياشي : ١٨٨.

[١٠] المصدر نفسه : ١٨٨.

[١١] نشأة الدرس واللسان العربي الحديث / فاطمة الهاشمي : ٤ .

أولهما – التفريع : يرى تشومسكي انه لابد من تفريع الجملة إلى اصغر وحدة مكونة فيها مع الانتباه إلى ما بين الجملة ومكوناتها من تحكم مباشر ، وذلك كتحكم الجملة بمكونتها من فعل الشرط وجواب الشرط .[١٢]

والثاني – المعجم : وهو المسؤول عن إعطاء المفردات على أساس دلالتها الصحيحة وهذا يعني ان المفردة الواحدة لا تكون في التركيب إلاّ بناءً على وظائفها الاجتماعية فهي ترجعنا إلى أصل وضع اللغة الثلاث ، إذ إن المعجم يتأثر بانحراف الاغراض الاجتماعية .

ثانيا – المكون التحويلي : وهذا المكون قادر على تحويل الجملة التوليدية إلى جملة تحويلية وهناك من نوعان التحويلات.[١٣]

أ– التحويل الوجوبي : وهو الذي يتم بنطق الجملة التوليدية ، وبذلك تكون قد نقلت من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، وقد كان وجوبيا لأنه الوسيلة التي يتم بها الكلام .

ب– التحويل الجواري : ويمكن أن يتم هذا النوع من التحويل أو لا يتم ، وذلك كالتحويل إلى جملة الشرط والاستفهام ، والنداء والتعجب وغيرها وتعتمد التحويلات على عدد من العمليات النحوية أهمها .[١٤]

---

[١٢] مدخل إلى علم اللغة / محمود فهمي حجازي : ٧٠-٧١ .

[١٣] نحو نظرية لسانية عربية حديثة ، مازن الوعر : ٥٣ .

[١٤] الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ، مجلة المورد ، مجلد ٨ عدد ١ : ٤٣ – ٥٥ .

١-الزيادة : Addition وتتمثل في زيادة عنصر جديد لم يكن له وجود مسبق .

٢-التوسعة : Expansion وتتمثل في جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر اتساعا مما كان عليه قبل التحويل .

٣- الحذف : عنصر من عناصر التحويل يستند إلى مجهول البيان، ويمنح التراكيب قيمة جمالية خاصة، فهو نزوع إلى التحرر من بنية الأصل والانفتاح على عالم الغياب الذي يخفي علاقات تظهر الانحراف الأسلوبي.(١٥)

٤-التضييق : ويتمثل في حذف عنصر من عناصر التركيب مع كونه متضمنا في عنصر موجود .

٥- **الإحلال** ويتمثل في إحلال عنصر جديد بدل التركيب الأساسي للجملة ، بحيث يكون دالا على وروده في الذهن وذلك نحو التصديق .

٦- **التقديم والتأخير**: ويتمثل في إعادة ترتيب عناصر الجملة . ويعدّ : "الترتيب من أظهر عناصر التحويل وأكثرها وضوحا، لأنَّ المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير فيما جاء عند العرب فيقدمه ، أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره طلبا لإظهار ترتيب المعاني في النفس .(١٦)

---

(١٥) المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي / خليل عمايرة : ٢٢٣ .

(١٦) اللسانيات الحديثة / منذر عياشي : ١٨٨ .

ثالثا– **المكون الصرفي والصوتي** : وهو نسق من القواعد ، به تتجــز الجمـــــل التي ينتجها المكون النحوي في سلسة من الأصوات وصور من الصيغ .[17]

والجدير بالذكر أنّ المكون الدلالي يمثل ، في النظرية التوليدية البنية العميقة للجمل ، بينما يمــــثل المكون النحوي والمكون الصرفي يمثل البنية السطحية ، فإنَّ النموذج التحويلي كان أمثلها طريقــة ، وكان هو الذي يلبي هذه القواعد . [18]

وصفوة القول أنَّ الجملة التوليدية هي البنية اللغوية قبل أنْ يدخلها أي عنصر من عناصــــر التحويل ، وتمثل جملة الأصل التي تتدرج في قـانون التوزيـع المـألوف عـن العربيـة فـي اصـل توزيعهـا للبنـى . والجملـة التحويليـة تعنـى مستوى نظميا يخرج عن سياق أصـل التوزيـع البنـائي إلـى انحـــراف أسلوبي تقوده عناصر التحويل ؛ إذ تنقل الجملة من التوليد إلى التحويل بطريقة تتضمن تنسيقا فائقا في الخروج عن المألوف تحقيقا لتكثيف المعنى بما يفوق المعنى الأولي . ويبدو أن : القواعد التحويلية هي القواعد القادرة على وصف اللغة وتفسير معطياتها كما يقول تشومسكي، وتعتمـــد فـي المقام الأول علـى تطبيـق قواعد تركيب أركـان الجملـة ثم تجري عليها تحويلات إجبارية أو اختيارية ، وتبين هذه القواعد الكيفية التي يتم الانتقال

---

(17) المصدر نفسه : ١٨٩.

(18) نظريــة التوليــد والتحويــل بــين الفكـرة الكامنــة والأداء اللغـوي / دراســات العـوم الإنسانية ، المجلد ٣٦ ، العدد٢ /٢٠٠٩ م / عبد الله عنبر : ٤١٦ .

بها من المستوى المجرد للبنية العميقة إلى مستوى آخر هو الشكل النهائي للجملة في البنية السطحية.[١٩]

ولما كان النحاة العرب قد صدروا عن مثل هذه المعايير فانه يمكن إقامة موازنة بينهم وبين المحدثين من أصحاب المنهج التحويلي في النقاط الآتية :

أولا– العلاقة بين الفكر واللغة

إنّ ميلاد المنهج التحويلي على يد تشومسكي ، الذي جهد في دراسة الطاقة اللغوية الإبداعية عند البشر ، فقد افترض أن الإنسان منذ طفولته " لديه طاقات فطرية يُعالجُ من خلالها حصيلة الإعلامات المُقدمة إليه من محيطه ، وأن محتوى هذه الطاقات الفطرية ليس له أيه علاقة باللغة التي سيتعلمها "[٢٠]وبذلك التقى تشومسكي مع المفكرين أمثال ديكارت الذي يرى أن هناك علاقة وثيقة بين الفكر واللغة ، وليس هناك فكر بدون لغة ، ولا لغة بدون فكر[٢١]

وقد صدر علماء العربية عن مثل هذا التصور الفكري مشيرين إلى تلك العلاقة القوية بين الفكر واللغة ، فلا سبيل إلى بقاء أحد من الناس ووجوده إلا بالكلام .[٢٢]

---

(١٩) ينظر : مشكلة البنية :٣٣ .

(٢٠) نحو نظرية لسانية عربية حديثة : ٥٣ .

(٢١) دلائل الأعجاز : ٤١ .

(٢٢) المصدر السابق ٣٢١–٢٢ .

وقد بلغ الربط بين اللغة والفكر ذروته عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي اعتقد أن تنسيق الكلام وترتيبه ويكون موافقا لما في العقل ، وان البنية الموجودة في النفس (البنية العميقة) ، موافقة البنية في النطق (السطحية) يقول : " انه لا بُدّ من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ... إن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني ، فإنها لامحالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب إن يكون المعنى _ أولا في النفس ، وجب للفظ الدال عليه ، إن يكون مثله ثانيا في النطق [٢٣]. بناء على ذلك فقد وهم منراى ان البنية العميقة هي المسؤولة عن بروز المعنى الدلالي للجملة [٢٤] وقد أشار الجرجاني إلى مضمون السليقة موضحا ذلك بان أبن اللغة ، مع تمثله لقواعدها ربما لا يستطيع تعليل الخطأ الحاصل فيها رغم إدراكه له ، وقد مثل لذلك الإعرابي الذي قال : سمع المؤذن يقول :" أشهُد أن محمدا رسولَ الله" بالنصب بمعنى رسولُ الله فأنكر ذلك وقال : صنع ماذا ؟ لأن الأعرابي أدرك اختلال التركيب مع عدم اكتمال البناء الصحيح للجملة ، التي تكوّن كلاما مفيدا ، يقول الجرجاني : أنكر من غير علم أن النصب يُخرجه عن أن يكون خبرا ويجعله والأول في الأول في حكم اسم وحدا ، وأنه إذا صار في حكم اسم واحد احتيج إلى اسم آخر ، أو فعل حتى يكون كلاما ، حتى يكون اسم ذكر ما له فائدة إن كان لم يعلم ذلك فلماذا قال : صنع ماذا ؟ فطلب ما يجعله خبر[٢٥] ومن ثم كان

---

(٢٣) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٥٦ .

(٢٤) ينظر : الألسنية التوليدية والتحولية والقواعد اللغة العربي (النظرية الألسنية)-٩٦ .

(٢٥) مدخل إلى علم اللغة العربية ، محمود حجازي : ٦٩-٧٠ - ٧١ .

للنحو عند علماء العربيـــة أهمية كبرى ، من طريقه معنـيّ بالوقوف على مجموعـــــة القواعـــد التي تمكّنُ من (انتحاء سَمت كلام العرب) ، معتقدين بأن (العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلا مِها ، وقام في عقولها عللُهُ)[٢٦] كما ذكر السيوطي أن "تميز (كم) الخبرية ، يكون مفردا وجمعا ، قال :

كم عمة لك يا جريرُ وخالة   فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

قال :

كم ملوك بـــاد مُلكُـــهمُ   ونعيـم ســوقه بـــادوا

والافراد اكثر من الجمع وافصح حتى زعم بعضهم أن تميزها بالجمع شاذ ، وقيل : يكـــون الجمـــع على معنى الواحد .. والجر بإضافتها إليه عند البصرين ، وقال الكوفيون : بـ (من) مقدرة حذفــت وابقى عملها .. فإن فصل النصب حملا على (كم)الاستفهامية كقوله :

كم نالني منهم فضلا على عدمٍ   إذ لا أكاد من الافتقار أحتملُ

وربما ينصب غير مفصول ، فروي (كم عمة لك) بالنصب ، وذكر بعضهم أن النصـــب بلا فصل لغة تميم وذكره سيبويه عن بعض العرب . قال ابو حيان : وهي لغة قليلة [٢٧]

---

[٢٦] علم اللغة ودانيل مايش : ترجمة سهيل عثمان : ٢٢٢ .

[٢٧] ينظر الألسنية التوليدية ، مشيال زكريا : ١٦٤".

وفي تميز (كم) الخبرية ثلاث لهجات : الجر وهي الأفصح والأشهر ، والنصب حال الفصل بينهما ، والنصب دون الفصل ، وهي اقل شهرة واستعمالا نسبت لتميم . مفردا وجمعا والافراد أجود وافصح واشهر.[٢٨] ذكر السيوطي في موضع آخر : إن (بني تميم راعوا كذا وان الحجازيين راعوا كذا) هذا الامر هو تصور النحاة لتبرير ما انتهوا إليه من قواعد لأن ابن اللغة يتكلم إنما يتكلم بسليقة دون مراعاة لشيء ما من إعمال أو اهمال أو شبه أو ثقل أو خفة أو غير ذلك مما بتصوره النحاة تبريرا لقواعدهم ومن ثم هذا التصور غير مقبول [٢٩]. وينظر تشومسكي: " إلى اللغة من الداخل، أي مقدرة ابن اللغة على استعمال وتهم لغته"[٣٠] وقد تسنى لتشومسكي أنْ يدرك مراتب تجلي التراكيب اللغوية عبر بيان للمستوى العميق الذي يفرض حتمية التراسل بين ما يستبطنه التركيب وما يقتظيه سلوك العناصر في انتظامها البنائي الناتج من ائتلاف طبقات المعنى[٣١]. إلا أنه فيما بعد وُفق مع بعض علماء اللغة التحويليين في جعل المعنى أساسا للدراسة اللغوية لاسيما فيما عرف بنظرية العامل والربط الاحالي Government and Binding Theory

---

[٢٨] التوجيه النوي للهجات في همع الهوامع / عادل محمد عبد الرحمن / علي حاتم الحسن : ١٤٥ .

[٢٩] المصدرالسابق : ١٧٥ .

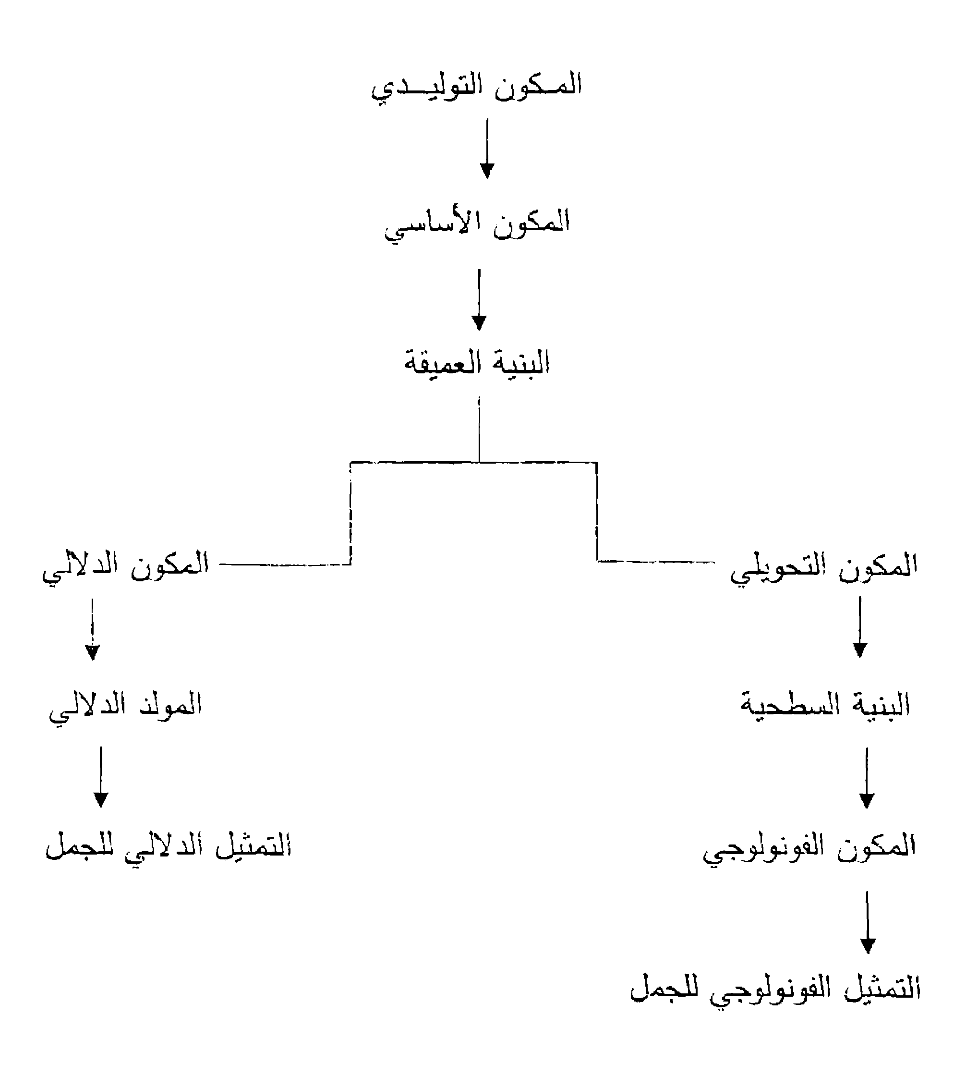
[٣٠] ديوان زهير بشرح ثعلب : ٢٣٤ .

[٣١] مغني اللبيب : ٤ / ٢٢٧-٢٢٨ .

وقد يترتب على هذا الاهتمام في الدلالة أن جعلوا المكون الدلالي مكونا رئيسا في دراسة الجملة فأصبح تشكيل الجملة في النحو التوليدي يتضمن منظومتين من القواعد :

الأولى: هي الأساس الذي تتولد منه البنية العميقة للجملة وهذا ما يعبر عنه بالمولد الدلالي الذي يمنح الجملة معناها.

الثانية : هي المولد التحويلي الذي ينتقل بالبنية العميقة إلى بنية سطحية وهذه بدورها يُعبر عنها بالمولد الصوتي الذي يمنحها اللفظ وهكذا فان توليد جملة كاملة يتضمن المراحل التالية .



وعلى هذا فمصطلح القواعد عند التحويليين يشمل :

١- المستوى الصوتي ٢- المستوى الصرفي ٣- المستوى الدلالي

٤- المستوى النحوي

وقد اشار تشومسكي إلى عناصر التحويل من حيث ترتيبُها في البنية العميقة بحسب وظائفها النحوية [٣٢] ، وبذلك يرى التحويليين أنّ البنية العميقة مسؤولة عما يأتي :

١- إنها تكون الأساس بالنسبة للمكوّن الدلالي ، ويتم التفسير الدلالي من طريقها .

٢- تبرز اعتماد مفهوم التحويل ، وذلك أن التحويل عملية ذهنية بين بُنى الجمل العميقة والسطحية

٣- تحدد الوظائف النحوية ، وترتيب عناصر الجملة .

إن مظاهر اهتمام علماء العربية بالجانب الدلالي هو : " أول واجب على المعرب " كما يرى ابن هشام ، وعلى هذا خرّج بيت زهير [٣٣]

تقيّ نقيّ لم يكثّرّ غَنيمة   بنهكة ذي قُربى ولا بحلقدِ

لا يمكن إعراب (بحاقد حتى تعرف معناها ، ويضيف "فنضرناها فإذا هو شيء الخلق ، فقلت : هو معطوف على شيء متوهم إذ المعنى ليس هو بمكثر غنيمة[٣٤] . وقد ذكر السيوطي "ان المعنى والأعراب الشيء الواحد بان يوجد في الكلام ، إن يدعو إلى أمر ، والأعراب يمنع منه والتمسك به

---

[٣٢] الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ١٨٢ .

[٣٣] معاني القرآن ، الفراء : ٣/١ .

[٣٤] مشكل إعراب القرآن :

صــحة المعنـى ، ويؤول لصـحة الأعـــراب " [٣٥] لقد أجمع القراء علـى ضمّ الدال وكسر اللام من (الله) إلا في الشواذ .

وقـد أسـتدل الفـراء بـالمعنى علـى صـحة الأعـراب فـي قولـه تعـالى : (الحمـد لله) ومنـــــهم مـن يقـول : (الحمـد لله) فيرفـع الـدال والـلام ، فأمـا من نصب فأنـه يقول : الحمدَ ، ليس باسم أنـى هو مصدر ؛ يجوز لقائلـه أن يقـول : أحمـد الله فـإذا صـلح مكـان المصـدر (فعـل أو يفعـل) جـاز فيـه النصب ؛ من ذلك قول الله تبارك وتعالى : { فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَـابِ } { محمـد ٤} يصـــــلح مكانهـا فــي مثلــه مــن الكـلام أن يقـول : ((فاضربوا الرقاب)) ومن ذلك قوله { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّـا إِذًا لَّظَـالِمُونَ } { يوسف٧٩ } يصلح أن تقول في مثلـه من الكــــلام: نعـوذ بـالله، ومنـه قـول العـرب (سـقا لـك ، ورغبـا لـك ، سـقاك الله ، ورعاك الله) .

وأما من خفض الدال من الحمد ، فأنه قال : هذه الكلمة كثـــرت علـى ألسن العـــرب حتـى كالاسم الواحد ، فثقُل عليهم أن يجتمع في اسم واحد مـن كلامهـم ضـمّة بعدها كسـرة ، أو كسـرةٌ بعـدها ضـمّة ووجـد الكسـرتين تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبِل ، فكسروا الدال على المثال من أسمائهم وأمـا الـذين رفعوا الّـلام فـإنهم أرادو المثـال الأكثـر مـن اسـماء العـرب الـذي يجتمع فيـه الضـمتان ، مثل : الحُلُم والعُقُب . ولا تُنْكرنّ ان يجعل الكلمتان كالواحدة إذا كثّربهما الكلام .[٣٦]

---

[٣٥] الألسنية التوليدية : ١٠٨.

[٣٦] الاتجاهات النحوية لدى القدماء : ٥٤ .

وقد اشار صاحب مشكل أعراب القرآن في قوله عزّ وجل : { الْحَمْدُ للّهِ } { الفاتحة:٢ } رفع بالابتداء و (لِلّهِ) الخبر. والابتداء بعامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلو الاسم المبتدأ من العوامل اللفظية ويجوز نصبه على المصدر . وكسرت اللام من { الْحَمْدُ للّهِ } { الفاتحة : ٢ } كما كسرت الباء في بسم ؛ العلة واحدة . وقد قال سيبويه : اصل اللام أن تكون مفتوحة بدلالة انفتاحها مع المضمر ، والاضمار يرد الاشياء إلى أصولها ، وإنما كسرت مع الظاهر للفرق بينها وبين اللام التأكيد . قال أبو محمد : وفيها نظر يطول ذكره ، واللام متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه كما كانت الباء في بسم [الله] تقديره : الحمد ثابت لله أو مستقر، وشبهه . ويجوز نصب رب العالمين على النداء أو على المدح . ويجوز رفعه على رب العالمين . فذلك { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } { الفاتحة٤ } يوم الدين ظرف جعل مفعولا على السعة فلذلك أُضيف إليه { مَالِكِ } { الفاتحة : ٤ } وكذلك في قراءة من قرأ : ملك بالألف[٣٧]. وقد اشار الدكتور هادي نهر : إنّ في بعض أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية من حيث الحركات الاعرابية أو البنائية يرجع ذلك إلى دور السياق في توجيه القراءات القرآنية ، حيث يكون السّياق بمكّوناته المتعدّدة بما فيها طبيعة المجتمع العربي التي كان عليها وقت نزول القرآن حيث (التعدّد

(٣٧) الكتاب : ١/٢٥-٢٦ .

اللهجوي) الذي عليه أكثر القبائل العربية ، وهو أساسا نتاج البيئة الجغرافية التي سكنتها تلك القبائل عزلة ، أو انفتاحا ، ثقافة وأعرافا وتقاليد .[٣٨]

ثانيا- التعليق : يبحث المنهج التحويلي في العلاقات بين مكونات الجملة لأن هذه العلاقات تحدد أصولية الجملة ، والجملة الأصولية هي الجملة الموافقة لقواعد اللغة[٣٩] ومن ثم فالتحويليون يبدؤون بدراسة الجملة انطلاقا من إنها اللغة الأساسية ، وهي عبارة عن إشارات تخلقها(ميكانيكية) القواعد في النموذج التوليدي ، أما ما يتفرع عن هذه الجملة فإنّه يُدرس في نطاقهم ، وهم يفترضون في قواعد اللغة أن تكون جهاز التوليد جميع الجمل الصحيحة [٤٠]

وهذا يذكرنا بما صدر عن سيبويه في تحديد باب الاستقامة في الكلام والإحالة حيث يقول : (فالكلام منه مستقيم حَسَن ، محالٌ، ومُستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب)[٤١]

نلاحظ أن سيبويه في تقسيمه هذا يفكر ضمنيا في التعليق الإسنادي الذي من شأنه أن ينتج جملة أصولية ، وهذا يشير إلى قدرته على ربط الدلالة بالوظائف التركيبية ، فالجملة التي تمثل المستقيم الحسن ، (أتيتك

---

[٣٨] الألسنية التوليدية : ١٠٨، وانظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما : ٣٠٠ .

[٣٩] الكتاب :١-٢٥-٢٦ .

[٤٠] الاتجاهات النحوية لدى القدماء : ٢١٠ .

[٤١] معاني القرآن الفراء :١/٨٣ .

أمس) واضح أن مصدر الصحة فيها من ناحيتي التركيب والدلالة معا [٤٢] ولكنه لا يعمد الاستقامة على الاطلاق وإنّما يقيدها بمعيارية دلالية تنطوي على ثلاثة أنساق تجعــل من الاستقامة قاعدة بنائية تتنوع على محور واحد يجمعها ، فنكون من باب التنوع المختلــف المفضي إلى توحد مؤتلف . وتبدي قاعده : "المستقيم الحسن" مستويات الإنجاز اللغويّ في أداء المعنى المراد وتفرض نظاما يقتضي تحقيق البنى التركيبية للمعنى الدلالي الذي تنعقد عليه.[٤٣]

فمثاله عنده عند الفرّاء في قوله تبارك وتعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا } { البقرة : ١٤٣ } يعني عدلا { لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ } {١٤٣} يقال : إن كــل نبيّ يأتــي يــوم القيامة فتقول أمته : لا فيكذّبون الأنبياء . ثم يجاء بأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فيصدّقون الأنبياء ونبيهم ، ثم يأتي النبيّ صلى الله عليه وسلم فيصدّق أمته ، فذلك قوله تبارك وتعالى : قال تعالى : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم { لِّتَكُونُـواْ شُـهَدَاء عَلَـى النَّـاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُـولُ عَلَـيْكُمْ شَـهِيدا } {البقرة : ١٤٣} . ومنــه قـــوله تعالى: { فَكَيْـفَ إِذَا جِئْنَـا مِـن كُـلِّ أمَّـةٍ بِشَـهِيدٍ وَجِئْنَـا بِـكَ عَلَـى هَـؤُلاء شَـهِيدا } { النساء ٤١ }[٤٤] وقد مسّ ابن جني هذه الظاهرة مسّا ذكيا ، ينطلق فيه من تصور يتمثل في وعي الإنسان بأهمية اللغة المعبرة عن المعاني في وجوده بوصفه إنسانا ، بتصوره لطريقة العرب في وضع لغتهم "وذلك أنّهم وزنوا

---

[٤٢] تشومسكي والثورة اللغوية ، مقالة في مجلة الفكر العدد (٨-٩) :١٣٢ .

[٤٣] الاتجاهات النحوية لدى القدماء :٢١٠ .

[٤٤] نظرية التوليد والتحويل بين الفكرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد الله عنبر : ٤١٧ .

أحوالهم وعرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا أنّهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني ، وأنها لابُدّ لها من أسماء وأفعال والحروف ، فلا عليهم بأيها بدأوا ، بالاسم أم بالفعل أو بالحرف ، لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم ، أن يأتوا بهن جُمع إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهم[٤٥] . أما "المحال الكذب" فمثاله عند سيبويه ، فهو إغراق في التنافر المؤدي إلى درجة غير معقوله تقضي غياب التناسق الدلالي ، مما يجعل البنية التركيبية لا تخدم بعدا دلاليا ويمثل سيبويه المحال الكذب بقوله (حملت الجبل أو شربت البحر ماء) [٤٦] ومن الواضح أن هاتين الجملتين صحيحتان من ناحية التركيب ، فالجملة الأولى مثلا تتكون

المسند + المسند إليه + المفعول به = جملة صحيحة

ولكنهما غير صحيحتين من حيث الدلالة[٤٧] يرى الدكتور العياشي " إن النظام اللغوي يسمح بإنتاج جمل تمتلك قدرة لا نهائية للتواصل في السلسة الكلامية ، تتطابق مع مقدار حاجة المتكلم للتعبير عن مقصدهُ [٤٨] . فالفراء في تفسير قوله تعالى : { فَقَلِيلا مَّا يُؤْمِنُونَ } {البقرة ٨٨} يقول القائل : هل كان لهم قليل من الإيمان أو كثير ؟ فيفه وجهان من العربية أحدها – الآ يكونوا آمنوا قليلا ولا كثيرا ، ومثله مما تقوله العرب على القلة على أن ينفوا الفعل كله قلّما رأيت مثل هذا قط وحكى الكسائي عن العرب : مررت

---

[٤٥] معاني القران ، الفراء : ١/٧٥ .

[٤٦] اللسانية التوليدية والتحويلية عادل فاخوري : ٢٠ .

[٤٧] المقتضب : ٤ /١٥٨ .

[٤٨] المصدر السابق ٤ /١٥٨ .

بلاد قل ما تنبت إلا البصل والكراث ، أي ما تنبت إلا هذين وكذلك قول العرب : ما أكاد ابر منزلي ، وليس يبرحهُ وقد يكون يبرحه قليلا والوجه الآخر – أن يكونوا يصدقون بالشيء قليلا و يكفرون ما سواه : بالنبي (صلى الله عليه وسلم) . وآيات الله فذلك قوله { فَقَلِيلا مَّا يُؤْمِنُونَ } { البقرة ٨٨ } وكذلك المفسرون في قوله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ } { يوسف١٠٦} .[٤٩]

الجملة البسيطة والمركبة : لقيت الألسنية الحديثة صعوبةً كبيرة في تحديد مفهوم الجملة ؛ وهذه الصعوبة لم تنشأ من فراغ ، وإنّما نجمت عن طبيعة الثقافة اللغوية التي كانت في حوزة الألسنيين الأوربيين ؛ فقد كانت تكتظ بالعديد من التعريفات المتناقضة للجملة ، وقد أوصلها بعضهم إلى (١٤٠) مائة وأربعين تعريفًا[٥٠] أشار دي سوسير إلى أن الجملة نظام من أنظمة التراكيب أثارت انتباه البنيويين الأوربيين وخاصة – مدرسة جنيف – ودفعتهم إلى البحث عن سبب نظام التركيب بدلا من البحث عن مفهوم الجملة[٥١]. وهذه هي الأسس التي كان الألسنيون المعاصرون يراعونها عند تعريفهم الجملة ، وهكذا استمر الأمر عندهم إلى ظهور المدرسة التحويلية ، فقد اعتمت في تعريفها للجملة على أساس جديد ؛ وهو توليد العبارات والتحويلات ؛ فالجملة عنهم : «مجموعة من العبارات[٥٢] تخلقها ميكانيكية

---

(٤٩) المصدر السابق ٤/ ١٥٩ .

(٥٠) مدخل إلى دراسة الجملة / الدكتور محمود نحلة :١١ .

(٥١) المصدر السابق :١١ ، وينظر اللسانيات الحديثة / الدكتور سامي :١٣ .

(٥٢) ونسب هذه التعريفات إلى يسيرسن Jespersen .

القواعد (٥٣) في النموذج التوليدي (٥٤) ترتبط نشأة هذا المنهج بالمدرسة اللغوية الأمريكية ، وبرائدها المشهور بلو فيلد ؛ وذلك حين قام بتحليل بعض الجمل في كتابه المشهور "Language" إلى مكوناتها (عناصرها) المباشرة (٥٥). فعرف تشومسكي اللغة : (اللغة مجموعة من الجمل ، كل جملة محدودة من حيث الطول ، وتتركب من مجموعة محدودة من العناصر). وقد بين تشومسكي أن كلا من البنيوية والقواعد التقليدية لم تتجاوز مرحلة التصنيف ، فبقيت سطحية . ورأى أن الوصف البنيوي للجمل ينبغي أن يوضح كيف تفهم هذه الجملة من قبل ابن اللغة المثالي . فانتقل بذلك من الوصف والتصنيف إلى التفسير مؤكدا على أن المهمة الجوهرية للبحث اللساني ليست وصف العينات فقط ، إنما تفسير حقائق اللغة بتكوين شكل لما تضمنته معرفة اللغة (٥٦)

ومثاله في النحو العربي ، لم يستعمل سيبويه ولا النحاة من قبله مصطلح "الجملة"، لكنه استخدم مصطلح "الكلام" للتعبير عن موضوعات نحوية متعددة منها ما يتحد بمفهوم "الجملة"(٥٧). استمرّ النحاة من بعد سيبويه في عدم استخدام مصطلح "الجملة" إلى أن وصل المبّرد كان أوّل من

---

(٥٣) (يقصد بها المركبات كالمركب الاسمي والمركب الفعلي ، ويطلق عليه البعض العبارة الاسمية والعبارة الفعلية عند المنهج التحولي) .

(٥٤) مدخل إلى الجملة العربية / الدكتور أحمد نحلة : ٢٧-٢٨ .

(٥٥) المصدر نفسة : ١/ ٩ .

(٥٦) معرفة اللغة عند تشومسكي :

(٥٧) ينظر إلى مدخل دراسة الجملة العربية / الدكتور محمود نحلة : ١٩.

استخدم هذا المصطلح[٥٨] ؛ حين قال في المقتضب : « وإنّما كان الفاعل رفعًا ؛ لأنه هو والفعل جملةٌ يحسن السكوت عليها ، وتجب بها الفائدة للمخاطب»[٥٩] لكنه استخـــدم مع ذلك مصطلح "الكلام" للدلالة على معنى الجملة – كما كان عند سيبويه – ؛ إذ قال : « فالكلام كلّه اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو الكلام عربيًا كان أو عجميًا »[٦٠] . وقد تبعه في استخـــدام مصطلـــح "الجملة" تلميذه ابن السرّاج ؛ وذلك في كتابه الأصول عند تقسيمه الجملة إلى قسمين حيـــث قال : « والجمل المفيدة على ضربين ؛ إمّا فعل وفاعل ، وإمّا مبتدأ وخبر»[٦١] وعلى وأمّا نحاة الكوفة فإنهم بقوا على منهج سيبويه في ذلك مستخدمين " الكلام " للدلالة على مفهوم الجملة ؛ كما يظهر ذلك عند الفراء حين قال : « وقد وقع الفعل في أوّل الكلام » يقصد في أوّل الجملة[٦٢] ؛ هي الجملة الفعلية[٦٣]، وهكذا في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه معاني القرآن[٦٤] وقد عبر الفراء عن ذلك بقوله في معنـــى قولـــه تعالى: { وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ } { النساء ١٦٤} نصبه من جهتين . يكون من قولك : كما أوحينا إلى رسل من قبلك ، فإذا حذف (إلى) والإرسال اتصلت بالفعل فكانت

---

(٥٨) المصدر نفسه : ١٩ .

(٥٩) المقتضب /المبرّد : ١٤٦/١ .

(٦٠) المصدر نفسه : ١٤٦/١ .

(٦١) معاني القرآن الفراء : ١٠/٢ .

(٦٢) الاصول / ابن السراج : ٧٠/١ .

(٦٣) نظرية التوليد والتحويل بين القدرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد بن عنبر ٤١ .

(٦٤) الكتاب : ١٢٣/٢ .

نصبا ؛ كقوله { يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابا أَلِيما } الإنسان ٣١ : ويكون نصبا من(قصصناهم).[٦٥]

الجمل الملتبسة : كان من المآخذ التي وجهّا التحويليون الى أصحاب المنهج الوصفي عدم القدرة على تفسير الجمل الملتبسة وذلك نحو: (الرجال والأولاد الأقوياء) وجملة (نقد زيد نقد مسموع) وذلك بالإشارة إلى أن أمثال هذه الجمل يحتمل أكثر من معنى ، ففي الجملة الأولى قد يكون المقصود نسبة القوة إلى الرجال والأولاد جميعا وقد يكون نسبة القوة إلى الأولاد فقط ، وفي الجملة الثانية قد يكون النقد موجها إلى زيد وقد يكون موجها من زيد . وقد حاول التحويليون تفسير هذه الجمل بردّها إلى بنيتين عميقتين متغايرتين ومن ثم مثلوا لها بمشجرين مختلفين هما للجملة الأولى :

ـــــ الأقوياء الرجال ـــــــــــ

ـــــ الأولاد و ـــــ

ـــــ و الأولاد ـــــ

ـــــ الرجال الأقوياء ـــــ

ومن الواضح أن المشجر الأول ، القوة منسوبة فيه إلى الرجال والأولاد والمشجر الثاني **يشير إلى** أن القوة منسوبة فيه إلى الأولاد فقط .[٦٦] وقد

---

(٦٥) الخصائص ٢/ ٤٩٤ .

(٦٦) الكتاب : ٢/ ٣٤ .

أشار نحاة العربية إلى هذه المواضع وما شبهها ، وصدروا عن تمثيل عميق لمعاني هذه الجمل عند تحليلها جاء في (المغني) : " من الجمل ما يحتمل الانشائية والخبرية فيختلف الحكم باختلاف التقدير وله امثلة منها قوله تعالى : { قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا } { المائدة :٢٣ } فأنَّ جملة (انعمَ اللهُ عليهما) تحتمل الدعاء فتكون معترضة والاخبار فتكون صفة ثانية [٦٧]

وعلى هذا خرّج الفراء الآية في قوله تعالى : { أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } { البقرة : ١١٧} رفعا ولا يكون نصبا ، إنما مروده على(يقول) [فإنما يقول فيكون] وكذلك قوله : { وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ } { الأنعام : ٧٣ } رفع لا غير. وأمّا التي في النحل: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } { النحل :٤٠} فإنها نصبٌ ، وكذلك في (الآية) نصبٌ ؛ لإنّها مردودة على فعل قد نُصب بأن ، وأكثر القرّاء على رفعها . والرفع صوابٌ ، وذلك أن تجعل الكلام مكتفيا عند قوله : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } { النحل :٤٠} فقد تم الكلام ، ثم قال : فتكون ما أراد الله . وأنه لأحبُّ الوجهين إليّ ، وإن كان الكسائيّ لايُجيز الرفع فيهما ويذهبُ إلى النسق [٦٨] . إنَّ الدراسة اللغوية عند تشومسكي هو (المعرفة) التي يمتلكها ابن اللغة ، التي تمكنه من انتاج

---

[٦٧] الكتاب : ١/١١٩ .

[٦٨] دلائل الإعجاز : ٣١١ .

الجمل وفهمها . وهذه المعرفة تسمى (القدرة) وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها في لغته ، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبنائها [٦٩]

توحد المـــعنى وتـــعدد المــبنى : وقد حاول التحـــويليون تفسير الجمل التي تبدو متشابهة في بنيتها الظاهرة إلا أنها تؤدي معاني مختلفة ، وذلك نحو : زيد كبير الرأس ، وزيد كبير الاخوة ، ودُفع المال من زيد ، وذلك بردِّها إلى بنى عميقة مختلفة ، فمثلا الجمـــلة الأولى يمكن تحويلها إلى (الرأس زيد كبير) دون أن يتغير المعنى بينما لايصح ذلك في الجمـلة الثانية إذ في الجملة الثانية (أخوة زيد كبار) لا تساوي في المعنى (زيد كبير الأخوة) وكذلك فأن الجمـــلة دُفع المال من زيـــد إلى البنية العميقـــة ((دُفع زيد المال)) ربما يتنافى ذلك في الجملتين[٧٠] .

قال المبرّد : "اعلم هذه الصفة إنما حدها أن تقول : هذا رجلٌ حسنٌ وجهُهُ ، كثير مالهُ فترفع ما بعد(حسن) و(كثر) ، بفعلهما ، لأن الحُسْن إنما هو للوَجْه والكَثْرة إنما هي للماء"[٧١] ، وقال : هذا رجلٌ حَسنُ الوجه [٧٢] وقد أشار المبرّد إلا أنّ علة استعمال الصيغة الثانية (زيد عريض الجبين) من قبيل الخفة[٧٣]. وفي الجملة الثانية نلاحظ أن الخبر يحتمل ضميرا (فاعلا) عائدا على المبتدأ (جبين) وكذلك الجملة الثالثة . ويتضح هذا

---

[٦٩] الكشاف ٣ / ١٥٨ .

[٧٠] معاني القرآن ، الفراء : ٢/٢٨٦ .

[٧١] من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس :٣٣٣ .

[٧٢] الكتاب ١/ ٢٩٤ .

[٧٣] السابق ١/١٢٩ .

المفهوم لديهم عن طريق تقليبيهم لظاهرة تقدم التميز إذا العامل فعلا متصرفا فقد ربطوا بين الجملتين من نحو : تصبب زيدٌ عرقا ، وتصبب عرقُ زيد وعلى هذا الأساس الدلالي رفض معظم البصريين تَقَدُم المميز عليه ، إذ لايجوز أن تقول "عرقا تصبب زيد " وذلك لأنه الفاعل في المعنى ، فالمتصبب هو العرق وليس" زيدا " بينما أجازوا ذلك في الحال ،إذ يجوز أن تقول : (جاء زيد راكبا، وراكبا جاء زيد) فزيد هو الفاعل لفظا ومعنى ، وإذا استوفى الفعل فاعله من جهة اللفظ والمعنى صار" راكبا "، بمنزلة المفعول المختص لاستيفاء الفعل فاعله فجاز تقد [٧٤] وكذلك فقد أدركوا الفرق بين بعض الجمل المتشابهة في التركيب ، إلا أنها مختلفة في الدلالة ، وذلك نحو تميزهم بين الجملتين : امتلأ الإناء ماءً و: تصبب زيدٌ عرقا وذلك بتحلل التركيبتين ، ففي التركيب الأول لا يجوز أن تقول "امتلأ ماء الإناء ،وذلك لأنه فاعل في الحقيقة بينما يستطيع القول : " تصبب عَرقُ زيدِ "وذلك لأن (زيد) ليس فاعلا في الحقيقة [٧٥] وقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا } {البقرة٢٦} البقرة **قال الفراء** : أما نصبهم (البعوضة) فيكون على ثلاثة أوجه أولها : أن يُوقع الضّرب **على** البعوضة ، وتجعل" ما " صلةٌ كقولهِ : { قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ } {المؤمنون٤٠} [يريد عن قليل] المعنى – والله أعلم – أنا الله لا يستحي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلا . والوجه الآخر : أن تجعل "ما" أسما والبعوضة صلة فتعربها بتعريب" ما " وذلك

---

[٧٤] شرح الكافية ، الاستراباذي ١/١٢٩ .

[٧٥] دلائل الإعجاز :١١٢ .

جائز في "من" و "ما" فيكونا معرفة في حال ونكرة في حال كما قال حسان بن ثابت :

فَكَفَى بِنا فَضْلا علَى مَنْ غَيْرِنا   حُـبُّ النبيء مُـحَمّدٍ إيانا

قال الفَراء : يروى : "علـى مَنْ غَيرُنـا " والرفـع فـي "بعوضـة " ها هنا جائز لأن الصـلة تُرفع ، وأسـمها منصوب ومخفوض . وأما الوجه الثالث – فأن تجعل المعنـى علـى : إن الله لا يستحي أن يضـــرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها . والعرب إذا ألقتْ " بين " من كلام تصلُح "إلى" في آخـرة نصـبوا الحـرفين المخفوضـين اللـذين خفــض أحدهــما ب"بـين "والآخر ب"إلى" فقولون : مُطْرنا ما زُبالة فالثّعْلبية[٧٦] ، وله عشرون ما ناقةً فجملا ، وهي أحسن النّاس ما قَرْنا فقدم [٧٧] . قال الكسائيّ : سمعت أعرابيا رأى الهلال فقال : الحمد لله ما هلالك إلى أسرارك ، يريد ما بين إهلالك إلى أسرارك ، فجعلوا النصب الذي كان يكون في" بين " فيما بعد إذا سقطت ؛ليعم إن معنى بين مراد [٧٨]. من عناصر التحويل

التقديم والتأخير : عدّ التحوليوين الترتيب عنصرا من عناصر التحويل في الجملة ويتم ذلك بإحلال عنصر مكان عنصرا آخر فيها ، ويمكن التعبير عن هذا العنصر رياضيا بالشكل الآتي :

أ + ب ——— ب + أ

---

(٧٦) الكتاب : ٢/ ٣٩١ .

(٧٧) معاني القرآن ، الفراء : ٢/٦٣ .

(٧٨) الكتاب : ١/ ١٢٨ .

وهذا يشير إلى الأثر الدلالي الذي يحدثه هذا النوع من التحويل . وقد أعتنى نحاة العربية بهذه الظاهرة ، ودرسوا أثرها من ناحية تركيبة ودلالية فقد أشاروا إلى أن التقديم والتأخير ، قد يؤدي إلى انتقال الكلمة من حالة إعرابية إلى حالة إعرابية أخرى[٧٩] . لعل سيبويه أول من وجه الانتباه إلى أهمية التقديم والتأخير وبين غرضه البلاغي ، فهو يقرر أنّ التقديم ضرب من العناية والاهتمام : "" كأنهم إنما يقدمون بيانه أهم لهم ، وهم بيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم" [٨٠] وهذا يبدي أنَّ الكلمات بنى معرفية تحمل سواقع تؤلف النموذج اللغوي الموافق للمعنى ، وأنَّ تغيّر الرتبة يرمي إلى تكوين علاقات جديدة تجعل الدلالة تقام على نسبة العلاقة بين عناصر التركيب[٨١]. وجاءت نظرة عبد القاهر الجرجاني لتمد في أفاق نظرة سيبويه في بيان اسرار التقديم والتأخير وإظهار محاسنه ، ولك في قوله " هو باب كثير الفوائد جم المحاسن ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لايزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ، ولاتزال ترى سعرا يروقك مسمعه ، ويلطف ليديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان " [٨٢] وقد نفذ عبد القاهر الجرجاني من خلال ملاحظته لترتيب الجملة إلى إدراك البنية العميقة لها (الأصل) ، ولحظ ما يترتب على ذلك من أثر

---

(٧٩) الأصول في النحو (أبن السراج) : ٢/ ٢٦٥ .

(٨٠) الكتاب / سيبويه /١/٣٤ .

(٨١) نظرية التوليد والتحويل بين الفكرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد الله عنبر :٤١٤ .

(٨٢) دلائل الاعجاز : ٨٣ .

في الدلالـة ، مثـال ذلك ، أنـه توقـف عنـد الآيـة الكريمـة : { وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا } { مـريم٤ } فقـال :" فإنــه لـو كـان اللفـظ واشـتعل شـيب الـرأس " أو " واشتـــعل الشيب فـي الـرأس " ، علـى الأصـل ، لم يفد مـا أفـاده الأول مــن معاني الشيب الذي يفـد الشمـــول والشيوع والاستقرار ، حتى لم يبق شيء من سواده . وبذلك فقد حـــثّ الجرجاني على العناية بظاهرة التقديم والتأخير [٨٣]

وقد أهتم المفسرون بالتقديم والتأخير في الجملة اهتماما كبيرا ، فميّزوا من خلاله بين الآيات التي تبدو على قدر كبير من التشابه ، وذلك نحو تميز الزمخشري بين الآيتين الكريمتين : { لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } { النمل٦٨ } { لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } { المؤمنون٨٣ } وذلك بقوله :" فإن قلت : قدَّم في هذه الآية (هذا) ... قلت : التقديم ، دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر ، وأن الكلام إنما سبق لأجله ، ففي إحدى الآيتين دليل على أن أتحاذ البعث هو الذي تُعْتَمد بالكلام ، وفي الأخرى على أن أتخاذ المبعوث بذلك الصدد " [٨٤]

أشار الفراء في قوله عزّ وجل : {هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } {النمل٢} ، رفع وإن شئت نصبت . النصب على القطع (يريد النصب على الحال) ، والرفع على الاستئناف . ومثله في البقرة : { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } {البقرة٢} : وفي

---

[٨٣] المصدر نفسه : ١١٢ .

[٨٤] الكشاف / الزمخشري :

لقمان {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } { لقمان٣ } [٨٥] ومن هنا يتضح لنا أن التقديم والتأخير يتعلق أساسا بطبيعة اللغة التي يتم فيها ؛ إذ ليست امكانات اللغات في ذلك على حد سواء فحرية التصرف في اللغة العربية ليست على اطلاقها ، بل إنَّ هناك ما يحدها ، وآية ذلك ما نراه عند اهل العربية من تقسيمهم لرتبة الكلمة إلى قسمين : رتبة محفوظة يجب فيها تقديم جزء من الجملة على جزء آخر ، أو رتبة غير محفوظة تعبر عن حرية جزء الجملة أو الباب النحوي في موقعه من حيث التقديم والتأخير [٨٦] عنصر من العناصر التي يمكن أن تطرأ على التركيب ، فيكون له أثر واضح في الدلالة ، فالألفاظ تنظم على الوجه الذي يقـــرره المعنى الكلي الذي تتلاقى عليه عناصر النسق ، ومقتضى هذا التناسق ما يرتضيه العقل في بناء المعنى فقيادة البنى التركيبية في يد المعنى الذي يهيمن على الالفاظ التي تناسبه مثل في الآيات القرآنية الاتية : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {الفاتحة٥} { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } {العنكبوت٥٦} { كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } {العنكبوت٤٠} : { وخُذُوهُ فَغُلُّوهُ {٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ {٣١} } { الحاقة } وبهذا يتضح انَّ : "عملية تأليف الجمل تنظمها رتب تختلف في اللغة الواحدة ، وتختلف من لغة إلى لغة ، إلا أنَّ تغيرات الرتبة في اللغة الواحدة او في اللغات المختلفة ليس اعتباطية أو غير محددة بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى داخل الجمل (من فعل وفاعل ومفعول ...) أو رتب مكونات اصغر داخل المركبات الاسمية أو الحرفية أو

---

[٨٥] معاني القرآن ، الفراء : ٤/ ٥٩ .

[٨٦] اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبة ودلالية) / عبد القاهر الفهري : ٨٣ .

الفعلية ومن أهداف النظرية اللسانية أنَّ كفايتها ليست مرهونة فقط بتخصيص ووصف ما يلاحظ من ظواهر الرتيبة ، بل بحصر مالا يمكن أنَّ يلاحظ منها [٨٧] ويؤيد هذا المنحى عبد القاهر الجرجاني بقوله : "الفائدة في معرفة هذا الفرق أنَّك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاؤه العقل"[٨٨]

الحذف : الحذف عنصر من عناصر التحويل التي تتحول البنية العميقة خلالها إلى بنية سطحية ذات دلالة خاصة

وقد عرف النحاة العرب ظاهرة الحذف في اللغة ، وحاولوا الوقوف على أسبابها فذكروا أنّ الحذف قد يكون لكثرة الاستعمال ، في المسموع ، وذلك نحو : حذف الفعل بعد (أما) وذلك "لأنه من المضمر المتروك إظهاره ... لأن أما كثرت في كلامهم ، واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل " [٨٩]

وقد أشاروا إلى كثرة الاستعمال في المسموع ، وذلك " كقولهم : أمر ونفسه ، أي : وجوب الحذف أي كثرة الاستعمال " [٩٠]

---

(٨٧) المصدر نفسه : ٨٣ .

(٨٨) دلائل الإعجاز : ٤٠ .

(٨٩) الكتاب ٢/٢٣٩ .

(٩٠) المصدر السابق : ٢/٢٤٨ .

وكذلك قد يقع الحذف لوجود قرينة دالة على تعين المحذوف ، وهذه القرينة " قد تكون لفظية ، كما إذا قال شخص من أضرب ؟ فتقول : زيدا ، وقد تكون حالية ، كما إذا رأيت شخصا في يده خشبة ، قاصدا لضرب شخص فتقول : زيدا" (٩١)

وهذا يدل دلالة واضحة على النحاة كانوا يهتمون بالموقف الكلامي بكل عناصره ، في مثل هذه الحالات إلاّ دليل على بلاغة المتكلم ، الذي يرى أنّ "ترك الذكر أفصح من الذكر " (٩٢)

وفي إشارة إلى أن الإيجاز هدف من أهداف الحذف ، ومن ذلك قولهم : من كذّب كان شرا له ، يريد : إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب لقوله : الكذب في أول حديثه " (٩٣)

وإلى مثل هذا أشار الفراء في تفسيره لقوله تعالى { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ جَمِيعا { الرعد ٣١ } : قال : لم يأتي بعد الجواب لـ (لو) ، فإن شئنا جعلنا جوابها متروكا ، لأن أمره معلوم ، والعرب تحذف الشيء ، إذا كان معلوما ، إرادة الإيجاز .(٩٤)

وقد أشاروا إلى أن الحذف قد يكون بسبب ارتباط الحديث بالحواس الخمس ، قال سيبويه" أنك إذا رأيت صورة شخص فصار آية لك على

---

(٩١) النحو العربي والدرس الحديث ، عبده الراجحي : ٥٤ .

(٩٢) مغني اللبيب ١/ ص٣١٥ .

(٩٣) في النحو العربي نقد وتوجه ، مهدي المخزومي : ٧٦ .

(٩٤) الإعراب في قواعد الإعراب : ١٥٧ .

معرفة فقلت : عبد الله وربي كأنّك قلت : ذاك عبد الله ، أو هذا عبد الله ، أو سمعتُ صوتا فعرفت صاحب الصوت ، فصار آية لك مع معرفته ، فقلت : زيد وربي ، مَسَسْت جَسَدا أو شَمَمت ريحا فقلت : زيد أو المسك ، أو ذقت طعاما ، فقلت : العسل " [٩٥]

وقد أشاروا إلى أنّ الحذف قد للاتساع وذلك نحو حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى : { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ } { يوسف ٨٢ } وقول العرب بنو فلان يطؤهُمُ الطريق ، يريدون أهل الطريق . [٩٦]

وهكذا فقد كان النحاة العرب على وعي بكثير من مسالك الحذف وما يترتب عليه من مسالك الحذف وما يترتب عليه من تغير في الدلالة ،مما يعدّونه " بابا دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر " [٩٧]

التضييق : أن التضييق من أنماط التحويل في النهج التحويلي يتم بحذف عنصر من عناصر التركيب ، متضمن في العنصر الباقي .

ويكمن تفسير حذف ياء الإضافة إلى المتكلم والتعويض عنها بالكسرة مثلا ، على أنه نمط من أنماط التحويل بالتضييق ، ذلك أن إبقاء الكسرة دالا على الياء ، فالياء محذوفة متضمنة في العنصر الباقي منها ، وفي ذلك أشار الفراء في نحو قوله تعالى { يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ

---

[٩٥] شرح الكافية لأبن الحاجب ٢/ ٣٨ .

[٩٦] أصول النحو ، أبن السراج ٦٨/١ .

[٩٧] معاني القرآن ، الفراء ١/ ٦٨ .

تَحْزَنُونَ } { الزخرف ٦٨ } وهي في قراءة أهل المدينة : (ياعبادي) بإثبات الياء ، والكلام وقراءة العوام حذف الياء . [٩٨]

ويمكن تفسير الترخيم أيضا على أنه من أنماط التحويل بالتضييق وذلك لأنه بالترخيم يتم "حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفا " [٩٩]

ويمكن بواسطة التضييق تفسير وجود أسماء خاصة بالنداء وذلك نحو "فل " "وفلة "بدلا من فلان وفلانة [١٠٠] إذا ما بقي من الاسم بعد الحذف دال عليه .

الزيادة : الزيادة عنصر من عناصر التحويل في المنهج التحويلي ، ويقصد بها زيادة في المنطوق على نظيره في العميقة .

فالتحويليون يشيرون إلى (أن هناك تركيبات نظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق ، ولكنها تظهر في البنية السطحية ، مع حدوث دلالة جديدة لها : " كزيادة أول الهمزة في الجملة فتنقلها إلى إفادة معنى الاستفهام وذلك نحو : هل ضرب زيد عمرا . فالبنية العميقة لهذا الجملة تتكون من : ضرب زيد عمرا

مسند (م) + مسند إليه (م أ) + فضلة (ف) .

ثم دخلت الأداة (أد) ، و(هل) فأصبح التركيب يفيد الاستفهام. ومعنى ذلك أن : التركيب ألاستفهامي= استفهام تصديقي + التركيب

---

[٩٨] الكتاب : ٢/ ٢٤٨ .

[٩٩] أصول النحو ، أبن السراج : ٢/٢٣٩ .

[١٠٠] معاني القرآن ، الفراء : ٣/ ٢٦٠ .

الأساسي . ومعلوم أن الهمزة للتصديق الإيجابي والسلبي ، بينما هل تستعمل للتصديق الإيجابي فقط . (٦٣) وتلتقي نحاة العربية في تصورهم لباب الاستفهام مع المنهج التحويلي ذلك أنهم عدّوا (هل والهمزة) ، أداتين تفيدان . الاستفهام التصديقي ، ويجوز حذفهما من التركيب ، ويمكن أن يقوم التنغيم مقامهما ، وذلك كما في قول عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا : تُحبها ؟ قلت : بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

قال أن هشام " أراد أتحبها ؟ فحذف الاستفهام[١٠١]. وعلى هذا يمكن أن ندرس مفهوم الزيادة بوجه عام بأنه ما زاد على النظير في البنية العميقة ، وليس لأنه لا قيمة له في المعنى ، أو لأنه تسمية مبعثها تأثّر النحاة بالمنطق كما ذهب بعض الباحثين ، يقول مهدي المخزومي في سياق تعليقه على المفهوم العمدة والفضلة : " إن الذي دفع النحاة إلى هذا التصور هو عرفانهم بالقضية المنطقية المؤلفة من موضوع ومحمول ، وهما عُمدة القضية وركناها ، زائد إن شئت عنه . [١٠٢]

ومن منظور التحويلي أيضا يمكن أن نفهم معنى الحروف الزائدة ، ولعلها من أكثر المفاهيم التي تعرضت لشيء من الاضطراب في التسمية عند القدماء ، فمنهم من سماها حروف الصلة ، وهي ثمانية (أن ، إن ، ما ، لا، من ، الباء ، اللام ، الكاف) (٦٦) وذلك لأنه يتوصل إلى الفصاحة ، أو إلى إقامة وزن أو سجع أو غير ذلك ،" ومنهم من سماها

---

[١٠١] الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية : ٤٤ .

[١٠٢] معاني القرآن ، الفراء ٣/٦٩ .

حروف زيادة " لأنه لا يتغير بها المعنى ، بل لا يزيد " لأنه لا يتغير بها أصل المعنى ، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت و تقويته " .[١٠٣]

وقد وضعوا لعا معيارا يدل عليها ، وهو دخولها كخروجها (٦٨) ولعل المقصود بزيادتها ، هو من ناحية تركيبية ، وهذا يبدو جليا من المنظور تحويلي ، إذ بحث التحويليون عن الجزء الأساسي أو المركزي في الجملة Kernel sentence ثم بدوءا بعد ذلك بحث ما يطرأ على هذا التركيب من خلال قواعد أو عناصر التحويل من ترتيب وحذف وتضيق وزيادة وإحلال .

وعلى هذا فأن زيادة (من) في الآية الكريمة { هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ } { التوبة ١٢٧} إنّ أشاره الفراء إلى ذلك بقوله فيما ذكرهم وعيبهم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من احد لأن متم ، فأن لهي أيام أقاموا .[١٠٤]

هي زيادة على النظير القرآني فالجملة النواة للآية الكريمة هي يراكم أحد . ثم بعد ذلك حدث تحويل بزيادة هل . نقل إلى البنية العميقة إلى بنية سطحية استفهامية ، فأصبحت هل يراكم أحد " ثم حدثت زيادة وذلك بغرض التوكيد ، فأصبحت : هل يراكم من أحد " [١٠٥]

التوسعة Expansion : التوسعة نمط من أنماط التحويل ، وهي تتمثل جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر اتساعا مما كان عليه

---

[١٠٣] الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية : ٤١ .

[١٠٤] الاتجاهات النحوية لدى القدماء :٣٢٥ .

[١٠٥] الكتاب :٢/٢٤٨ .

قبل التحويل . ويمكن تلقي هذه القاعدة الضوء على بعض التراكيب في العربية ، وذلك نحو : وجود أكثر من أداة نداء للمنادى . : ما ورد في قول الشاعر :

أيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن　　ندماي من نجْران أن لا تلاقيا

فقد اجتمعت "الهمزة والياء " وذلك من باب التوسعة للتأكيد .[١٠٦]، وكذلك نحو وجود أكثر من أداة { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ } {الفجر٢٧} أشار الفراء أشار الفراء إلى ذلك بقوله : بالإيمان والمصدّقة بالثواب والبعث قال تعالى : { ارْجِعِي } { الفجر٢٨} تقول الملائكة إذا أعطوا كتبهم بأيمانهم قال تعالى : { ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ } {الفجر ٢٨} إلى ماعدا ذلك من الثواب .[١٠٧]

ومن التوسعة أيضا ما ورد في باب الاستفهام في قوله تعالى { قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ } {يونس٧٧} أشار الفراء إلى البنية العميقة تتضمن جمل توليدية بقوله : " يقول القائل : كيف أدخل ألف الاستفهام في قوله (أسحر هذا) وهم قد قالوا (هذا سحر) بغير استفهام ؟

---

[١٠٦] اصول النحو ، ابن السراج : ٢/٢٣٩ .

[١٠٧] معاني القرآن ، الفراء : ٣ /٢٦٠ .

قلت : قد يكون هذا من قولهم على أنه سحر عندهم وأن استفهموا ؛ كما ترى الرجل تأتيه الحائزة فيقول : أحق هذا ؟ وهو يعلم أنه حق لاشك فيه فهذا وجه. " (١٠٨)

أشار سمير ستيتة إلى ذلك بقوله : " أن يكون التركيب في البنية المنطوقة { قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا } { يونس٧٧} ولكن الاستفهام جاء بصورة موسعة إذ أمتد إلى الجملة التوليدية "هذا سحر"، فأصبحت : أهذا سحر ؟ ثم تغير الترتيب فأصبحت " سحر هذا ؟ " ، والدليل على أن (أسحر هذا) من باب التوسعة للاستفهام الأول هو أن الاستفهام فيهما واحد ، وهو السؤال عن قولهم للحق إنه سحر .(١٠٩)

الإحلال : الإحلال نمط من أنماط التحويل ، ويتمثل في أن يحل عنصر آخر متضمنا معناه ، مع إضافة دلالة جديدة ، ويمكن أن نفسر من خلال هذا النمط بعض تراكيب اللغة العربية من التحويل بالإحلال ، إقامة الوصف مقام الموصوف ، وذلك في نحو قوله تعالى " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } {الحجرات : ٢} يشير الفراء إلى ذلك بقوله : " يقول : لا تقولوا : يا محمد ، ولكن قولوا يا نبي الله – يا رسول الله ، يا أبا القاسم . (٧٥) من ثم أقام الصفة مقام الموصوف ، مستعملا لذلك ما يتناسب معه من أدوات النداء ، النبي ولهذا دلالة مهمة في إثبات صفة النبوة للرسول صلى الله عليه وال وسلم ، وفي هذا تكريم له من الله سبحانه وتعالى .

---

(١٠٨) المصدر نفسه : ٣ / ٢٦٠ .

(١٠٩) الأنماط التحولية في الجملة الاستفهامية العربية : ٤٠ .

الخاتمـــة :

لم يدخر علماء العربية جهدا في دراسة اللغة الغربية مدفوعين برغبة علمية صادقة في أن يحافظوا على لغة القرآن الكريم ويسهلوا تعليمه ، وهم في سبيل هذه الغاية أفادوا من جميع العلوم المتوفرة في عصرهم وقد ساعد على ذلك الهدف : الاحتكاك الثقافي والانفتاح الفكري الإسلامي واتصالهم بالحضارات المختلفة .

وقد حاول هذا البحث أن يعرض صورة للمنهج التحويلي وأن يتبع الخيوط المنهجية عند بعض النحويين العرب في بيان صورة واضحة عن الفكر النحوي لإثبات ان القدامى عالجوا الموضوع ذاته ولكن من دون ذكر المصطلحات الحديثة ولهذا فأن الاستنتاج الذي توصل اليه البحث أن النحاة لم يهملوا المعنى بل كان هدفا رئيسا من اهداف دراستهم لذا فأنهم ربطوا بين المبنى والمعنى مع ملاحظة إن النحويين بالشكل الاعم الاغلب يميلون إلى المبنى لإحساسهم بأن الشكل أكثر ثبوتا من المضمون .

ويزيد الإحساس بتفوق النحاة في الربط بين المبنى والمعنى عند الاطلاع على المناهج الغربية ، وما واجهته من صعوبة في ضبط الظاهرة اللغوية ضبطا تاما يجمع بين المبنى والمعنى مما أدى إلى انحياز المدرسة السلوكية إلى الشكل في حين انحازت المدرسة الانكليزية إلى المضمون وقد واجهت هذه الصعوبات تشومسكي أبرز إعلام المنهج التوليدي التحويلي وما التعديلات التي أجراها تلاميذ تشومسكي إلاّ محاولة منهم في إيجاد موازنة بين الشكل والمضمون .

وذلك بهدف الوصول إلى تشكيل قاعدة عريضة تتسم بروح الأصالة

وتتطلـــع إلى إيجاد نظرية لغوية ذات صبغة علمية مجددة ، وبذلك قد توصل البحث إلى النتائج الآتية .

١- نظر المنهج التحويلي إلى الظاهرة اللغوية على إنها أبعاد ذهنية فكرية نفسية ، ومن ثم ركز على السلوك الداخلي للإنسان ، في حين أُخذ عليه عدم إحاطته بأثر السلوك الخارجي له .

٢- إن تفحص المعنى التفسيري السياقي يتطلب معمولين يطابق أحدهما الآخر وعلى هذا تكون البنية العميقة . والشاهد يجب أن يكون مؤلفا من جملتين ، وفي البنية العميقة كلاما من جملة واحدة فقط .

٣- الجملة التوليدية هي الزيادة المؤثرة في بؤرة الجملة (نواتها) فقد نقلت معنى الجملة التوليدية إلى جملة تحويلية عنصر التحويل فيها الزيادة التي أفادت المعنى وهذا ما حدده خليل عما يره في كتابه (في نحو اللغة وتراكيبها)

٤- نجد نقاط موازنة كثيرة بين ما نظره النحاة العرب وتنظيرات المنهج التحويلي ، وذلك فيما يتعلق بالبنية السطحية والبنية العميقة ، وكذلك فيما يتعلق بعناصر التحويل ، ويظهر ذلك جليا فيما عُرف بـــ (بنظرية العامل والرابط الإحالي) عند التحويليين .

٥- التطابق واضح بين الافكار التي عالجت الموضوع ذاته سوى إن المحدثين من النحويين اضافوا مصطلحات جديدة لمفاهيم قديمة وهذا يدل على عمق المفكرين العرب وتوصلهم إلى نتائج باهرة سبقت الزمن بوسائل بسيطة لم تكن متوافرة لديهم على الضد مما توافر للباحثين المحدثين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاتجاهات النحوية لدى القدماء ، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة / الدكتورة حليمة أحمد محمد عمايرة / قسم اللغة العربية – جامعة البلقاء التطبيقية – دار وائل للنشر – الطبعة الأولى ٢٠٠٦

٢- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي . ط٢ القاهرة ، ١٣٥٤هـ.

٣- الإعراب عن قواعد الإعراب ، ابن هشام ، تحقيق رشيد العبيدي ، دار الفكر ، بغداد، ١٩٧٠ م .

٤- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما . سلسلة عالم المعرفة . الكويت ، ١٩٨٧.

٥- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) / ميشال زكريا . المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت . ١٩٧٧

٦- الأنصاف في مسائل الخلاف ، أبن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

٧- الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية . سمير ستيتية ، مجلة المورد . مجلد٢٠ ، العدد ١ ،١٩٨٩م .

٨- أوضح المسالك إلى ألفية أبن مالك ، ابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، ١٩٤٨.

٩- الايضاح في علل النحو / ابو القاسم الزجاجي ، تح مازن المبارك ١٩٧٩ ط٣ دار النفائس ، بيروت .

١٠- الخصائص ، ابن جني ، (أبو الفتح عثمان -٤٢٠ هـ) تحقيق محمد النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة . ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ .

١١- دراسات في اللغة والنحو العربي . حسن عون ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

١٢- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ١٩٦٩ .

١٣- ديوان زهير بشرح ثعلب ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٤م .

١٤- شرح الكافية لأبن الحاجب ، الرضي الأستراباذي ط٢ بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٦٩م ، جـ٢. /٣٤٨ .

١٥- ظاهرة التنازع في العربية ، فيصل صفا ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧م .

١٦- علم اللغة ، دانيل مانيس ، ترجمة سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ، الموقف الأدبي ، العدد ١٣٥ - ١٣٦ .

١٧- في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، خليل عمايرة ، جدة ١٩٨٩م .

١٨- في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤.

١٩- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، مازن الوعر . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨م .

٢٠- الكتاب . سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – ١٨٨هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م.

٢١- اللغة العربية مبناها ومعناها . تمام حسان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٢٢- اللمع في العربية ، ابن جني (أبو الفتح عثمان –٤٢٠هـ) تحقيق حامد مؤمن ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥م.

٢٣- معاني القرآن ، الفراء (أبي زكريا يحيى بن زياد ت٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، دار السرور ، ١٩٥٥م.

٢٤- مدخل إلى علم اللغة ، رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٢٥- مدخل إلى الجملة العربية / الدكتور محمود نحلة .

٢٦- مدخل إلى علم اللغة العربية / محمود فهمي حجازي ، ١٩٧٨ ط٢ دار الثقافة القاهرة .

٢٧- المستشرقون والمناهج اللغوية ، إسماعيل عمايرة ، ط٢ دار حُنين عمّان ١٩٩٢م .

٢٨- مشكلة البنية ، زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٢٩- مغنـــي اللبيـــب ، ابـــن هشـــام (أبـــو محمـــد عبـــد الله جمـــال الـــدين الأنصـاري -٧٦١هـ) تحقيـق محمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد ، ط٤ مطبعة المدني ، القاهرة . د. ت.

٣٠- المقتضب ، المبرد ، (أبو العباس ، محمد بن زيد -٢٨٥هـ) تحقيق محمـد عبـد الخـالق عضـيمه ، المجلس الأعلـى للشـؤون الإسـلامية ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

٣١- مـن أسـرار اللغـة ، إبـراهيم أنـيس ، مكتبـة الأنجلـو المصـرية ، مصـر د. ت القاهرة ١٩٣٧.

٣٢- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي / خليل عمايرة ، ط١، دار وائل ، عمان الأردن .

٣٣- النحو العربي والدرس الحديث ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م .

٣٤- نظريـة النحـو العربـي فـي ضـوء منـاهج الظـر اللغـوي الحـديث / نـهاد موسى ، ١٩٧٨، ط٢، دار البشير.

٣٥- نحـو نظريـة لسـانية عربيـة حديثـة لتعليـل التراكيـب الأساسـية فـي اللغـة العربية ، مازن الوعر . دار طلاس ، دمشق ١٩٨٧م.

٣٦- نظريـــة تشومســكي اللغويـــة . ترجمـــة حلمـــي خليـــل دار المعرفـــة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .

٣٧- نظرية التوليد والتحويل بين الفكرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد الله عنبر، دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد٣٩ ، العدد٢، ٢٠٠٩.

٣٨- النظرية التوليدية والتحولية وتطبيقاتها في النحو العربي/ أ. أحمد المهدي المنصوري ، أ. د. أسمهان الصالح / جامعة حلب /حلب / الجمهورية العربية السورية .

٣٩- نشأة الدرس اللساني العربي الحديث - دراسة في النشاط اللساني العربي إلى بداية السبعينات - فاطمة الهاشمي- بكوش - رسالة ماجستير- اداب -١٩٩٩م .

تأصيل معنى المعارضات الشعرية (دراسة نقدية)

داود زرين‌پور [١]
الدكتور سيدرضا سليمان زاده نجفي[٢]

الملخص :

المعارضات الشعرية ، فن عريق وقديم تناولها الشعراء عبر أعمالهم الشعرية ، منذ العصر الجاهلي في شعر زهير ابن أبي سلمى الذي كان يعارض أوسَ حتى يومنا الحاضر. فنرى هذا الفن قد بلغ ذروته في بعض العصور وقد اختفى من الخطاب الشعري أو كاد في بعضها. فمِن النقاد مَن سَلك هذا الفن في سِلك السرقات وبعضهم دَرَجه في قائمة الأعمال التقليدية وبعضهم اعترف بمكانته الخاصة ، لم يُحدد مفهوم المعارضات الشعرية إلا في وقت متأخر.

ولأجل ذلك فقد اتجهت الدراسة إلى الإجابة عن أسئلة محددة حول المعارضات ، التي أبرزها : ما هو رأي النقاد في معنى المعارضات ؟ كم قسما المعارضات ؟ ما الفرق بين المعارضة والنقيضة وبينها وبين السرقة الشعرية ؟

---

(١) طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان .
(٢) أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان .

اتبع الباحثان في دراستهما منهجا يجمع بين الاستقراء والتحليل وأحيانا الموازنة والترجيح بين الأقوال المختلفة .

وقد خلصت الدراسة بأن المعارضة قسمان : معارضة صريحة وهي التي توافق التعريف تماما ومعارضة ضمنية وهى ما فقدت فيها القصيدة المتأخرة أحد عناصر الشكل الخارجي للقصيدة المتقدمة واتفقت معها بالغرض العام ، أو العكس . ولكل منهما فرعان ؛ فالمعارضة الصريحة إما أن تكون معارضة كليّة أو جزئية . والمعارضة الضمنية إما معارضة واضحة أو خفية . المعارضة الشعرية والمناقضة تشتركان في كونهما انعكاسا لأثر سابق عليهما ، وكونهما ملتزمتين بما التزم به صاحب ذلك الأثر من وزن وقافية وموضوع . وتختلفان في المدلول الأدبي إذ المحور الرئيس في النقائض هو الهجاء بين شاعرين ولا نجد هذا التوجه في المعارضات ، بل نجد نقيضه تماما.

المفردات الرئيسة : المعارضات الشعرية ، معارضة تامة وناقصة ، معارضة كلية وجزئية ، النقائض ، السرقات الشعرية.

المقدمــة :

المعارضات الشعرية تشكل جزءً مهما من نتاج الشعراء ؛ وهي في الحقيقة خطاب بديل وليست تكراراً للتراث ، بل حالة من التجلي بين الأب والابن وهي ما يمكن وصفها بحالة الامتداد الفكري داخل الثقافة . ولهذا الفن - ككل فن أدبي آخر- معنى يميزه عن الآخرين ؛ كما يلتقي في بعض جوانبه مع بعض الفنون الأدبية كالنقائض ؛ فلابد أن نميّز بينه وبين من يقرب إليه في المعنى حتى يكون المعنى جامعا و مانعا . فعلينا أن نراجع تاريخ هذا الفن وكتب النقاد كي نفهم مدى تغيير مدلول هذه الكلمة عبر تاريخها وعبر نظريات النقاد .

إننا في دراستنا هذه قررنا أن نستقصي مدلول هذه الكلمة عبر تاريخها مستفيدا من الكتب الأدبية والنقدية وآراء النقاد فيه حتى نجيب عن أسئلة منها : ما هو رأي النقاد في معنى المعارضات ؟ كم قسما المعارضات ؟ ما الفرق بين المعارضة والنقيضة ؟ وما الفرق بينها وبين السرقة الشعرية ؟

الدراسات السابقة :

المعارضات الشعرية فن عريق وأصيل في الأدب العربي ولذلك نجد النقاد تطرقوا إليها وما يزال في مؤلفاتهم وكتبهم بصورة معمقة أو عابرة . هناك بعض الكتب والمقالات تطرق مؤلفوها إلى هذا الموضوع بصورة معمقة نشير إلى أهمها :

المعارضات الشعرية(أنماط وتجارب) ، تأليف عبدالله التطاوي ، طبع هذا الكتاب في دار قباء للطباعة والنشر بقاهرة سنة ١٩٩٨ للميلاد . قسّم

المؤلف كتابه إلى بابين : الباب الأول مداخل نظرية والباب الثاني : مجالات التطبيق والرؤى التحليلية . وللباب الأول ثلاثة فصول : في الفصل الأول يبحث حول أصول الحركة الأدبية وفي الفصل الثاني حول تحليل النص الأدبي والفصل الثالث حول أصول المعارضة الشعرية . وأما في الباب الثاني الذي ألفه في أربعة فصول يدخل في مجال التطبيق ويأتي بمعارضات شعرية عن العصور المختلفة . فكما يبدو ، ما ركز المؤلف إلى تبيين معنى المعارضات .

المعارضات الشعرية بين التقليد والإبداع ، تأليف عبدالله التطاوي ، طبع هذا الكتاب في دار الثقافة للنشر والتوزيع بقاهرة. هذا الكتاب في الحقيقة إعادة طبع للكتاب السابق مع إضافات في مجال التطبيق ولا غير.

الأسلوب والأسلوبية في المعارضات ، تأليف إنعام پنكه‌ساز ، طبع هذه المقالة في مجلة التراث الأدبي ، السنة الأولى ، الرقم الرابع . تطرق المؤلف في هذا البحث إلى تبيين معنى الأسلوب والأسلوبية ؛ ثم بحث عن معنى المعارضات بصورة موجزة جدا وأعقبه بذكر تاريخ المعارضات في العصور المختلفة بصورة عابرة واعتنى في نهاية البحث بعرض دراسة أسلوبية لقصيدة محمد مهدي جواهري (طرطرا) ، الذي عارض فيها قصيدة تقي الدين بن المغربي(الدبدبية) .

المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي ، تأليف عبد الرؤوف زهدي مصطفى وعمر الأسعد ، طبع هذه المقالة في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد ٣٦ ، (ملحق) ، سنة ٢٠٠٩ للميلاد بجامعة الأردنية . يتناول المؤلفان في هذا البحث فن

المعارضات الشعرية في الأدب القديم والحديث وعرضا لأبرز الشعراء الذين أخذوا بهذا الفن والشعراء الذين عورضت أشعارهم وتحدثا عن الأسباب والبواعث التي أدت إلى قيام هذا الفن. فما وقف المؤلفان أمام معنى المعارضات إلا قليلا واكتفيا بإجراء المقارنة بين المعارضات والنقائض لتحديد معنى المعارضة .

والذي يجدر الإشارة إليه ما عثر الباحثان على أي تأليف دارس هذا الموضوع كما دارسناه . إذن نبدأ بتعريف هذه الكلمة في اللغة :

المعارضة في اللغة :

نجد في المعاجم اللغوية معاني عدة لجذر « عرض » ومشتقاته ، منها : العرض خلاف الطول ، وفلان يَعرِض علينا المتاع عرضا للبيع والهبة ، وعرض الفرس في عَدوِه إذا مرّ عارضا على جنب واحد ، واعترَضَ فلانٌ عِرضي إذا قابله وساواه في الحسب ، وتعرّض الشيء : دخل فيه فساد ، وعِرضُ الرجل حَسَبُه ، والعَرضُ السحابُ ، والعروض طريق في عُرض الجبل ، والعوارض الثنايا (الفراهيدي ، ج ٣: ١٣٥-١٣١) وما إلى ذلك من المشتقات والمعاني . وأما ما يهمنا من معانيه في هذا البحث ما نشير إليه لاحقا مستعينا بأمهات كتب اللغة :

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة حول جذر (عرض) : « العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد ، وهو العرض الذي يخالف الطول ومن حقق النظر ودقّقه علم صحة ما قلناه » (ابن فارس ، ١٩٧٩ ، ج ٤ : ٢٦٩) . ثم يبدأ المؤلف بسرد

المشتقات وإبراز معانيها حتى يصل إلى هذا المقطع : « وتقول ... عارضتُه مثل ما صَنَع إذا أتيتَ إليه مثل ما أتى إليك ومنه اشتُقّت المعارضة . وهذا هو القياس ، كأن عرض الشيء الذي يفعله مثل عرض الشيء الذي أتاه » (السابق : ٢٧٢)

قال ابن منظور في اللسان ضمن مادة (عرض) : « عارضتُه في المسير أي سرت حيالَه وحاذَيتُه ، ويُقال : عارضَ فلانٌ فلانا ، إذا أخذ في طريق وأخذ في طريق آخر فالتقيا؛ عارضتُه بمثل ما صَنَعَ ، أي أتيتُ إليه بمثل ما أتَى ، وفعلتُ مثل ما فَعَلَ» (ابن منظور ، ج ٣٢ : ٢٨٩٦) « عارض الشيء معارضة أي قابله وعارضت كتابي بكتابه ، أي قابلته ، وفلان يعارضني ، أي يباريني . وفي الحديث أن جبريل عليهالسلام كان يُعارضُه القرآن في كل سنة مرةً وإنه عارضه العامَ مرّتين ، قال ابن الأثير أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن ... وفي حديث أبي سعيد الخدري قال : كنت مع خليلي (عليه السلام) في غزوةٍ ، إذا برجل يقرِّب فرسا في عِراض القوم (أي يسير حذاءهم) وأما حديث حسن بن على أنّه ذكر عُمر فأخذ الحسين في عراض كلامه أي في مثل قوله و مقابله » (السابق : ٢٨٨٥) .

ويقول الفيروزآبادي : « عارض الطريق جانبه ، وعدل عنه ، وسار حياله والكتاب قابله ،... وفلانا بمثل صنيعة : أتى إليه مثل ما أتى ، ومنه المعارضة كأنّ عرضَ فعلِه كعرضِ فعلِه » (الفيروزآبادي ، ٢٠٠٥: ٦٤٧) « ويقال سِرنا في عِراض القوم ، إذا لم تستقبلهم ولكن جئتهم من عَرضهم » (الأزهري ، ١٩٦٤ ، ج ١: ٤٦٣) .

وقال الزبيدي في تبيين معنى جذر (عرض) : « قال ابن السكيت ... عارضَت : أخذَت في عُرضٍ أي ناحية منه . وقال غيره عارضَت أي دخلت معنا فيه دخولا ليست بمباحتة ولكنها ترينا أنها داخلةٌ معنا » (الزبيدي ، ١٩٦٥ ، ج ١٨: ٤١٩).

المعارضة في الاصطلاح :

يرتبط المعنى اللغوي للمعارضة بالمعنى الاصطلاحي ارتباطا وثيقا ؛ وكما أسلفنا في البحث اللغوي ، في جذر (عرض) نجد المعاجم اللغوية تأتي بعدة معان لهذه الكلمة ومشتقاتها ، غير أن ألصقها بالمعنى الاصطلاحي وأقربها إليه ما يفيد المقابلة والمباراة والمشابهة والمحاكاة .

المعارضة في الاصطلاح عند المتقدمين :

المعارضة كما أسلفنا تعني المباراة والمحاكاة والمجاراة ، وقد استعمل الأصمعي وأبو عبيدة هذه الكلمة للدلالة على هذا المفهوم ؛ فقد جاء في كتاب الأغاني يُقال عن عدي بن زيد : هو في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم ، يعارضها ولا يجري معها مجراها. كما استعمل ابن رشيق هذه الكلمة بمعناها المشار إليه حين تحدث عن معارضة قريش للقرآن الكريم فقال: «ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البُرّ وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة .... (السماعيل : ٣)

كما أن أبا العلاء المعري حين ألّف كتابه (الفصول والغايات في محاذاة السور والآيات) اتهمه بعض الناس بمعارضة القرآن ، قال الباخرزي

في ترجمته لأبي العلاء : « أبو العلاء ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب ومكفوف في قميص الفضل ملفوف ... وإنما تحدثت الألسن بإساءته ، لكتابه الذى زعموا أنه عارض به القرآن وعَنوَنه بـ (الفصول والغايات) محاذاة للسور والآيات » . ويقول ابن الجوزي : « رأيت للمعري كتابا سماه الفصول والغايات يعارض به السور والآيات ، وهو كلام في نهاية الركة والبرودة » (السابق : ٤) .

المعارضة في الاصطلاح عند المتأخرين :

وفي العصور المتأخرة ضاق مدلول المعارضة حتى اقتصر على المحاكاة في الشعر فقط ووقع الاختلاف بين الباحثين المعاصرين فيما يدخل وما لا يدخل من الأشعار في باب المعارضة ، فاتسع مفهومها اتساعا كبيرا حتى انهارت عندهم المقومات الأساسية التي نراها ضرورية لتحقيق المعارضة بين قصيدتين وهي الاتفاق في الموضوع والوزن والقافيه .

بداية انتخبنا عدة من النقاد الذين بحثوا عن المعارضات الشعرية في مؤلفاتهم حتى نبحث عن مفهوم المعارضة الشعرية عندهم في مجال النظرية والتطبيق .

المعارضة عند إبراهيم عوضين :

تدل النماذج التي أوردها إبراهيم عوضين للمعارضات الشعريه في كتابه عنها على أنه لايقيم اعتبارا للموضوع ولا للوزن في مفهومه لها ، ويكفي عنده ، لتحقيق المعارضة الشعرية ، اتفاق القصيدتين السابقة واللاحقة في

القافية فقط . وهذا الأمر – التوسع في المفهوم – يُلقي الباحث في المصائب حين يتصدى لدراسة المعارضات .

لذلك نرى عوضين يدخل في دائرة المعارضات مجموعة كبيرة من قصائد الشعر العربي ، وهي في حقيقتها ليست قصائد معارضات . من ذلك ما نقل عن قصيدة شوقي في رثاء إسماعيل أباظه ، التي مطلعها :

سقى الله بالكفر الأباظيّ مضجعا   تضوّع كافورا من الخلد ساريا

وعن قصيدة محمد عبدالمطلب في رثاء فتحي زغلول التي مطلعها :

أرى الشعر يدمي بالدموع المآقيا   كفى حزنا أن تسمع الشعر باكيا

ويقول عنهما بأنهما معارضتان لقصيدة المتنبي في مدح كافور والتي يقول في أولها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا   وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

مع أنهما يختلفان في الموضوع عن قصيدة المتنبي .

وكذلك قصيدة عزيز أباظة التي رثى بها زوجته والتي يقول فيها :

ذكرتك عند كل جليل أمر   وكل يسيره فبكيت نفسي

جمعت على الهوى طَرَفي نهاري   كأني لم أُرع بنواك أمس

اعتبرها عوضين معارضة لسينية البحترى المشهورة في إيوان كسرى رغم اختلاف الوزن والموضوع .

ويقول عن قصيدة الغاياتي في رثاء مصطفى كامل والتي مطلعها :

ألا طرق المقدارُ بالفتكة البكر   عشية أودي سهمُه بفتى مصرِ

إنها معارضة لرائية أبي تمام في رثاء محمدبن حميد الطوسي والتي يقول في مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر   فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ

على الرغم من اختلاف القافيتين في الإعراب (عوضين ، ١٩٨١: ١٤٤-١٣٦) .

تحديد معنى المعارضات عند طه وادي :

حين يورد طه وادي نموذجا من معارضات شوقي في كتابه عن الشعر الغنائي والمسرحي عنده ، فإنه لا يعتبر الاتفاق في الوزن شرطا لتحقيق المعارضة بين قصيدتين . يدل على هذا قوله عن قصيدته التي يقول في مطلعها:

رمضان ولى هاتها يا ساقي   مشتاقة تسعى إلى مشتاق

(شوقي ، ج ٢: ٧٦)

إنها معارضة لقصيدة أبي نواس التي مطلعها :

أعاذل لا أموات بكف ساقي   ولا آبي على ملك العراق

(ابو نواس ، ١٩٥٣: ٣)

على الرغم من اختلاف الوزن بينهما ، فالأولى من الكامل والثانية من الوافر . ويقول عن الهمزية النبوية :

وُلِد الهدى فالكائنات ضياء   وفم الزمان تبسمٌ وثناء

(شوقي ، ج ١: ٣٤)

إنها معارضة لهمزية البوصيري

كيف ترقى رقيّك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

(البوصيري ، ١٩٥٥: ١)

مع أن الأولى من الكامل والثانية من الخفيف (وادي ، ١٩٨١: ٧٦ – ٤٥). فضيّق طه وادى مفهوم المعارضة بالنسبة لما قاله عوضين ، إذ اعتبر الموضوع أيضا شرطا لتحقق المعارضة في جانب القافية.

معنى المعارضة عند محمد الهادي الطرابلسي :

فاتحاد الموضوع بين القصيدتين السابقة واللاحقة ليس شرطا للمعارضة عند الطرابلسي ويبدو هذا واضحا في تصنيفه لمعارضات شوقي (الطرابلسي ، ١٩٨١: ٢٤٢ وما بعدها) حيث اعتبر قصيدته التي مطلعها :

أشرق عياشٌ على شعبه   كأنه المأمونُ في رَكبه

معارضة لقصيدة المتنبي التي يقول في مطلعها :

آخر ما الملك مُعَزَّى به   هذا الذي أَثَّر في قلبه

على الرغم من كون قصيدة شوقي مدحا للخديوي عباس ، وقصيدة المتنبي رثاء وتعزية . كما اعتبر قصيدة شوقي في رثاء عثمان باشا الغازي ، والتي مطلعها :

هالةٌ للهلال فيها اعتصام   كيف حامت حيالها الأيام

معارضة لقصيدة المتنبي التي يمدح بها سيف الدولة ، ومطلعها :

أين أزمعتَ أيهذا الهمام   نحن نبت الربى وأنت الغمام

الطرابلسي لا يعد اتحاد الموضوع عنصرا أساسيا للمعارضة ، ويكتفي باتحاد الوزن والقافية . فهو يشترط اتحاد عنصرين للتحقق المعارضة كما اشترط طه وادي ولكنه يخالف قرينه فيما هو داخل في العنصرين وما هو خارج منهما. وفيما يلي نراه يوافق محمد بن حسين في تعريف المعارضة نظريا .

تعريف المعارضة عند محمد بن حسين :

أما الدكتور محمد بن حسين فيُعرِّف المعارضات بقوله : « أن ينظم شاعر قصيدة أو مقطوعة يحتذي فيها نصا لشاعر آخر ينسج على منواله ... ولابد من التقاء النصين (المحتَذي والمحتَذَى) في الوزن والقافية وليس من المفروض المحتوم التقاؤهما في الموضوع » (ابن حسين ،١٩٨٠: ٣٠) . ويذهب إلى أبعد من هذا ، فيلحق بالمعارضاتِ الشعريةِ قصيدةَ الفرزدق الفائية التي مطلعها (السابق : ٥٨) :

عزفت بأعشاشٍ وما كنت تعزف   وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ويعتبرها معارضة لقصيدة حسان بن ثابت الميمية التي منها:

ألم تسأل الربع الجديد التكلما　　　بمدفع أشداخ ببرقة أظلما

ولدنا بَني العنقاء وابنَي محرق　　　فأكرم بنا خالا وأكرم بنابِنُما

لنا الجفناتُ الغرُّيلمعنَ بالضحى　　　وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

على الرغم من أن القصيدتين مختلفتان في عنصر رئيس من عناصر المعارضة وهو القافية . وهذا مخالف للتعريف الذي وضعه للمعارضات وتناقض منه .

شاهدنا محمد بن حسن يوافق تعريف الطرابلسي نظريا ولكنه يتنازل في مجال التطبيق عما صرّح به من اشتراط الوزن والقافية لتحقق المعارضة . فيلتقي بعوضين في اتساع مفهوم المعارضة ويفترق منه في الانتخاب ، لما شاهدنا أن عوضين اكتفى باتفاق القصيدتين في القافية وهو يكتفي باتفاق الوزن .

المعارضة عند محمد نوفل :

يسمي محمد نوفل تلك المعارضات ، معارضات ناقصة (نوفل ، ١٩٨٣: ١٣) ، لفقدان أحد العناصر الرئيسة التي تقوم عليها المعارضة ، ولكنه يعود فيتسامح في شرط الموضوع فيعتبر قصيدة شوقي في مدح النبي(ص) والتي مطلعها :

سلو قلبي غداة سلا وثابا　　　لعل على الجمال له عتابا

وبائيته الأخرى التي أنشدها في اجتماع لجان التموين لبحث غلاء الأسعار سنة ١٩٢٠ والتي مطلعها:

أنادى الرسم لو ملك الجوابا   وأجزيه بدمعي لو أثابـــا

يعتبرهما معارضة لقصيدة ابن حمديس الصقلي التي يقول فيها متذمرا من الزمان وغدر أهله وبوائقهم (نوفل ، ١٩٨٣: ٢١٩) :

ألا كم تسمع الزمن العتابا شفاؤك   تخاطبــــه ولا يــــدري جوابــــا
فــــي نــــوى تنضــــي الركابــــا   ونجحــك فــي سـرى تطـوي اليبابـا
فـلا تقنـــع مــن الدنيــــا بحـــظ   إذا لـم تحـــوه يـــدك اغتصابـــا

ونماذج المعارضات التي اختلف فيها الموضوع بين القصيدتين السابقة واللاحقة كثيرة في كتاب نوفل عن المعارضات ، ولو أراد الاستزادة لزادة كثيرا مادام لا يشترط اتفاق الموضوع بين القصيدتين.

فمحمد نوفل أيضا يخالف عملُه كلامَه ؛ إذ يشترط وجدان العناصر الثلاث لتحقق المعارضة نظريا ولكنه يعود ويتنازل عن شرط الموضوع في مجال التطبيق .

تحليل معنى المعارضة وتبيينها :

كان لا بدّ لنا تجاه هذه المفاهيم والتطبيقات المختلفة من أن نأتي بتعريف واضح ، ومفهوم دقيق للمعارضات الشعرية ، لأن الأخذ بالمفاهيم السابقة يقودنا إلى سلسلة لا نهاية لها من المعارضات منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا .

لذلك ، فإن المفهوم الاصطلاحي الذي نراه للمعارضة هو توافق القصيدةِ المتأخرةِ مع القصيدةِ المتقدمةِ في وزنها وقافيتها وأن يكون الغرض منهما واحداً أو متماثلا ، بحيث تكون القصيدة المتأخرة صدى واضحاً للقصيدة القديمة ، وكما يقول البجاري بدافع الإعجاب والتقليد ، أو نزعة التفوق والإبداع (البجاري ، ٢٠٠٨: ٧٧-٦٣). وهذا ما نسميه معارضة صريحة.

أما ما عدا ذلك من القصائد المعارضة ، فهي في رأينا معارضات ضمنية لا صريحة . وقصيدة المعارضة الضمنية هي ما فقدت فيها القصيدة المتأخرة أحد عناصر الشكل الخارجي للقصيدة المتقدمة واتفقت معها بالغرض العام ، أو العكس كأن تتفق القصيدتان المتأخرة والمتقدمة في عناصر الشكل الخارجي وتختلفا في الموضوع العام . وأمثلة ذلك كثيرة في الشعر العربي.

والمعارضة الصريحة ؛ إما أن تكون معارضة كليّة ، أي لكل القصيدة القديمة ، أو تكون معارضة جزئية ؛ وهي ما اقتصر فيها الشاعر على معارضة جزء من القصيدة القديمة ، كاقتصاره على معارضة الغزل في قصيدة مدح قديمة ، أو العكس وهو اتجاه شائع عند أكثر الشعراء .

كما جاء في الصناعتين عن قول الإمام علي(عليه‌السلام) « لولا أن الكلام يعاد لنفد » (العسكري ، ١٩٥٢: ٢٠٢).فلا نستطيع أن ننكر أخذ الشاعر المتأخر القوالب والمعاني والأفكار من الشعراء المتقدم إذ الشعر يغذي بعضه بعضا. وقد يصل ذلك الأخذ إلى حد التضمين مثل ما نراه عند شوقي إذ مطلع قصيدة ابن النبيه بهذه العبارة :

الله أكبر ليس الحسن في العرب   كم تحت كمَّة ذا التركي من عَجَب

لم يكن بعيدا عن ذهنه حين كتب قصيدته في انتصار أتاتورك ، فهو يفتتحها بنفس الجملة التي افتتح بها ابن النبيه قصيدته فيقول :

الله أكبر كم في الفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العرب

(شوقي ، ج ١: ٥٩)

أما المعارضة الضمنية التي أشرنا إليها آنفا فهي ما فقدت فيها القصيدة المتأخرة أحد عناصر المعارضة الصريحة . ولا بدّ في المعارضة الضمنية من وجود رابطة بين القصيدتين المتأخرة والمتقدمة ، فإذا اختلفتا في أحد عناصر الشكل الخارجي ، فإنه لابد من اتفاقهما في الموضوع العام ، وإذا اختلفتا في الموضوع العام ، فلابد من اتفاقهما في الوزن والقافية ، لأن اتفاق جميع العناصر في القصيدتين يجعل القصيدة المتأخرة معارضة صريحة لا ضمنية ، كما أن اختلاف القصيدتين في جميع العناصر يخرجها من دائرة المعارضات الصريحة والضمنية طبقا للتحديد الذي وضعناه.

وموقف الشاعر في المعارضة الضمنية يختلف عن موقف الشاعر في المعارضة الصريحة؛ فالمعارضة الصريحة تتطلب من الشاعر وعيا وحذرا تجاه نموذجه القديم وتجاه القارىء على حد سواء ، لهذا فالشاعر المتأخر يعارض وهو يعلم أن قصيدته سوف تُقارن مع نموذجها الأصلي ، وعلمه بهذه الحقيقة يشجعه على الإبداع والتجاوز بسبب ضيق دائرة الإبداع التي يتحرك فيها: فموضوعه هو موضوع الشاعر السابق ، وشكل قصيدته هو شكل القصيدة السابقة ، لهذا فالمعارضة الصريحة تقتضي الشاعر المتأخر

جهدا مضاعفا حتى يستطيع بواسطته الانعتاق من شباك النموذج الأصلي والاستقلال بشخصيته الأدبية .

أما الشاعر في المعارضة الضمنية ، فإن المجال أمامه أوسع وأرحب ، فهو لا يعتبر نفسه معارضا ، فلا يتقيد بحدود المعارضة الصريحة ، فيغير الموضوع أو يغير الشكل فتتسع أمامه دائرة الإبداع ، وتتعدد طرق الاستفادة من النموذج الأصلي .

والمعارضة الضمنية نوعان : واضحة وخفية . أما المعارضة الواضحة ، فهي ما كانت العلاقة فيها بين القصيدتين المتأخرة والمتقدمة ظاهرة إما في عناصر الشكل الخارجي ، أو في الموضوع ، بحيث يستطيع القاريء العادي اكتشافها ، والربط بين القصيدتين السابقة واللاحقة ويلجأ إليها الشاعر عادة للاستعانة بمعجمها الشعري ، خاصة القوافي .

والمعارضة الضمنية الخفية ما تجاوزت الشكل الخارجي إلى العملية الإبداعية وما يتصل بها من تصوير أو تعبير ، أي أنها تتجه إلى المضمون والأسلوب والتراكيب التعبيرية دون الاعتماد على وزن أو قافية القصيدة السابقة. وهذا سبب خفائها على القاريء .

وهذا النوع من المعارضة الضمنية قد يتم في بيت واحد أو مجموعة أبيات أو قصيدة كاملة ، لأنها تتجه أصلا لمعارضة الفكرة ، وأمثلة ذلك كثيرة في الشعر العربي قديمه وحديثه . وقد اهتم به النقاد القدماء وصنفه أكثرهم نوعا من أنواع السرقة ، وسماه بعضهم أخذا ، واستحسنه إذا أحسن المتأخر الأخذ .

يلخص ابن طباطبا هذا الاتجاه بقوله : « وإذا أخذ الشاعر المعاني التي سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يُعب ، بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه » (ابن طباطبا ، ١٩٨٥: ١٢٣). ثم يقول وكأنه يتحدث عن المعارضة الضمنية الخفية التي يعمد فيها الشاعر إلى نقل الفكرة من غرضٍ إلى غرضٍ آخر: ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إلطاف الحيلة ، وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعادتها وتلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها ، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها ، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه ، فإذا وجد معنى لطيفا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح ، وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء ، وإن وجده في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الإنسان ، وإن وجده في وصف الأنسان استعمله في وصف بهيمة (السابق: ١٢٤-١٢٦) .

وابن طباطبا لايقف عند حدود الشعر في دعوته هذه ، بل يتجاوزه إلى النثر ، فيدعو إلى نقل المعنى اللطيف في المنثور من الكلام وفي الخطب والرسائل والأمثال وإعادة سبكه شعرا ؛ لأن ذلك أخفى و أحسن . ويشبه الشاعر الذي يقوم بهذه العملية بصائغ يذيب الذهب والفضة المصوغين فيعيد سياغتهما بأحسن مما كانا عليه (السابق : ١٢٦) .

والمعارضة الضمنية بوجه عام ، غالبا ما تأتي بعيدا عن قصد المعارضة الصريحة أو السرقة بسبب التداخل الشديد بين الموروث الأدبي في أعماق ذاكرة الشاعر المتأخر ، لأن ارتباط الشاعر بتراثه كارتباط أحد الأغصان في شجرة كبيرة ببقية أغصانها ، فهو لا يستطيع أن ينفصل عنها

ويستقل بنفسه ، أو يبتعد عن جذوره التي تربطه بغيره من الأغصان ، فتراه يستعمل نفس الغذاء الذي تتغذى منه تلك الأغصان ، فيأتي حاملا نفس السمات والملامح التي تحملها بقية الأغصان وإن اختلفت طولا وقصرا. وأوضحُ مثلٍ لذلك قول أحمد بن أبي طاهر: « كلام العرب ملتبس بعضه ببعض وآخذٌ أواخره من أوائله ، والمبتدَع منه والمختَرَع قليل إذا تصفحته وامتحنته . والمحترِس المتحفّظ من المتقدمين والمتأخّرين لا يسلم أن يكون آخذا من كلام غيره ، وإن اجتهد في الاحتراس ، وتخلل طريق الكلام ، وباعد في المعنى ، وأقرب في اللفظ ، وأفلت من شباك التداخل .. ومن ظن أن كلامه لا يلتبس بكلام غيره فقد كذب ظنه وفضحه امتحانه » (الحاتمي ، ١٩٧٩ ، ج ٢: ٢٨).

ومثل هذا الكلام يتردد كثيرا على ألسنة النقاد العرب القدماء أمثال أبي هلال العسكري وابن قتيبة ، والإمام عبدالقاهر الجرجاني وحازم القرطاجني .

ونحن إذا تتبعنا قصائد أحمد شوقي نموذجا وهو أحد فحول الشعراء في العصر الحديث وجدناها عبارة عن لوحة فنية من الاقتباسات وهذا ليس انتقاصا لشعر شوقي ، بل تقريرا لحقيقة واقعة ، لأنه واحد من أغصان عديدة يغذي بعضها بعضا في شجرة التراث العظيمة .

لنقرأ مثلا قول شوقي مستبشرا بالخمرة بعد انتهاء رمضان :

رمضان ولّى هاتها يا ساقي   مشتاقة تسعى إلى مشتاق

ما كان أكثره على أُلّافها   وأقلّه في طاعة الخلّاق

ضحكت إليَّ من السرور ولم تزل   بنتُ الكروم كريمةَ الأعراق

(شوقي ، ج ٢: ٧٦)

إن القاريء المطلع يدرك معارضة شوقي الضمنية على الرغم من خفائها لفكرة الانعتاق من قيد رمضان في قول أبي نواس :

ولـىّ الصيام وجـاء الفطـر بـالفرح   وأبـدت الكـأس ألوانـا مـن المُلَـح
وزارك اللهـو فـي إبّـان دولتـه   مُجَـدِّدَ اللهـو بـين العـود والقَـدَح
فلـيس يُسـمع إلا صـوت غانيـةٍ   مجهـودة جـددت صـوتا لمقتـرح
والخمر قد برزت في ثوب زينتهـا   فالنـاس مابين مخمـور ومصطبِـح

(ابو نواس ، ١٩٥٣: ١٠٤)

وحين نقرأ قول شوقي أيضا :

دقـات قلـب المـرء قائلـةٌ لـه   إنَّ الحيـاة دقـائق وثـواني
فارفع لنفسك في حياتـك ذكرهـا   فالذكـر للإنسان عمـر ثانـي

(شوقي ، ج ٢: ١٥٨)

نتذكر قول المتنبي :

ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته   ما قاته ، وفضول العيش أشغال

(المتنبي ، ج ٣: ١٥٨)

ومن أمثلة المعارضات الضمنية الظاهرة في شعر شوقي قصيدته الهمزية التي مطلعها :

وُلِد الهدى فالكائنات ضياء   وفم الزمان تبسمٌ وثناء

(شوقي ، ج ١: ٣٤)

وهي معارضة ضمنية ظاهرة لهمزية البوصيري التي مطلعها:

كيف ترقى رقيّك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

(البوصيري ، ١٩٥٥: ١)

وقصيدة شوقي (مشروع ملنر) والتي مطلعها:

إثنِ عنانَ القلب و اسلم به   من رَبربِ الرمل ومن سِربه

(شوقي ، ج ١: ٧٢)

معارضة ضمنية ظاهرة لقصيدة المتنبي التي يعزي بها عضد الدولة بعمته ومطلعها :

آخرُ ما المَلك مُعَزّى به   هـذا الذي أثّر في قلبـه

(المتنبي ، ج ١: ٣٣٥)

فالقصيدة الأولى اتفقت مع نموذجها الأصلي وهي همزية البوصيري في القافية والموضوع وخالفتها في الوزن ، أما القصيدة الثانية فقد اتفقت مع نموذجها القديم في عناصر الشكل الخارجي جميعها ولكنها خالفتها في الموضوع .

المقارنة بين المعارضات والنقائض :

تشترك المعارضات والنقائض في أصل المعنى اللغوي لكلمة « عارض » فالمعارضة تعني في اللغة « المخالفة » كما تعني « المباراة والمشاكلة » . تقول : عارضَ فلانٌ فلانا : جانبه وعدل عنه . وفلانا في المسير: سار حياله و– الكتابَ بالكتاب : قابله به . وفلانا : ناقضه في كلامه وقاومه (الفيروزآبادي ، ٢٠٠٥: ٦٤٧) .

وتقول : « ناقض في قوله مناقضة ونقاضا : تكلم بما يخالف معناه . وغيرَه : خالفه وعارضه . والشاعرُ الشاعرَ : قال أحدهما قصيدة فنقضها صاحبه عليه ، رادا على ما فيها معارضا لها » (المعجم الوسيط ، ٢٠٠٤: ٩٤٧) .

أما المفهوم الأدبي للنقائض عند الأدباء والنقاد ودارسي الأدب فهو «أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة ، هاجيا أو مفتخرا ، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما بالبحر والقافية والروي الذي اختاره الأول . ولابد من وحدة الموضوع فخرا أو هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيبا ، أو جملة من هذه الفنون المعروفة ، إذ الموضوع هو مجال المناقشة ، ومادة النقائض ، ولابد من وحدة البحر ووحدة الروي وحركته. والأصل العام في المعاني المقابلة والاختلاف ، لأن الشاعر التالي همه أن يفسد على الشاعر الأول معانيه ، فيردها عليه إن كانت هجاء ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه. وإن كانت فخرا كذبه فيها أو فسرها لصالحه هو ، أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومه »(الشايب ، ١٩٦٤: ٤-٣).

من المفهومَين اللغوي والاصطلاحي للنقائض نرى علاقةٍ وثيقة بينها وبين المعارضات ، فمن الجانب اللغوي ، تبدو المعارضات قريبة من النقائض ، فالمعارضة تعني الاحتذاء كما تعني النقض على حد سواء .

ولكن هذا الشمول في مدلول كلمة « معارضة » أعطاها ثراء لغويا أكثر من كلمة « مناقضة » التي لا تعني أكثر من النقض والمخالفة . لهذا استعملت كلمة « معارضة » لتأدية كلا المفهومين ، ولاسيما في العصور الأدبية الأولى قبل استقلال كل واحدة بمفهومها الأدبي المعروف الآن . من ذلك قول صاحب الأغاني عندما تحدث عن الحرب الكلامية بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين بعد هجرة الرسول (ص) : « فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع ، والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب » (الأصفهاني ، ١٩٧٨ ، ج ٤: ١٤٢) . أي يناقضانهم .

إنّ قصيدتي المعارضة والمناقضة تشتركان في كونهما انعكاسا لأثر سابق عليهما ، وكونهما ملتزمتين بما التزم به صاحب ذلك الأثر من وزن وقافية وموضوع .

الاختلاف في المدلول الأدبي بين الكلمتين هو الذي يحدد ويكوّن المصطلح الفني لكل منهما إذ الشاعر في نفيضته يقف موقف المعارض المخالف ، ويحاول أن ينقض ما قاله الشاعر الأول بالرد عليه وسلبه كل فضيلة يدعيها لنفسه أو لقومه . إذن فالمحور الرئيس في النقائض هو الهجاء بين شاعرين ولا نجد هذا التوجه في المعارضات ، بل نجد نقيضه تماما ، فالشاعر المتأخر يدفعه إلى معارضة غيره من الشعراء السابقين الإعجاب بما قاله لا الرغبة في نقضه .

ومن ضروريات المناقضة أن يكون الشاعران المتناقضان متعاصرين ، يسمع كل منهما الأخر. وهذا ليس ضروريا في المعارضة ، فربما عارض الشاعرُ شاعرا متقدما ، وربما عارض أحد معاصريه.

والخطاب في النقيضة موجه دائما إلى الشاعر المناقض ولذلك لم تكن المناقضة إلا آنيّةً ، بينما في المعارضة توجيه للكلام إلى طرفين متباعدين في الزمن يتوسطهما الشاعر ، طرف يمثله الشاعر صاحب القصيدة الأصلية ، وطرف يمثله قارئ المعارضة .

وجذور النقائض عريقة كالمعارضات ، ترجع إلى العصر الجاهلي ، ولكنها ازدهرت في العصر الإسلامي عندما هاجر الرسول (ص) إلى المدينة ، فكان بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين نقائض شعرية متعددة بتشجيع من الرسول . ثم بلغت ذورتها في العصر الأموي في نقائض جرير والفرزدق والأخطل حتى عُرفوا بها وعُرفت بهم . وقد استمرت النقائض في العصور الأدبية حتى عصرنا الحاضر لكنها كانت قليلة بين الشعراء وهذه نقطة اختلاف بين الفنين ، فالنقائض ازدهرت قديما واكتمل مفهومها الفني وعرفت بين الناس بمصطلحها في وقت مبكر بسبب العصبية القبلية التي كانت مشتعلة بين القبائل العربية . وحين خفت حدتها وخف الصراع القبلي قَلَّ الاهتمام بها فقلّ الاتجاه إليها حتى كاد يفقد تماما.

أما المعارضات الشعرية فقد كانت قليلة بين الشعراء في العصور القديمة ولكن بعدئذٍ اتجه الشعراء إليها وتسابقوا في ميدانها ، فازدهرت بينهم خاصة في العصور التي عانى فيها الشعر من أزمة الإبداع .

مما تقدم من فروق ، ندرك أن المعارضات فن قائم بذاته ، مستقل بأهدافه ومقوماته . وأن المناقضة ذات أهداف ومقومات مستقلة ، ولا يمكن اعتبارها ضربا من ضروب المعارضة إلا في جانبها اللغوي فقط.

المقارنة بين المعارضات والسرقات الشعرية :

السرقة موضوع قلما يخلو منه كتاب من كتب النقد القديمة . فقد شغل هذا الموضوع صفحات كثيرة من كتب النقد ، واستقلت به كتب خاصة ، وهو موضوع « عريض الجاه في الأدب العربي ، لطول حياته وكثرة أطواره وأدبائه ، واتصاله بآداب عدة ، وعلوم وفلسفات وشعوب وبيئات كثيرة ، حتى استوعب أكثرما وُجد إلى عصره القديم من معان وأساليب ، وأصبحت الحقائق والصور الخيالية معرضة لأن تعاد وتكرر عمدا ، أو موارده باختلاف يسير ، أو بلا اختلاف مذكور(الشايب ، ١٩٦٤: ٢٦٣) .

وإلقاء نظرة فاحصة على ما كتب حول السرقات في كتب النقد القديم ترينا اهتمام النقاد بهذا الموضوع وحرصهم على إحصاء سرقات الشعراء وتقسيم مستويات السرقة حتى قاربت عند بعضهم العشرين . فالحاتمي مثلا يذكر في حلية المحاضرة تسعة عشر نوعا للسرقة منها : الانتحال ، والإنحال ، الإغارة ، المواردة ، المرافدة ، الاجتلاب ، الاستلحاق ، الاصطراف ، الاهتدام ، وإحسان الأخذ . ولم يذكر المعارضة كضرب من ضروب السرقة (الحاتمي ، ١٩٧٩ ، ج ٢: ٩٧-٢٨) .

ويعقد أبو هلال العكسرى في كتاب : الصناعتين فصلا كاملا عن حسن الأخذ الذي هو أحد ضروب السرقة عند الحاتمى ، فيقول : « إنه ليس

لأحد من أصناف القائلين غني عن تناول المعاني ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم » (العسكري ، ١٩٥٢: ١٩٦). إبراهيم عوضين يعلق على هذا الكلام و يسأل: والمعارضة في الشعر عبارة عن استعارةٍ لقوالب قصيدة سابقة والصب على تلك القولب كما قال العسكري . فهل هذا كافٍ لاعتبار الشعر المعارض سارقا ؟ واعتبار المعارضة لونا من ألوان السرقة كما يرى بعض الباحثين ؟ (عوضين ، ١٩٨١: ٢٢) . نعم ! كلام أبي هلال العسكري يوحي بذلك ، بيد أنه يعتبرها طريقا لا غنى لأحد من أصناف القائلين عنها .

أما عبدالقاهر الجرجاني ، فيستعمل كلمة « احتذاء » بدلا من كلمة « أخذ » ويهاجم الذين « لايجعلون الشاعر محتذيا إلا بما يجعلونه به آخذا ومسترقا »(جرجاني: ٢٩٦) ويقول : « إن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتديء الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا.. فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبَّه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها ، فيقال قد احتذي على مثاله »(السابق).

والاحتذاء في واقع الأمر طريق يسلكها كثير من الشعراء في مرحلة من مراحل أعمارهم . وهو مرحلة من مراحل النمو الفكري والنضج الشعري عند الشعراء وطور من أطوار المعارضة التي قد يمارسها الشاعر حتى بعد أكمال أداته الشعرية وبلوغ مرحلة النضج الفني كما نراها عند أحمد شوقي في العصر الحديث. من أجل ذلك فإن النقاد الأوروبيين يفرقون بينه وبين السرقة ، فالاحتذاء عندهم « أخذ له قدرة الخلق . والسرقة أخذ خال من هذه

القدرة . والفرق بينهما هو الفرق بين الفنان والسارق . فالفنان ناقل جيد والسارق ليس إلا ناقلا رديئا »(هدارة ، ١٩٧٥: ٢٢).

ويرى إبراهيم عوضين أن المعارضة لون من ألوان السرقة الأبية ، لأن المعارضة كما يقول « أخذ أفكار ومعانى الغير والصب على قوالب مستعارة من الأخرين » (عوضين ، ١٩٨١: ٢٢) ونحن لا نستطيع أن نجاري عوضين في هذا الرأي بعد أن استقلت المعارضة بمصطلحها الفني ، وكمل مفهوم ذلك المصطلح في أذهان الشعراء والنقاد على حد سواء ، اضافة إلى ذلك ، فإن الشاعر المعارِض لاينكر معارضته لقصيدة سابقة ، بل يضمن منها شيئا في قصيدته أحيانا ، بخلاف السارق الذي يحاول جاهدا إخفاء سرقته ، ولو اعتبرنا المعارضة نوعا من أنواع السرقة لاعتبرنا النقائض وما شاكلها كذلك . وهذا يدعونا إلى إلغاء بعض المصطلحات الأدبية أو تغيير مفهومها الذي تبلور في نقدنا العربي منذ القديم.

إن الإمام عبدالقاهر الجرجاني استطاع ببصيرته الجيدة وحسه النقدي السليم أن يتجاوز من حدود السرقة وينصف الشعراء باستعماله مصطلح « الاحتذاء » بدل الأخذ والسرقة .

وإذا كانت المعارضة تلتقي مع الأخذ – الذي هو أحد أنواع السرقة عند بعض النقاد – في استعارة القوالب من شاعر آخر ، فإنها تختلف عنه في كونها ليست جزئية ، مقصورة على عناصر محدودة من فكرة أو صورة أو معنى . فالشاعر المعارض قد يقع تحت تأثير قصيدة قيلت في موضوع ما ، فيسعى إلى كتابة قصيدة في نفس الموضوع متأثرا بالقصيدة الأولى قالبا وموضوعا بشكل عام . والموضوع العام – أو كما يسيمه الإمام عبدالقاهر –

« المعنى العقلي » مشترك بين الناس يتفق العقلاء على الأخذ به ، والحكم بموجبه فى كل جيل وأمة ، ويوجدُ له أصل في كل لسان ولغة » (الجرجاني ، ١٩٥٤: ٢٤٢)

وقد تتفق المعارضة في نموذجها الراقي مع القصيدة الأصلية أو غيرها من القصائد الأخرى في المعاني الخاصة أو « المعاني التخييلية » كما يسميها الإمام عبدالقاهر (السابق: ٢٤٥). ثم لا يكون هناك سرقة ، لأنه قد «يمر الشعر بمسمَعَي الشاعر فيدور في رأسه ويأتي عليه الزمان الطويل فينسى أنه سمعه قديما ، وربما كان اتفاق قرائح ، من غير أن يكون أحدهما أخذ عن الآخر(ابن رشيق ، ١٩٧٢: ٨٤-٨٣).

النتائج :

بعد الوقوف على موضوع المعارضة أكدت الدراسة بأن هناك ارتباطا وثيقا بين المعنى اللغوي للمعارضة والمعنى الاصطلاحي لهذا الفن . وقد اختلف النقاد إثر محاولاتهم لتحديد معنى المعارضات فيما يدخل وما لا يدخل من الأشعار في باب المعارضة ، فوسعوا مفهومها توسعا كبيرا ؛ فمن النقاد من اكتفى باتحاد القافية فقط ، ومنهم من لا يبالي باختلاف اعراب القافية . ومنهم من يكتفي باتحاد الوزن والقافية بين قصيدتين لتحقق المعارضة ، وأما المفهوم الاصطلاحي الذي نحن نراه للمعارضة هو توافق القصيدةِ المتأخرةِ مع القصيدةِ المتقدمةِ في وزنها وقافيتها وأن يكون الغرض منهما واحدا أو متماثلا ، بحيث تكون القصيدة المتأخرة صدى واضحا

للقصيدة القديمة ، بدافع الإعجاب والتقليد ، أو نزعة التفوق والإبداع . فلاحظنا في هذا التعريف المقومات الأساسية التي نراها ضرورية لتحقيق المعارضة بين قصيدتين وهي الاتفاق في الموضوع والوزن والقافيه .

المعارضة قسمان : معارضة صريحة وهي التي توافق التعريف تماما ومعارضة ضمنية وهى ما فقدت فيها القصيدة المتأخرة أحد عناصر الشكل الخارجي للقصيدة المتقدمة واتفقت معها بالغرض العام ، أو العكس . فالمعارضة الصريحة نوعان : إما أن تكون معارضة كليّة ، أي لكل القصيدة القديمة ، أو تكون معارضة جزئية ، وهي ما اقتصر فيها الشاعر على معارضة جزء من القصيدة القديمة . والمعارضة الضمنية نوعان : واضحة وخفية . أما المعارضة الواضحة ، فهي ما كانت العلاقة فيها بين القصيدتين المتأخرة والمتقدمة ظاهرة إما في عناصر الشكل الخارجي ، أو في الموضوع . والمعارضة الضمنية الخفية ما تجاوزت الشكل الخارجي إلى العملية الإبداعية وما يتصل بها من تصوير أو تعبير .

هناك علاقة وثيقة بين النقائض والمعارضات ، فمن الجانب اللغوي ، تبدو المعارضات قريبة من النقائض ، فالمعارضة تعني الاحتذاء كما تعني النقض على حد سواء . ولكن مدلول كلمة معارضة أشمل من كلمة مناقضة التي لا تعني أكثر من النقض والمخالفة . لهذا استعملت كلمة « معارضة » لتأدية كلا المفهومين ، خاصة في العصور الأدبية الأولى قبل استقلال كل واحدة بمفهومها الأدبي المعروف الآن . المعارضة الشعرية والمناقضة تشتركان في كونهما انعكاسا لأثر سابق عليهما ، وكونهما ملتزمتين بما التزم به صاحب ذلك الأثر من وزن وقافية وموضوع . وتختلفان في المدلول

الأدبي إذ المحور الرئيس في النقائض هو الهجاء بين شاعرين ولا نجد هذا التوجه في المعارضات . ومن ضروريات المناقضة أن يكون الشاعران المتناقضان متعاصرين وهذا ليس ضروريا في المعارضة . والخطاب في النقيضة موجه دائما إلى الشاعر المناقَض ، بينما في المعارضة توجيه للكلام إلى طرفين متباعدين في الزمن يتوسطهما الشاعر ، طرف يمثله الشاعر صاحب القصيدة الأصلية ، وطرف يمثله قاريء المعارضة .

نحن لا نرى أيا من النقاد يصرح بأن المعارضة نوع من السرقة ولكنهم يتكلمون على حسن الأخذ وهو استعارة القوالب من شاعر آخر وإذا كانت المعارضة تلتقي مع الأخذ في هذا الأمر ، فإنها تختلف عنه في كونها ليست جزئية ، مقصورة على عناصر محدودة من فكرة أو صورة أو معنى. فالشاعر المعارض قد يقع تحت تأثير قصيدة قيلت في موضوع ما ، فيسعى إلى كتابة قصيدة في الموضوع نفسه متأثرا بالقصيدة الأولى قالبا وموضوعا بشكل عام.

المصادر :

ابن حسين ، محمد ، المعارضات في الشعر العربي ، الرياض ، النادي الأدبي ، ١٩٨٠م .

ابن رشيق ، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، تحقيق الشاذلي بويحيى ، تونس : الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٢م .

ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، تحقيق عبدالعزيز المانع ، الرياض : دارالعلوم ، ١٩٨٥م.

ابن فارس ، أبوالحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، بيروت : دارالفكر ، ١٩٧٩م.

ابن منظور ، أبوالفضل محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب ، تحقيق عبدالله علي الكبير ، قاهرة : دار المعارف .

أبونواس ، الديوان ، تحقيق أحمد عبدالحميد الغزالي ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٥٣م.

الأزهري ، أبومنصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مصر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤م .

الأصفهاني ، أبوالفرج ، الأغاني ، تحقيق لجنة علمية في دار الثقافة ، بيروت : دارالثقافة ، ١٩٧٨م.

البجاري ، يونس طركي سلوم ، المعارضات في الشعر الأندلسي ، بيروت : دارالكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م.

البوصيري ، الديوان ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، القاهرة : البابي الحلبي ، ١٩٥٥م .

الجرجاني ، عبدالقاهر ، أسرار البلاغة ، تحقيق هـ . ريتر ، اسطنبول : مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤م .

الجرجاني ، عبدالقاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد عبده ومحمد الشنقيطي ، مكة المكرمة : المكتبة التجارية ، د.ت.

الحاتمي ، أبو علي محمد بن الحسن ، حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق جعفر الكتاني ، بغداد : وزارة الثقافة والإعلام و دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٩م.

الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، كويت : التراث العربي ، ١٩٦٥م.

السماعيل ، عبدالرحمن بن إسماعيل ، المعارضات السردية في الأدب العربي ، رياض ، جامعة ملك سعود .

الشايب ، أحمد ، أصول النقد الأدبي ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .

الشوقي ، أحمد ، الشوقيات ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى .

الطرابلسي ، محمد الهادي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، تونس : منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م.

العسكري ، أبوهلال ، كتاب الصناعتين ، تحقيق علي البجاوي وأبوالفضل إبراهيم ، القاهرة : دارإحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢م .

عوضين ، إبراهيم ، المعارضات في الأدب العربي ، القاهرة ، ١٩٨١م .

الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ؛ تحقيق عبدالحميد هنداوي ، بيروت : دارالكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م.

فيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ، ٢٠٠٥م.

المتنبي ، أبوالطيب ، الديوان ، شرح عبدالرحمن البرقوقي ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى.

المعجم الوسيط ، بإشراف مجمع اللغة العربية ، مصر : مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٤م.

نوفل ، محمد محمود قاسم ، تاريخ المعارضات في الشعر العربي ، بيروت: دارالفرقان ومؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣م.

وادي ، طـه ، شعر شوقي الغنائي والمسرحي ، القاهرة : دارالمعارف ، الطبعة الثانية ،١٩٨١م .

هدارة ، محمد مصطفى ، مشكلة السرقات في النقد العربي ، بيروت : المكتبة الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م.

النظرُ الكلّيّ

منهجُ استقراء غائبٌ في البحث النحويّ

الدكتور مازن عبدالرسول سلمان

قسم اللغة العربية

كلية التربية الأساسية / جامعة ديالى

الملخص :

يدرس هذا البحث إجراءًا منهجيًّا سمّيناه بـ (النظر الكلّي) بوصفه أداةً تحاول تحقيق استحكام قراءة النصوص النحوية التراثية متمثّلة بالنظر الى متفرّق الأقوال الخاصة بالمسألة النحوية الواحدة في كتاب واحد للنحويّ ، أو في كتبه المتعددة ، وسحاولة استقرائها ، والوقوف عليها مجموعةً بغيةَ استنباط الحكم ، وتوجيهه بإحكام .

ولكي يستوفي البحث مطالبه كان لزامًا منهجيًّا البدءُ بتعريف ماهيّة هذا الإجراء ، ثم الكشف عن طبيعة التعامل معه ، وصور حضوره في التراث النحوي ، ثم بيان أهميته . مشفوعةً بأمثلة تطبيقية توضّح المعروض من رؤىً ، وترسخ معطياتها .

المقدّمـــة :

لاشكّ في أنّ الوقوف الموفّق على مرامي النصوص النحويّة ، والكشف عن غائر معطياتها ، واستنطاق مضموناتها ، وسلامة تحليلها ، وما ينبني على ذلك من فَهْم ، وحُكْم ، وتوجيه غايةٌ عزيزةٌ ؛ وسبيل تحقّقها دقّةُ قراءةِ تلكم النصوص . وأنّ القصور في قراءتها موصلٌ حتمًا الى اختلال الرؤى ، والأحكام ، والتوجيهات .

ولا تكادُ تخفى على المعنيين معاناة مشغلنا النحويّ من معضلة القراءة النحوية الفاحصة ، والوافية للنصوص النحوية في مصنفات المتقدمين . والتعثّر في استجلاء المراد منها .

ومن هنا فتقديم رؤًى ، ومساربَ علميةٍ تضع الباحث على سكّة منهج قويم يوصل الى صحّة قراءة منجزنا النحويّ ، واستنباط الأحكام منه اقتضاءٌ يضبطُه انتظامُ أدوات البحث ، والتأليف ، والتقصّي . في نسقٍ منهجيّ يُلزم المشتغلين به بالركون اليه على أنّه سمةٌ من سمات التفكير العلمي القويم المستند الى خطوات سليمة في العرض ، والتحليل ، وآستخلاص التصورات المبتغاة منها على وجهها الأتمّ الأكمل .

ويأتي هذا الإجراء المنهجي الذي سمّيناه بـ (النظر الكلّي) أداةً تحاول تحقيق استحكام قراءة النصوص النحوية التراثية متمثّلة بالنظر الى متفرّق الأقوال الخاصة بالمسألة النحوية الواحدة في كتاب واحد للنحويّ ، أو في كتبه المتعددة ، ومحاولة استقرائها ، والوقوف عليها مجموعةً بغيةَ استنباط الحكم ، وتوجيهه بإحكام .

ذلك أنّ من المفارقات المنهجية في متون مصنفات العربية تماسك نصوص الحكم الواحد – في الغالب – وعدم انفكاك بعضها عن بعض . مع أنّ أماكن الحديث عنها أحيانًا متفرق في المصنّف الواحد ، أو المصنفات المتعددة .

وقد يبدو للوهلة الأولى أنّه منهج حاضرٌ عقلا ، أو عرفًا في أذهان المشتغلين بعلوم العربية قديمًا وحديثًا ، قد يكون ذلك . بيد أنّه غاب الى حدٍّ كبير في مادة مصنّفاتهم : تطبيقًا ، وتعاملا ؛ إذ لم نقفْ إلّا على مصنَّفٍ نحويٍّ واحدٍ ، أو اثنين تعامل اصحابها مع نصوص كتاب سيبويه ، أو غيره من النحويين في أثناء تفسير أقوالهم وفاقًا لهذا المنهج لكن ليس بشكل متلئبٌ ، وليس مع جميع النصوص ، كما سيأتي في متن البحث ، وهو ما جعلنا نصفه بـ (الغائب) . ودعانا الى الكشف عنه ، وإبرازه ، والدعوة الى تبنّيه أداةَ بحثٍ فاعلةً ، مكينةً ، مُلزمة في التعامل مع أمثلة حضوره في مصنفات نحاتنا (رحمهم الله تعالى) .

وممّا يستدعي هذا المنهج طرائق عرض النحويين للمادّة النحويّة المتمثّل أحيانًا بتكرار الحديث عن المسألة الواحدة قصدًا ، أو سهوًا ، أو العدول عنه بإشارة ، أو من غير إشارة ، أو ظهور دليل جديد يستلزم توجيهًا جديدًا للحكم ، أو استيفاء المسألة في بابها ، أو مكانها المناسب ، أو غير ذلك ممّا سيتبين في متن الدراسة .

ولكي يستوفي البحث مطالبه كان لزامًا منهجيًّا البدءُ بتعريف ماهيّة هذا الإجراء (النظر الكلّي) ، ثم الكشف عن طبيعة التعامل معه ، وصور حضوره في التراث النحوي ، ثم بيان أهميته . مشفوعةً بأمثلة تطبيقية توضّح

المعروض من رؤى ، وترسخ معطياتها .

أسأله تعالى القبول ، والسداد في القول والعمل .. إنه وليّ ذلك ، والقادر عليه .

* مفهـــومُ النَّظَـــرِ الكلِّـــيِّ :

هو إجراء منهجي يبتغي النظر في جماع آراء العالم في المسألة النحوية[١] الواحدة ، والإحاطة بشتات أقواله الخاصّة بالحكم الواحد .

وسبيلُهُ :

جمعُ النصوص التي تنتمي إلى موضوع واحد، والمتفرّقة في صفحات كتاب واحد ، أو كتب متعددة للعالم الواحد ، ومقاربتها مع بعضها ، وربطها ؛ ليفسّر أحدُها الآخر ويكمّله ، ويتمّمه ؛ لتعبر بمجموعها عن حقيقة رأيه ، وتحيط بمجمل حكمه ، وتستيقنه على وجهه الحقّ . وَلِلَفْظَيْ هذا الإجراء – تسميةً ، ومفهومًا – أصلٌ في اللغة تبرزه معجمات العربية :

فالنظـر في اللغة : إبصار الشيء ، وتدبّره ، وتأمّله ، والتفكّر فيه . " فإذا قلت : نظرت إليه لم يكن إلا بالعين ، وإذا قلت : نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكّرًا ، وتدبّرًا بالقلب "[٢] ، و" النظر : تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمّل والفحص ، وقد يراد به

---

[١] حَصْرُنا الإجراء لفظًا بالمادة النحويّة لا يعني عدم إمكان انطباقه على مباحث العربية الأخرى .

[٢] تهذيب اللغة (نظر) : ٥/٤٠ .

المعرفة الحاصلة بعد الفحص ... يقالُ : نظرت فلم تنظُرْ . أي : لم تتأمّل ولم تتروَّ " [٣] . فـ" نظرتُ في كذا : تأملتُه "[٤] ، وهو" الفكر في الشيء تقدّره وتقيسه منك " [٥].

وإطلاق لفظ (النظر) على هذا المنهج يصدق لفظًا ، ومعنًى ، وإجراءً ، فالبحث عن الأقوال المتفرّقة ومحاولة جمعها ، وفحصها ، وتأمّلها ، وتدبّرها ، والتفكّر فيها . هو كُنْهُ هذا المنهج ، وسبيلُ الكشف عن مادته .

وكان لزامًا لهذا الإجرَاءِ المتّسم بالإتقان أن يستدعيَ وصفًا يتمّمه ويعبّر عن تكامل خطواته وهو (**الكلّي**) .

والكلّي في اللغة اسم دالٌّ على جمع الأجزاءِ في منوالٍ والإحاطةِ بها ، جَاءَ في تهذيبِ اللغةِ[٦] : " وأما كُلٌّ فإنَّهُ اسمٌ يجمعُ الأجزاءَ " ، " وَهُوَ اسم موضوعٍ للإحاطَةِ " [٧] ، ويؤتى بِهِ " لإحاطَةِ الأجزاء "[٨].

ولذا وُصِفَ إدْرَاكه – والكليَّ أعني – بالعلم ؛ لأَنَّ " العلم يقال لإدراك الكلي .... والمعرفة تقال لإدراك الجزئي " [٩].

---

[٣] مفردات ألفاظ القرآن (نظر) : ٨١٢ .

[٤] نفسه : ٨١٣ ، وينظر : لسان العرب (نظر) ٥/٥١٥ .

[٥] لسان العرب (نظر) ٥/٥١٥ .

[٦] (كل) : ٣/٣٠٦ .

[٧] مقاييس اللغة (كل) : ٥/١٢٢.

[٨] تهذيب اللغة (كل) : ٣/٣٠٦.

[٩] الكليات : ٦١١ .

واقترانه بلفظِ (النظر) يُلزِمُ اعتبارَ الإجرَاءِ ويحقّقه ، ذلك أنَّ أسَاسَ إطلاقه متوقف على الإحاطةِ بمتفرق أقْوَالِ العالم ، وآرائه الخاصة بالموضوعِ الواحِدِ فـ " المفهوم الكلّي : هُوَ أمرٌ واحِدٌ في نفسِهِ مُتكَثِّر بحسبِ ما صدق عَلَيْهِ " [١٠].

فالحكم ، أو الموضوعُ واحِدٌ تشتت مواضع التعبير عنه ، واختلفت أساليبه ، والإحاطة بأجزائه ، وجمع نصوصه يحقق دِقّة تصوّره ، وصحّة استيعابه . وتمام استقصائه .

و (**للاستقراء**) هنا حضورٌ مكين يفرضُ الإشارةَ اليه عنوانُ البحث ، ويستلزمه منهج العرض بوصفه مصطلحًا معبّرًا عن طبيعة سير خطوات الإجراء .

فالاستقراءُ في اللغة : التتبّع ، و" استَقْرَاها تَتَبَّعَها " [١١] . وهو في الاصطلاح : " تتبع جزئيات الشيء "[١٢] ، أو " تصفّح الجزئيات ؛ لإثبات حكم كلّي " [١٣] ، وبذا : " يكون الاستقراء تتبّعًا منهجيًّا لجزئيات ظاهرة ما تتبعًا استقصائيًّا ويسمّى بالاستقراء الكامل ، أو جزئيًّا ويسمّى بالاستقراء الناقص " [١٤].

---

[١٠] نفسه : ٨٦٠ .

[١١] لسان العرب (قرأ) : ١٥/١٧٤.

[١٢] الكليات : ١٠٥ .

[١٣] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ٢ / ١٧٢ .

[١٤] التفكير العلمي في النحو العربي (الاستقراء – التحليل – التفسير) ، الدكتور حسن خميس الملخ : ٦٧ .

وإن كان من سمات موضوعية الدرس النحوي تفكيرًا ، وإجراءً اتّصافُه بالاستقراء الناقص ؛ فإنّ من موضوعية هذا المنهج - والنظر الكلي أعني - اتّصافُه بالاستقراء الكامل مع أنه " عزيزٌ نادر صعب تحققه في الدراسات النحوية " [١٥] ؛ ذلك أنّه وحدَهُ الضامن لضبط خطوات النظر ، والمرشد الى الى سلامة نهج استقصائه . من خلال تتبع مادة المسائل المبحوثة ، وجمع تفصيلاتها المتفرقة في إطارٍ كلّي جامع متّسم بالإحاطة ، والشمول ، والدقة ، وإحكام التوصيف ، ونضجه .

*** تماسك النصوص ، وتفرق مواضع ورودها (مفارقة منهجية) :**

أشرنا الى أنّ ممّا يستدعي هذا الإجراء ، طبيعة مناهج التأليف لدى علماء العربية متقدميهم ، ومتأخريهم ؛ إذْ من سمات أسلوبهم أنهم يتناولون الحكمِ الواحد ، أو المسألة الواحدة في أَكْثَر من باب من أَبْوَابِ مصنّفاتهم ، وفي كلّ وقفة لهم معها تتغير تعبيراتهم فيزيدون على آرائهم علّة ، أَوْ شرطًا ، أَوْ تعليقةً ، أَوْ مزيد توضيح . أو قد يتراجعون عن الحكم لظهور دليل جديد . مع أنّ هذه الأحكام متّسمةٌ - في الغالب الأعم - بالتماسك الذي يعني " الترابط العضويّ بين عناصر الموضوع المدروس بحيث يبدو في صورته النهائية نظامًا متكاملا ، وبناءً متعاضدًا " [١٦] . وطريق هذا التماسك عدم التناقض بين فكرة واخرى ، وانسجام أول الموضوع مع آخره فلا تطعن إحدى النتائج في الأخرى ، بحيث إذا وضعت إحداهما الى جانب

---

[١٥] المصدر نفسه .

[١٦] الأصول ، تمّام حسان : ١٨ .

الأخـرى لـم يـدرِ المـرء مـا يأخـذ منهـا ومـا يـدع[١٧]. وإن تفرّقـت أمـاكن تناولها . وهو ما يبدو مفارقة منهجيةً . يعسرُ معها الوقوف على توصيف شامل لمضمون الموضوع المدروس ، و جمع جزئياته ، وسبر مكنوناته . فالشائع في طرائق عرض هذه الموضوعات أنّ حكمًا مركزيًّا لها يُطلقُ في بابه بتفصيلات موسعة ، وتُتناول متمماتها في أماكن أخرى من الكتاب أو في كتب أخرى للمؤلف نفسه . ولا يهمنا هنا توجيه سهام النقد الى نحاتنا الاجلاء (رحمهم الله تعالى) ومنجزهم النحويّ ، فذلك منهج ألِفُوه ، وتعوّدت أقلامهم انتحاءَه ، وإنما الذي يهمنا كيفية التعامل مع تلكم النصوص المتفرقة ، استقراءًا ، وفهمًا ، واستخلاصَ حكم جامع وافٍ .

ومن أمثلته التطبيقية ما ورد من حديث في كتاب سيبويه عن احكام (لمّا) الجازمة ؛ إذ إنّ الفكرةَ المركزية التي تجمع أهمّ أحكامها بوصفها أداةَ جزمٍ للفعل المضارع حديث سيبويه عنها في باب مخصّص لذلك عنوانه (هذا باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها) في الجزء الثالث من كتابه . بقوله " وذلك (لم) ، و(لمّا) ، و(اللام) التي في الأمر وذلك قولك ليِفعلْ ، و(لا) في النهي وذلك قولك لا تفعلْ فإنما هما بمنزلة لم ... واعلم أن حروف الجزم لا تجزم إلا الأفعال ولا يكون الجزم إلا في هذه الأفعال المضارعة للأسماء كما أن الجر لا يكون إلا في الأسماء ". [١٨]

---

[١٧] المصدر نفسه .

[١٨] الكتاب ٣ / ٨ .

لكنّ أول ورود لها كان في الجزء الأول من كتابه بقوله إنّ : " من الحُروفِ حُروفا لا يُذْكَرُ بعدها إلاّ الفعلُ ولا يكون الذي يَليها غيرُهُ مُظْهَرا أو مُضمَرا ، فممّا لا يليه الفعلُ إلاّ مظهرا (قَدْ ، وسَوْفَ ، ولمَّا ، ونحوُهنّ) "[19]. وكرّر الحديث عنها في الجزء الثالث أيضًا موردا حكم منع الفصل بينها وبين الفعل الذي جزمته . بقوله : " فمن ثم أشبهت (قد) (لمّا) في أنها لا يفصل بينها وبين الفعل "[20]. واشار في الجزء نفسه الى أنها تأتي نفيا لـ (قد فعل) قال : " وإذا قال قد فعل فإن نفيه لمّا يفعل "[21]. في حين أجّل حديثًا مهما عن أصلها ، وتركيبها الى الجزء الرابع . قال : " و (ما) في (لمّا) مغيرةٌ لها عن حال (لم) كما غيرت (لو) إذا قلت (لوما) ونحوها ألا ترى أنك تقول (لمّا) ولا تتبعها شيئا ولا تقول ذلك في (لم) ". [22]

وشمل هذا الأسلوب أغلَب المؤلفات النحويّة ولعل (الكتاب) أبرزُ مُصنَّفٍ تتناثر فيه الرأي الخاص بالحكم الواحد في صفحاته المتعددة كما تبين في المثال السابق ، فـ" سيبويهِ (ت١٨٠هـ) كان يتحدّث عن المسألة الواحدة في مواطن متفرقه من كتابه ؛ إذْ كان ينثر الحديث نثرًا ، ويفرقه تفريقًا "[23]. ولذلك ترى " تشتّت المادة الواحدة في عناوين مختلفة وأماكن

---

[19] نفسه : ١/٩٨ .

[20] نفسه : ٣ / ١١٥ .

[21] نفسه : ٣ / ١١٧ .

[22] نفسه : ٤ / ٢٢٣ .

[23] فهارس كتاب سيبويه ودراسةٌ لَهُ : ١١.

متباعدة " [٢٤] ومن هنا أضحت " المشكلة الرئيسة التي تواجه كلّ دارسٍ للكتابِ هي تشبك الأبواب ، والمواضيع ، فتجد الموضوع الواحِدَ منتشرًا في أبْوَابٍ متفرّقة من الكتاب مما يستنزف من الباحث الجهد الكبير ، والوقت الكثير ليظفر بالموضوع متكاملا ، ولكي يُبدي رأي سيبويه ، أَو يستخرج مذهبه على الوجه الأصحّ ". [٢٥]

وقد صرّح سيبويه نفسه بتأجيل الحديث عن مسائلَ إلَى الباب الخاصّ بها مع مزيدَ حججٍ بعد أن أورد شطرًا منها كقولِهِ بعد أن أورد الآيتين المباركتين : { هَدْيا بَالِغَ الْكَعْبَةِ } (المائدة : ٩٥) { هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا } (الأَحْقَاف :٢٤) : " فلو لم يكن هذا في معنى النكرة والتنوين لم توصف بِهِ النكرة . وستراه مفصّلا أَيْضًا في بابه مع غير هذا من الحجج إن شاء الله "[٢٦].

وتصريح النحويين بتأجيل التناول التفصيليّ لمسائل يعرضون لجزء من مادّتها أمر قد تكرر في مصنفاتهم[٢٧] . بيد أنَّ الغالب عدم التصريح بذلك .

---

[٢٤] بَعْضٌ من أوهام النحاة في آراء صاحب الكتاب (بحث) ، الدكتور موسى بناي العليلي :٢٤٠.

[٢٥] النواسخ في كتاب سيبويه ، الدكتور حسام النعيمي : ٤.

[٢٦] الكتاب : ١/١٦٦، وللمزيد ينظر : ١/ ٥٣ ، ٢٣٦ .

[٢٧] ينظر على سبيل المثال : الأصول : ١/٢٩٥ ، ٢٧٧ ، وسرّ صناعة الإعراب : ١/١٧٠ ، ٢/٦٥٣ ، واللباب في علل البناء والإعراب : ١ /١٥٥ ، وشرح الكافية للرضي : ١/٥٠٥ ، ٣/٢٠٧ ، وشرح ابن عقيل : ٣/٣٢١ ، وحاشية الصبان : ١ /١٠٣٦ ، وحاشية الخضري : ٣ /٢٧٢.

وقد يكون الحديث عن الحكم الواحد ، أَوْ المسألة النحوية الواحدة متفرقًا في أَكْثَر من كتاب واحد للعالم نفسه . وَهُوَ أمر قد يشير إِلَيْهِ النحويّ بنفسه كما فعل أَبُو البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) مثلا عِنْدَ حديثه عن لغات العرب في الأَسماء الستة ؛ إِذْ ذكر ثلاث لغات اختار أحداها قال : " والذي يُعتمد عَلَيْهِ هو القول الأول ، وقد بينا ذلك مستقصًى في كتابنا الموسوم بـ (الأَسمَاء في شرح الأَسمَاء) إن شاء الله تعالى) [٢٨]. وقوله في مسألة أُخْرَى في كتابه الإنصاف[٢٩] : " وقد ذكرنا ذلك مستوفًى في كتابنا الموسوم بـ (أسرار العربية) . أَوْ لا يشير وهو الغالب .

* طبيعة التعامل مع هذين الأسلوبين :

أعني : تفرّق الحديث عن المسألة في كتاب العالم نفسه ، أَوْ في كتبه المتعددة .. وتمثّل تعامل النحويين معهما في صورٍ ثلاث :

الصورة الأولى : وَصْفُهُ بالتناقض ، أي : أَنَّ تعدّد النصوص هُوَ مناطُ الاضطراب ، والتناقض كما ينصّ ابن خروفٍ الأشبيلي (ت٦٠٩هـ س) وَهُوَ يعرض حكم (الاسم المصغَّر) في العربية ، وتعدّد أقوال سيبويه فيه .

---

[٢٨] أسرار العربية : ٢٥ ، وينظر : ١٢٩ و ٣٦٨ ، والخصائص : ١/ ٨٤ ، ٢٦٤ ، ٢/ ٢٩٧ .

[٢٩] ٢/ ٤٧٨ .

فيقول : " وَهَذِهِ صنعة سيبويه في كتابه يُطلق القول في أبوابِهِ ، ثم يُجيز في غيرها ما مَنَعَهُ فيها ".[30]

ولا يعني ذلك أنَّ التعدّد قد لا يكون مدعاةً للتناقض أحيانًا ، فقد يكون كَذَلِكَ حين يصدقُ عَلَيْهِ صفة التناقض ، وَذَلِكَ عندما يكون للنحويّ حكمان متغايران تمامًا وفيهما تعارض لا يمكن أن يُدفع في المسألة نفسها . في موطنين متفرقين ، في كتاب واحد أَوْ كتابين من غير أن ينبّه على أنّه تراجعَ عن أحد رأييه .

من ذلك مثلا قول سيبويه في الظروف (خلف ، وأمام ، وتحت) : " واعلم أنَّ الظروفَ بعضُها أَشَدُّ تمكّنا من بعضٍ في الأسماءِ نحوَ القُبْل ، والقَصد ، والنَّاحية ، وأمّا : الخَلف ، والأَمام ، والتَّحْت ؛ فهنّ أقلُّ استعمالا في الكلام أن تُجْعَل أسماءً ، وقد جاءت على ذلك في الكلام والأشعار "[31]. في حين قال عنها في موضع لاحق : " وأمّا الخَلْفُ ، والأمام ، والتّحْت ، والدُّونُ فتكون أسماءً . وكينونةُ تلك أسماءً أكثرُ ، وأجرى في كلامهم " .[32]

---

[30] شرح جمل الزجاجي : 2/1015، وَهُوَ حكم غير موضوعي لا يتّفق معه الباحث البتّة ؛ إذْ جعل التناقض عِنْدَ سيبويه صنعة ، وَهُوَ لا يليق بعالم جليل مثل سيبويه ، ولا يصدق على مادّة كتابه ، وهذا لا يعني أنّه قد تَعْرِضُ في الكتاب نصوصٌ يدافع أحدها الآخر بيد أنّ ذلك ليس منهجًا متلبثًا ، أو نسقًا منهجيًا شائعًا فيه .

[31] الكتاب : 1 / 411. وينظر : فهارس كتاب سيبويه ودراسةٌ له : 18 .

[32] نفسه : 1 / 416 . وينظر : فهارس كتاب سيبويه ودراسةٌ له : 18 .

ومنه قول ابن الوردي (٧٤٩ هـ) في المثالين (أحسن بزيدٍ مقبلا) ، و (كفى بزيدٍ مقبلا) : " وَلْيُعلَمْ أنَّ الشيخ قطع في كتابه التسهيل في الحال أن مقبلا في المثالين حال ، وفي باب التمييز قطع أنهما تمييز ، وهذا عجب مِنْهُ مع جلالة قدره "[٣٣]. فهذا تناقض في كتاب واحد .[٣٤]

وقد يكون التناقض في كتابين مختلفين للنحويّ نفسه كما فعل ابن مالك حين عزا في موضعين[٣٥] من كتابه (شرح الكافية الشافية) إلى أنّ (الألف واللام) هي المعرّفة عِنْدَ الخليل، و (اللام) وحدها هي المعرّفة عِنْدَ سيبويه . لكنه عاد وذكر في كتابه (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) أنّ المعرّف بالأداة هي " أل، لا اللام وحدها، وفاقًا للخليل وسيبويه "[٣٦]. وقد تنبّه كل من المرادي ، والأشموني على تناقض ابن مالك ، ووصفوه بذلك.[٣٧]

---

[٣٣] تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة: ١٦٥، وينظر للمزيد: ١٦٨.

[٣٤] والاعرابان مثبّتان في (شرح التسهيل) بيد أنّ المثالين مختلفان فمثال إعراب الحال في بابه (هذا أول فارس مقبلا)٢/٣٢٧، ومثال إعراب التمييز في بابه (كفى الشيب ناهيًا) ٢/٣٨٣. وفي وصفه بالتناقض نظرٌ ، وكلامٌ ليس هذا محلّه .

[٣٥] ينظر : ١/٦٠ ، ١٣٦.

[٣٦] ٤٢ ، وينظر : شرح التصريح : ١/١٧٩ ، وهمع الهوامع : ٢/ ٢٦٩ ، وشرح الاشموني : ١/٢٤٢ ، وحاشية الخضري : ٣/١٥٤.

[٣٧] ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : ١٧١ ، ٢١٦ ، وشرح الاشموني : ١/٢٣٥.

وقد لا يشار إلَى مواضع التناقض أهو في كتاب واحد ، أم في كتابين ؟ كقول ابن عقيل : " وفي كون الألف واللام الداخلتين على الصفة المشبهة موصولة خلاف وقد اضطرب اختيار الشيخ أبي الحسن بن عصفور في هَذِهِ المسألة فمرّة قال إنها موصولة ومرّة منع ذلك ".[٣٨]

الصورة الثانية : أن يُعزى للنحويّ رأيٌ واحد فقط ، ويُغفل الآخر المبثوث في طيّات كتابين مختلفين للنحويّ أو أكثر ، أَو في الكتاب الواحد نفسه وهذا (الرأي الآخر) :

- **إما مغايرٌ للأول تمامًا .**
- **أَوْ مُتممٌ لَهُ ، ومكمل .**

وَهَذِهِ الصورة غالبة في التعامل مع النصوص المتعددة للنحويّ الواحد؛ إذْ يُذكرُ لَهُ رأي واحد غير مستوفٍ ، ويُغفل آخرُ لتفرّق مواطن إيراده إياهما ظنًّا بأنه منتهى رأيِ النحوي ، وأن لا زيادة عَلَيْهِ تتممهُ أَوْ تصحّحهُ متراجعةً عنه . وهذا الإجرَاء مشكل مستحكم يسبّبه إغفال منهج النظر الكلّي ، أَوْ عدم الأخذ به .

ومن أمثلة حضور **النمط الأَوّل** من العزو في التراث النحويّ قول ابن مالك : " وفي (أحمر) وشبهه خلاف : فمذهب سيبويه انه لا ينصرف إذَا نكّر بعد التسمية . وخالفه الأخفش مّدة ثم وافقه في كتابه الأوسط ، وأكثر

---

[٣٨] شرح ابن عقيل : ١٥٦/١ ، وينظر : ٣٠٩/١.

المصنّفين لا يذكرون إلا مخالفته ، وذكر موافقته أولى ؛ لأنها آخر قوليه " . (٣٩)

ويكشفُ نصُّ ابن مالك عن وجهٍ آخرَ للتعامل مع تعدّد النصوص وتحديدًا (النصوص المغايرة الخاصّة بمسألة واحدة)، وَهُوَ ما يمكن أن نطلق عَلَيْهِ مسمّى (**العدول**) و هو وجه يقابل الحكم على التعدد بـ (**التناقض**) وأيًّا كان وصف التعدد (تناقضًا) ، أم (عدولا) فإنّ لتطبيق منهج النظر الكلّي من خلال تتبّع الرأي والوقوف على تعبيراته أينما ورد أثرًا في الكشف عن حقيقته سواءٌ أكان تناقضًا ، أم تراجعًا عن الرأي . إلا أنَّ هذا البحث يحاول رصدَ التعدد المتصوَّر فيه تكامل الرأي بجمع عباراته ، وألفاظه ، واصطلاحاته ليتمّمَ أحدها الآخَرَ ، ويُفسّر بعضها بعضًا كما سيأتي لاحقًا .

أمّا **النمطُ الثاني** ، فمسَارَاهُ :

- أنْ يُعزى للنحويّ رأيٌ ، ويشار إِلَى أنَّ لَهُ في المسألة رأيًا آخر من غير أن يُذْكر ، كما فعل أَبُو البركات الأنباري في قوله : " ذَهَبَ الكوفيونَ إِلَى أنّ الظرفَ يرفعُ الاسمَ إِذَا تقدم عَلَيْهِ ... وإِلَيْهِ ذَهبَ أَبُو الحسن الأَخْفَش في أحد قوليهِ "(٤٠). من غير أن يوردَ القول الآخر. وغيره من النحويين حين

---

(٣٩) شرح الكافية الشافية : ١٤٩٩ ، وينظر : شرح الألفية لابن مالك ، للمرادي : ١١٢/٢ ، وشرح الاشموني : ٣٢٨/١ . وللوقوف على رأي سيبويه . ينظر الكتاب : ٢ / ٩٩ .

(٤٠) الإنصاف : ٥١/١ ، وينظر : أسرار العربية : ٨١ .

كرّروا عبارة (في أحد قوليه) [٤١]، من غير أن يوردوا القول الآخر لتكتمل الصورة عِنْدَ القارئ ، وتتضح حقيقة رأي النحوي أهو تناقض ؟ أم عدول ؟ أم إتمام للرأي و زيادة توضيح لَهُ ؟

ـ أَوْ أن يـُعزى للنحويّ رأيٌ واحد ، من غير أن يُتنبَّهَ على مواضع أُخْرَى له فيها تتمّةٌ أَوْ استدراك . من ذلك مثلا أنَّ بَعْض النحويين قد عزوا إلَى سيبويه أنّه حكم على مسألة (عطف الاسم الظاهر على المضمر المجرور) بالقبح [٤٢]، وذلِكَ أنهم وقفوا على نصٍّ واحد لَهُ حكم فيه على المسألة بالقبح . قال: " وممّا يقبح أنْ يشركه المظهر علامة المضمر المجرور، وَذَلِكَ قولك (مررت بك وزيدٍ) ، و(هذا أبوك وعمرٍو " [٤٣]. وفاتهم نصٌّ آخر لسيبويه يحكم على المسألة نفسها بـ (المنع) صراحةً ؛ إذ قال : " ولا يجوز أن تعطف على الكاف المجرورة الاسمَ ؛ لأنّك لا تعطف على المضمر المجرور ... لا يجوز أن تقول : (هذا لك وأخيك) ".[٤٤]

لذا فحكم القبح في نصّه الأوّل ينبغي أن يحمل على المنع ما دام اقترن بمصطلحات صريحة قاطعة في الدلالة عَلَيْهِ كقوله (لا يجوز) ، و(لا تعطف) .

---

[٤١] ينظر : شرح الكافية الشافية : ١١٥٤، وشرح الرضي : ٢/٢٣٣ ، ٤/٢٣٣ ، ٤/٢٥١ ، والجنى الداني: ٦٣ ، ٧٤، ٨٠ ، وشرح ابن عقيل : ١/٨٤ ، ٢/١٩ ، وهمع الهوامع : ٣/٨٨ ، ٣/٣١٧ ، شرح الاشموني : ١/٣٤ ، ١٧٥، ٢٤٣ .

[٤٢] ينظر: معاني القرآن وإعرابه : ٢/٧٠٦ ، ومشكل إعراب القرآن : ١٨٧.

[٤٣] الكتاب : ٢/٣٨١.

[٤٤] نفسه : ١/٢٤٨.

الصورة الثالثة : التنبّه على أنّ الآراءَ الخاصةَ بمسألَةٍ واحِدَةٍ والمتناثرةُ نصوصُها في مصنّفٍ واحِدٍ للنحوي ، أَوْ في مصنّفاته المتعددة ينبغي أن تُجمَعَ وتوحّد ويقارب بين عباراتها ، ليستخلص منها رأي واحد ما لم تتسم بالتناقض ، أَوْ يُفهم منها – تصريحًا أَوْ تلميحًا – العودة عن الرأي .

وَهُوَ المنهج الَّذِي يتبناه هذا البحث ويدعو إِلَى إشاعته بين المشتغلين بالدرسِ اللغوي والنحوي ولا سيما البحوث ذات المساس بنصوص المتقدمين .

وفي تراثنا النحوي نصوصٌ تكشف حضور هذا الإجرَاء في النظر إِلَى المسائل النحوية ، وإن كان نادرًا قياسًا بضخامة منجزنا النحويّ . ونراه يبرز في التعامل مع نصوص كتاب سيبويه المتّصف بتناثر بَعْض آرائه التي تخصّ مسألة نحوية واحدة في صفحات الكتاب المتعدّدة كما أشرنا في مطلع بحثنا هذا .

فهذا أَبُو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) الَّذِي يصفه الباقولي (ت٥٤٣هـ) بأنّه لولاه " لما فهم كتاب سيبويهِ ، ولا مشكلاته " [٤٥]. يقول : " كثير من الكتاب يجب أن يُتَفَقَّد فلا يحمل على التناقض وَهُوَ غير قليل "[٤٦]. مشيرًا إِلَى تفرّق نصوصه التي قد توحي بالتناقض . لذا تراه يدعو دارس كتاب سيبويه إِلَى الوقوف على جميع النصوص المتفرّقة وتفقدها قائلا : " وَهَذِهِ

---

[٤٥] شرح اللمع : ٤٩٦ ، وينظر : الاستدراك على أَبِي علي في الحجة (مقدمة المحقق) : ٣٧.

[٤٦] الإغفال : ١٤٨.

المواضع التي جمعناها فيما أردْناه من الاتساع في هَذِهِ الأمْثِلَةِ متفرّقةً في (الكتاب) غير مجتمعة ، فَقِفْ عَلَيْهَا ".[٤٧]

في حين يفتتح ابن الطراوة (ت٥٢٨هـ) أحد أبْوَابِ كتابِهِ وهوَ (باب ظننت) بسرد مواضع حديث سيبويهِ المتفرقة التي تخص هذا الباب لينتقل من التنظير الى التعامل الى تطبيقه إجراءًا بحثيًّا معتمدًا ، فهو يقول : " أعاد سيبويهِ في كتابه هذا الباب أربع مراتٍ : الأوْلَى البابَ الَّذِي قال فيه : ما يتعدّى إلَى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على احدهما، ثم فرغ لَهُ ثانيةً مع ألف الاستفهام ، فبسط القول فيه على نحو الإشَارَة والإلمام ، ثم أعادَهُ ثالثةً في باب ما لا يعمل فيه ما قبله ، ثم تكلّم عَلَيْهِ رابعة في أبْوَابِ أم ، وأو ، محاولا في ذلك كلّهِ الإيجَازَ والاختصار "[٤٨].

وقال في موضع آخر : " قال سيبويه فيما يكون فيه الشيء غالبًا عَلَيْهِ اسمٌ يكون لكلّ من كان لأمّته : فإن قلت : (هذان زيدان منطلقان) ، و (هذان عمران منطلقان) لم يكن هذا الكلام إلا نكرةً . وقال في فصل آخر من أبْوَابِ اسم الفاعل؛ لأنّهُ لا يكون الاسم معرفةً ثم يُثنّى "[٤٩].

---

[٤٧] نفسه : ٣٥٨.

[٤٨] رسالة الإفْصَاحِ ببعضِ ما جَاءَ من الخطأ في الإيضَاح : ٤٨ ، ومواضع هَذِهِ النصوص في كتاب سيبويه هي على التالي : ١/١٨، ١/٦١، ١/١٢٠، ١/٤٨١-٤٨٢ ، وقد أشَارَ إلَيْهَا محقق الكتاب الفاضل الدكتور حاتم صالح الضامن (رحمه الله) وتنبه على أن موضع الإشَارَة الرابعة هُوَ في باب (أنِ المخففة) ولَيس باب (أم وأو) كما ورد في النصّ .

[٤٩] نفسه : ٣٠.

فسيبويهِ يعلّل في النصّ الثاني لحكم الوجوب الَّذِي أسَّس لَهُ في النصّ الأوَّلِ ، وما كان ذاك يتبيَّنُ لولا جمع النصّين ومقاربتهما فَهُوَ تلافٍ للنقصِ في النصّ الأوَّلِ ، واستدراكٌ عَلَيْهِ ؛ وَلَيسَ تناقضًا ؛ ذلك أَنَّهُ " غير ناقِضٍ لما أصَّل ، ولا راجع عما قدّم " [٥٠].

أنظر إِلَى ابن الطراوة وَهُوَ يؤكد هذا المنهجَ في النظر إِلَى نصوص سيبويهِ المتفرّقة يقول : "إذَا قلت : (جلس زيدٌ أمام الجبلِ) ، فللجبلِ من زيد نسبة يقال لها : (أمامٌ) ، ولزيدٍ من تلك النسبة حال يقال لَهُ بها : (مُتَقَدِّمٌ) ، وللجلوسِ من تلكَ النسبة وضعٌ يقال لها بِهِ: (ظرف) ، وَإِنَّمَا ذلك للجلوس لا لما يدلّ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قول النحويين أجمعين : ظرفٌ للقيامِ وظرفٌ للقعودِ ، ولم يقُلْ أحدٌ : ظرفٌ لزيدٍ ، ولو قال : (وضع) كان أصوب ؛ لأن الظرف يفضل عما فيه ، والوضعُ مطابقٌ لَهُ . وقد تلافى سيبويه هذا المعنى في باب اشتقاق المصدر والمكان حين ذكر (المَشْرُبَةَ) ، و(المَشْرُفَةُ) ونحوها بِقولِهِ : (لم يرد مصدرًا ولا موضِعًا للفعل) ففرّق بين موضع الفعل ومكان الشيء ، وهذا حَسَنٌ جدًّا لا ما قاله في آخر باب الفعل الَّذِي لا يتعدّى فاعِلُهُ إِلَى مفعولٍ حين ذكر الجبل والوادي ونحوهما ممّا لا تقترن بِهِ الحركاتُ ولا تقطع عَلَيْهِ العوامل" [٥١]. فنصوصُهُ يتلافى أحدها الآخَر ، ويستدرك بعضها على بَعْض وَلَيسَ ثمة تناقض بينها . بل هُوَ (جمع بين الموضعين) كما يُعبّر الصفّار

---

[٥٠] نفسه : ٣٢. وفي هذا ردٌّ على ابن خروف الذي جعل التناقض صنعة سيبويه في كتابه . ينظر : ص٩ من البحث .

[٥١] رسالة الإفصاح : ٦٧.

(ت ٦٣٠هـ) شارح كتاب سيبويه يقول : " وللناس في : رجع القهقرى ، واشتمل الصمّاء ، وقعد القرفصاء ، ثلاثةُ مذاهبَ ... وإن مذهب سيبويه (رحمه الله) في هذا أَنَّهُ منصوب بفعل من لفظه ، ولا يجوز أن يعمل فيه الملفوظ بِهِ ، ويظهرُ من كلامِ سيبويه هنا التناقض ؛ لأنَّهُ يقولُ هنا : (عَمِلَ في المرّة مِنْهُ والمرّتينِ ، وما يكون ضربًا مِنْهُ) فجعلَ القهقرى عاملا فيه الفعل الأوّل ، لكن سأبين الجمع بين الموضعين إن شاء الله " [٥٢].

إلَى أن يقول : " ومنهم من زعم أنها صفاتٌ للمصادرِ ، وكأنه قال : رَجَعَ الرجوعَ القهقرى ، واشتمل الاشتمالة الصمّاء ، وقعد القعود القرفصاء ، ثم حُذِفَ المصدرُ ونابَ منابَهُ الوصفُ ، فعملَ فيه الفعلُ لمّا نابَ منابَ الموصوف ، بخلافِ قامَ وقوفًا ؛ لأنَّهُ لم ينبْ قط (الوقوف) منابَ معمول الفعل . فهذا هُوَ الجمع بين الموضعين ، وهذا ينبغي أنْ يُنسب لسيبويه " [٥٣].

وَكَذَلِكَ ترى ابن مالك يعجبُ من الشلوبين أَنَّهُ يعزو إلَى سيبويه مسألة من غير الوقوف على تمام رأيه المتوزع في نصّين مع أَنَّهُ من المعنيّينَ بمنهج تتبع الآراء المتفرقة قال : " وقد غفل عن الموضع الشلوبينُ فجعلَ أَنَّ نصبَ المكان المختصّ بـ (دخل) عِنْدَ سيبويه على الظرفية . وهذا عجبٌ من الشلوبين مع اعتنائه بجمع متفرقات الكتاب وتبيين بعضها من بَعْضٍ " [٥٤].

---

[٥٢] السفر الأوّل من كتاب شرح سيبويه : ٢/٦٤٦-٦٤٨.

[٥٣] نفسه : ٦٤٨-٦٤٩.

[٥٤] شرح التسهيل : ٢ / ١٢٩ .

ولم يختصَّ النحويون هذا المنهج في قراءة النصوصِ واستنباط الأحكامِ الكلية منها بسيبويه فقد اتبعوه مع نحاة آخرين في أَثْنَاءِ الاستدلال بنصوصهم والردّ عَلَيهِمْ والاستدراك على أقوالهم ، ومنهم الباقولي في استدراكاته على أَبِي عليّ الفارسيّ وَهُوَ يُصرّحُ بهذا الأَمْرِ قائلا : " فإذا أردت تتبّع كلام أَبِي عليّ فليكن كما تتبعناه ثم احكم بصحة ما خرج من ذلك على منوال الكتاب "[٥٥]. وفي كيفية تتبعه يقول : " وقد ذكرت لك غير مرة أنَّهُ لا ينبغي أن تقف على قوله في موضع بل تتبع في جميع كتبه، ثم بعد ذلك ما خرج منها فاعرضه على الكتاب لتفوز بالحظّ الأوفى والقدح المعلّى "[٥٦].

فلا ينهضُ للاستدراك دليلٌ أَوْ حجةٌ عنده إلا بعد أن تستجمعَ آراءَ أَبِي عليّ ويوقف عَلَيْهَا جميعًا لتبيّن دقّة الرأي المستدرك .

وَكذَلِكَ ترى الفاكهيَّ (ت٩٧٢هـ) في كتابه (مجيب الندا في شرح قطر الندى) يتتبع أَقْوَالَ ابنِ هشام الخاصة بمسألة واحدة في كتبه الأُخْرَى . قال : " وتقييد المصنّف في الأوضحِ (غيرَ) الواقعة بعدَ ليس ، يقتضي أنَّ الواقعة بعد (لا) لا يُثْبِتُ لها الحُكمُ كما صرّحَ بِهِ في شرح الشذور ، وقال في المغني : وقولهم (لا غيرُ) لحنٌ "[٥٧].

---

[٥٥] الاستدراك على أَبِي عليّ في الحجة : ٤٥٠ .

[٥٦] نفسه : ٤٥٢-٤٥٣ .

[٥٧] مجيب الندا في شرح قطر الندى : ٢٦ ، وقد أشار محقق الكتاب الفاضل الدكتور مؤمن البدران إِلَى مواضع كتب ابن هشام الواردة في نص الفاكهي وَهِيَ على التتالي : أوضح المسالك إِلَى ألفية ابن مالك : ٣/١٥٢، وشرح شذور الذهب : ١٤٩-١٥٠ ، ومغني اللبيب : ٢٠٩.

وقد أعاد الفاكهي الحديث عن المسألة ثانية قائلا : "وفي كلامه استعمال(لا غيرَ) ، وقد صرّح في المغني بأنَّ قولهم (لا غيرَ) لحنٌ ، وفي الشذور بأنه لم تتكلّم بِهِ العربُ " [٥٨]

ومنه قوله في تعريف (الإعراب) اصطلاحًا : " أثر ظاهر أَوْ مقدّرٌ يجلبه العامل في آخر الكلمة، أَوْ ما نُزِّلَ منزلته . وعليه المصنف في الأوضح والشذور" [٥٩].

أَهَمِّـيَّةُ الإجـراءِ :

أولا: إنّـه منهـجٌ ضابـطٌ :

(أ) يُحْـكِمُ استخلاص الرأي ، ويضبط مسارات تحليله ، ويكشف ما تشتّت من أنساق عرضه ، وما يتضمّن من محتوًى ومضمون ، وصولا إِلَى تكامل الرؤى والتصورات عن كلّي مشمولاته : فكرةً ، وصوغًا ، واصطلاحًا ، ودليلا ، وتعليلا ، ومعنًى . والمحقّق بتضافر تلكم النصوص واجتماعها .

ولا شكَّ في أنَّ ذلك هُوَ السبيل الأنجع لاستقرار الأحكام ، والإحاطة بجزئياتها على الوجه الأتمّ ، الجامع ، المانع من الإلباس ، والقصور ، والنقص .

ودونكم – مثلا – أَقْوَال سيبويه في (أَلاَ) الاستفتاحية كما يسمّيها النحويون ، وتشتّت مواضع تناوله إيَّاهَا . وكيف أن جماع هَذِهِ الأَقْوَالِ

---

[٥٨] نفسه : ١٢٧، وللمزيد ينظر : ٢٨، ٣٩، ٤٦، ٣١٥، ٥١٥ .

[٥٩] نفسه : ٢٠.

يؤدي بنا إلى الإحاطةِ بطبيعة حضورها في الكتاب ، ومن ثَمَّ في الدرس النحوي : أنواعًا ، ودلالات . وأن تفرّقها مظنّةٌ للقصورِ ، ولتعسّرِ الإحاطةِ بتوصيفِها على الوجهِ الأمثَلِ .

فقد وردت عنده على التوالي في المواضِع الآتية : ج١/ ٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩، ج٢/ ١٤٢ ، ٣٠٦ - ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ج٣/ ٣٣-٣٤ ، ٩٣ - ٩٥، ١٢٢ ، ١٨٧ ، ٣٢١ ، ٣٣٢ ، ج٤/ ٢٣٥ . في حين يفضي بنا جماع هَذِهِ النصوص ، ومقاربتها مع بعضها إلَى الوقوف على تصوّرٍ شامِلٍ ، وتوصيفٍ وافٍ لماهِيَّةِ هَذِهِ الأداة ، استعمالا ، ومعنًى . وبيانُ ذلك :

- أنّها تأتي لمعنى (التمني) ، وأن القولَ بتأدِيتها هذا المعنى هُوَ قول أبِي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) والخليل بن احمد (ت١٧٥هـ) : "... ومثل ذلك أيْضًا قول الخليل رحمه الله ، وَهُوَ قول أبي عمرو: (ألَا رَجُلَ إمّا زيدًا ، وإمّا عمرًا) ؛ لأنَّهُ حين قالَ : ألا رجلَ ، فَهُوَ مُتَمَنٍّ شيئًا يسأله ويريده ، فكأنه قال : اللهمَّ اجعلهُ زيدًا أوْ عمرًا ، أوْ وفّق لي زيدًا أو عمرًا "[٦٠].

- ومعنى التمني الوارد مصرّحًا بِهِ في هذا النص ، أوْ ملمَّحًا بِهِ مشبّهًا إياهُ بـ (ليت) في توجيه قول العجاج :

يا ليتَ أيّامَ الصَّبا رَوَاجِعًا.

---

[٦٠] الكتاب : ٢٨٦/١.

" فهذا كَقَولِهِ : أَلَا ماءَ بارِدًا ، كأنه قال : أَلَا ماءَ لنا بارِدًا ، وكأنه قال: يا ليتَ لنا أيّامَ الصِّبا ، وكأنه قال : يا ليتَ أيام الصِّبا أقبَلَتْ رواجعَ "[٦١].
يوجب عنده عملها عمل (لا) النافية للجنس بشرط : نصبها الاسم بعدها ، والاستغناء عن الخبر ، وإسقاط النون والتنوين مِنْهُ . قال : " واعلم أنَّ (لا) إذا كانت مع ألف الاستفهامِ ودخل فيها معنى التمني عملتْ فيما بعدها فَنَصَبَتْهُ ، ولا يُحسن لها أن تعمل في هذا الموضِعِ إلا فيما تعمل فيه الخبر ، وتسقط النون والتنوين في التمني كما سقطا في الخبر . فمن ذلك : (أَلَا غلامَ لي) ، و(أَلَا ماءَ بارِدًا) . ومن قال : (لا ماءَ باردَ) . قالَ : (أَلَا ماءَ بارِدَ) ، ومن ذلكَ : (أَلَا أبا لي ، وألا غلامي لي) "[٦٢]. فنصب الاسم واجب ، وكَذَلِكَ الاستغناء عن الخبر وإن أضيف الاسم . وعلّة ذلك تضمّنُهُ معنى التمني . قال : " ومن قال : (لا غلام أفضل منك) ، لم يَقُلْ في : (ألا غلامَ أفضَلَ منك) إلاّ بالنصبِ ؛ لأنَّهُ دخل فيه معنى التمني ، وصارَ مستغنيًا عن الخبر كاستغناءِ (اللهمَّ غلامًا) ، ومعناه (اللهمَّ هب لي غلامًا) "[٦٣].

– أنها تأتي لمعنى الاستفهام الاستنكاري أَوْ التقريري وعند ذاك يكون لفظ ما بعد (ألا) وما يتبعُهُ من عطف عَلَيْهِ ، أَوْ صِفَةٍ لَهُ أَوْ خبر على حاله قبل دخول ألف الاستفهام[٦٤]. قال : "واعلم أنَّ (لا) في الاستفهام

---

(٦١) الكتاب : ٢/٢٤٢.
(٦٢) نفسه : ٢/٣٠٧.
(٦٣) نفسه : ٣٠٩.
(٦٤) ينظر : الأصول في النحو : ١/٣٩٦ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣/٤٦.

تعمل فيما بعدها كما تعمل فيه إذا كانت في الخبر، فمن ذلك قوله ، البيت لحسان بن ثابت :

ألا طِعانَ وَلا فُرسَانَ عادِيَةً إلاّ تَجَشُّؤُكُمْ عِنْدَ التَنَانِيرِ

وقال في مثل : (أفلا قُمَاصَ بالعَيرِ) . ومن قال : لا غُلامٌ ولا جارِيَةٌ ، قال : أَلا غلامٌ وألا جارِيَةٌ " (٦٥).

أي يجوزُ فيما بعدها النصبُ ، والرفعُ فيجوزُ لك أن تقولَ (ألا طعانَ) و(ألا قماصَ) بالنصب " وتقول : (أَلا غلامين وجاريتين لك) ، كما تقول : (لا غلامين وجاريتين لك) . وتقول : (أَلا ماءَ ولبنًا) كما قلت : (لا غلامَ وجاريةً لك) ، تجريها مجرى (لا) ناصبة في جميع ما ذكرتُ لك " (٦٦). أي تجريها على لفظ (لا) قبل دخول الاستفهام .

ولك أن ترفع فتقول : (أَلا غلامٌ وألا جاريةٌ) . " وقد يجوز أن تقول : (أَلا رَجُلَ إما زيدٌ ، وإما عمرٌو) ، كأنه قيل لَهُ : من هذا المُتَمَنَّى ؟ فقالَ : زيدٌ أَوْ عمرٌو " (٦٧). أي : عندما يكون استفهامًا وإنْ عن المُتَّمَنَّى .

ومنه قوله : " وممّا ينتصب على إضْمارِ الفعل المستعمل إظهَارُهُ قولكَ : (أَلا طعامَ ولو تمرًا) ، كأنّكَ قُلتَ : (ولو كانَ تمرًا) ، و(إئتني

---

(٦٥) الكتاب : ٢/٣٠٦-٣٠٧.

(٦٦) نفسه : ٢/٣٠٧.

(٦٧) نفسه : ١/٢٨٩.

بدابّةٍ ولو حِمارًا) . وإن شئتَ قلت : (ألَا طعامَ ولو تمرٌ) ، كأنك قلت : ولو يكون عندنا تمرٌ ، ولو سقط إلينا تمرٌ " [٦٨].

– ولا يخفى أنَّ الاستفهام في قول حسّان استنكاري ، أمَّا التقرير فقد ورد عنده في قوله : " وقولُه : (ألَا تأتينا أوَلا تحدِّثنا) ، إذَا أردت التقرير ، أوْ غيره " [٦٩].

ويبدو أنّ قول سيبويه (أوْ غيره) هُوَ الَّذِي دعا السيرافي إلَى أن يفهم من القول معنيي : التقرير ، والعرض . قال : " (ألَا تأتينا) يكون تقريرًا ، ويكون استدعاءً وعرضًا كَقَولِك : (ألَا ماء أشربه ؟) وَهُوَ في نحو معنى هلا " [٧٠].

ويبدو كلام السيرافي صحيحًا فمعنى العرض قد يُشمُّ من مثال سيبويه (ألا تأتينا فتحدّثنا) ؛ ذلك أنه ذكر في موضع آخر مثالا آخر قد يُفهم مِنْهُ التقرير ، والعرض . قال : " وسمعتُ من العرب من يقول : (ألا تا ، بلى فَا) ؛ فإنما أرادوا : (ألا تفعلُ وبلى فافعلْ) " [٧١]. وَكَذَلِكَ في قوله : " وتقول : ألا ماءَ فأشرَبَه ، ولَيْتَه عندنا فيحدّثنا . وقال أمية بن أبي الصلت :

ألا رسولَ لنا مِنّا فيُخْبِرنا ما بُعْدُ غايتنا من رأس مَجْرانا

---

[٦٨] نفسه : ٢٦٩/١.

[٦٩] نفسه : ١٨٧/٣-١٨٨.

[٧٠] شرح كتاب سيبويه : ٤٩٩/٣ .

[٧١] الكتاب : ٣٢١/٣.

لا يكون في هذا إلا النصبُ؛ لأن الفعل لم تضمَّه إلَى فعل . وتقول : (ألا تقعُ الماءَ فتسبَحُ) ، إذَا جعلتَ الآخر على الأَوَّل ، كأنك قلت : ألا تسبحُ . وإن شئت نصبته على ما انتصب عَلَيْهِ كأنك قلت : ألا يكون وقوع فأنْ تسبحَ . فهذا تمثيلٌ وإن لم يُتكَلم بِهِ " [٧٢]. ولعلنا نفهم مِنْهُ أَيْضًا معنى التمني فضلا عن الاستفهام والعرض .

– ومعنى العرض والاستدعاء والتحضيض الَّذِي قد يُفهم من أمثلة سيبويه صرّح بِهِ في موضع آخر على أَنَّهُ من معاني (أَلَا) عازِيًا إياه إلَى شيخِهِ الخليل . قال : "وسألتُ الخليل (رحمه الله) عن قولِهِ :

أَلَا رجُلا جَزَاهُ اللهُ خَيرًا يَدُلُّ على مُحَصَّلَةٍ تَبِيتُ

فزعم أَنَّهُ ليس على التمنّي ، ولكنه بمنزلة قول الرجل : فهلاَّ خيرًا من ذلكَ ، كأنَّهُ قال : (أَلَا ترونـي رجلا جزاهُ اللهُ خيرًا) . وأما يونس فزعمَ أَنَّهُ نَوَّنَ مضطرًا ... وَالَّذِي قال مذهب " [٧٣].

ويكشف هذا النصّ عن أَنَّ يونسَ لا يرى ما يراه الخليل من أَنَّ (أَلَا) هنا للعرض والتحضيض ، وتنوين (رجلا) للاضطرار مما يعني أَنَّهُ يرى معناها للتمني وتعمل عمل لا النافية للجنس.

---

[٧٢] نفسه : ٢/٣٠٨-٣٠٩.

[٧٣] نفسه : ٢/٣٠٨-٣٠٩ ، وقد أشار سيبويه في : ٩٨/١ إلَى أنَّ هلا فيها معنى التحضيض والأمرِ وقال في ٥١٤/٣ انها استفهام بمعنى العرض .

كما يكشف أن سيبويه يرتضي مذهبَي شيخيه ، إذْ لم يعترض عليهما .
(والله اعلم) يفسر ذلك أنَّهُ نقل عن يونس في موضع آخر أنَّ قولك :
(هَلاَّ تَقولَنَّ) استفهام فيه معنى العرض [٧٤].

– وَهَذِهِ المعاني الثلاثة (التمني ، والاستفهام ، والعَرْض) قد صرَّحَ بها سيبويه في باب الشرط عِنْدَ حديثه عن أنواع جزم فعل الشرط ؛ إذ قال : "... وأما ما انجزم بالتمنّي فقولك : (ألا تأتيني أحدِّثْكَ ؟ وأين تكون أزركَ ؟ وأما ما انجزم بالتمنّي فقولكَ : (ألا ماءَ أشرَبْهُ، وليتهُ عندنا يُحَدِّثْنا) . وأما ما انجزم بالعرضِ فقولكَ : (ألا تنزِل تُصِبْ خَيرًا)" [٧٥].
وقال: " وممّا جَاءَ أَيْضًا مُنجَزِمًا بالاستفهامِ قوله ، وَهُوَ رجل من بني تغلب جابر بن حُنَى :

ألا تنْتَهي عَنّا ملوكٌ وَتَتَّقي   مَحارِمَنا لا يَبْـؤ الدَّمُ بالدَّمِ " [٧٦]

– ولعلّ تصريح سيبويه بهذه المعاني الثلاثة لـ (ألا) في هذا الموضع هُوَ من أوهم بَعْض النحويين المتقدمين بأنَّ معانيها لا تتجاوز هَذِهِ الثلاثة قال السيرافي : " وإذا دخلت الألف قبل (لا) فلها مذهبان : أحدهما : أن تكونَ استفهامًا ، أَوْ عرضًا ، والآخر : أن تكونَ تمنيًا " [٧٧].

---

[٧٤] نفسه : ٣/٥١٤.

[٧٥] نفسه : ٣/٩٣.

[٧٦] نفسه : ٣/٩٥.

[٧٧] شرح كتاب سيبويه : ٣/٤٦ .

- وأُغفِلَ معنىً رابعٌ لها وَهُوَ (التنبيه) الَّذِي صرح بِهِ سيبويه في الجزء الرابع من كتابه بِقَولِهِ : " وأما (ألا) فتنبيهٌ . تقول : (ألا إنه ذاهبٌ ألا بلى) "[٧٨]. في حين أَوْرَدَ المثال من قبلُ من غير أن يشير إِلَى معنى (ألا) فيه وَذَلِكَ في جواب شيخه الخليل عن سؤال لَهُ . قال : " وتقول : (أَمَّا إِنَّهُ ذاهب) ، و(أَمَّا أَنَّهُ منطلقٌ) ، فسألتُ الخليلَ عن ذلك فقال: إذا قال : (أَمَّا أَنَّهُ منطلقٌ) ، فإنه يجعلك كَقَولِك : (حقًا أَنَّهُ منطلقٌ) ، وإذا قال : (أَمَّا إِنَّهُ منطلقٌ) ، فإِنَّهُ بمنزلةِ قوله: (أَلا) كأنك قلت: (ألا إِنَّهُ ذاهبٌ) ... وإذا قلتَ : (أَمَّا والله إنه ذاهب) كأنك قلت : (ألا إنَّهُ واللهِ ذاهبٌ)" [٧٩].

الآن أسأل : هل كان بإمكاننا أن نقف على طبيعة هَذِهِ الاداةِ معنًى ، وعملا ، وحضورًا في الاستعمال اللغوي العربي من دون الوقوف على هَذِهِ الأَقوَال المتفرقة ، وجمعها ، ومقاربتها، والخلوص منها إِلَى تصور متكاملٍ وافٍ عنها في كتاب سيبويه ؟

(ب) يُرْشِدُ الى تحقيق الدقة في عزو الآراء إِلَى أَصْحَابِهَا ، وَيُصَحِّح اضطراب ما نُسِبَ إِلَيهِمْ من أَقْوَالٍ .

من ذلك مثلا أنَّ للفراءِ (ت٢٠٧هـ) أكثر من قول في كتابِهِ (معاني القرآن) في (الآن) متفرقة في صفحات ثلاثٍ مِنْهُ . قال في أولها : " الآن حرف بني على الألف واللام لم تُخلع مِنْهُ ، وترك على مذهب

---

[٧٨] الكتاب : ٢٣٥/٤.

[٧٩] الكتاب : ١٢٢/٣.

الصفة ؛ لأنَّهُ صفة في المعنى واللفظ ، كما رأيتم فعلوا في (الَّذِي) و (الَّذين) فتركوهما على مذهب الأداة ، والألف واللام لهما غير مفارقتين" [٨٠].

وقال في ثانيها : "... فمثل (الآن) بأنها كانت منصوبة قبل أن تدخل عَلَيْهَا الألف واللام ، ثم أدخلتهما فلم يُغيّراها . وأصل الآن إنَّمَا كان (أوان) حذفت منها الألف وغيّرت واوها إلَى الألف ؛ كما قالوا في الراح : الرياح ، أنشدني أبُو القمقام الفقعسي :

كأنَّ مكَاكِيَّ الجِـواء غُدَيَّةً نشاوى تساقَوا بالرَيَاحِ المفَلْفَل

فجعل الرياح والأوان على جهة (فَعَلٍ) ومرة على جهة (فَعَالٍ) ، كما قالوا : زَمَن وزمان " [٨١].

ويتصل بِهِ مباشرة قول ثالث فيها نصّه: "وإن شئت جعلتَ (الآن) أصلها من قولك : (آنَ) لك أن تفعل ، أدخلت عَلَيْهَا الألف ، واللام ، ثم تركتها على مذهب فَعَلَ فأتاها النصبُ من نصبِ فعلَ وَهُوَ وجه جيّد ، كما قالوا : نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن قيلَ وقالَ وكثرةِ السؤال ، فكانتا كالاسمين فهما منصوبتان " [٨٢].

ومع أن هَذِهِ النصوص تبيّنُ بجلاءٍ حقيقةَ رؤيته لأصلِ (الآن) ، وحركتها ، واستعمالها . بيد أنَّ بَعْض النحويين قد اضطرب في عزو المسألة

---

[٨٠] معاني القرآن : ١/٤٦٧ . والمراد بالصفة في النصّ : الحرف .

[٨١] نفسه : ١/٤٦٨.

[٨٢] معاني القرآن : ١/٤٦٨-٤٦٩.

إِلَيْـهِ . انظـر إِلَـى قـول السـيوطي(ت٩١١هـ) : " الآن لوقـت حضـر ، أَوْ بعضـه . وزعمـه الفراء منقـولا مـن (آن) ، والمختـار إعْرَابـه ، وألفـه عـن واو ، وقيل ياء ، وقيل أصله (أوان) ، وقيل ظرفيته غالبة "[٨٣].

وقوله أَيْضًـا بعد أن عرض أَقْوال النحويين فيها : " وقـال الفراء إِنَّمَـا بنـي ؛ لأَنَّـهُ نقل مـن فعل مـاضٍ وَهُوَ (آنَ) معنـى حـانَ فبقـي علـى بنائـه استصحابًا علـى حدِّ (أنهاكم عن قيلَ وقال). وَرُدَّ بأنـه لـو كـان كَذَلِكَ لـم تدخل عَلَيْهِ (ال) كما لا تدخل على قيل ، وقال ، ولجاز فيه الإعرَابُ كما يجوز في قيل ، وقال... وفي شرح الألفية لابن الصائغ (كذا) أنّ الَّذِي قال بأن أصله (أوان) يقول بإعرابه كما أنَّ أوانًا معرب "[٨٤].

أتراهُ كيف عزا للفراء قولا واحدًا وأغفل الآخرَينِ بل عزا القول إن أصله (أوان) إِلَـى غيره ، وكيف أدى بِـهِ اضطراب العزو إِلَـى الـردّ ، والمخالفـة وقصور عرض الرأي ؟

ولعلّ ممـا يبين أثر النظـر الكلّـي فـي دقّـة العـزو ، وصـحته تعامـل الزجاجي (ت٣٤٠هـ) مع أَقْوال الفراء في (الآن) في كتابَيْـهِ (حـروف المعاني) ، و(اللامات) .

ففي كتابه (حروف المعاني) يضطرب في العزو إِلَيْهِ فينسب إِلَيْهِ قولا واحِدًا وينسب القولين الآخرينِ إِلَى غيره . قال : "... قال الفراء هُوَ حرف مبني على الألف واللام ولم يخلعا وترك على مذهب الصفة ؛ لأَنَّهُ صفة في

---

[٨٣] همع الهوامع : ٢/١٠٦.

[٨٤] نفسه : ٢/١٠٧-١٠٨.

المعنى واللفظ فتركوه على مذهب الأداة ، وقال غيره أصله (أوان) حذفت الهمزة وغيرت واوه من (آن لك أن تفعل كذا) ثم أدخلت عَلَيْهِ الألف واللام منصوبة على مذهب فَعَلَ كما قالوا : (نهى رسول الله ﷺ عن قيل ، وقال) ، فكانتا على النقل كالاسمين وهما منصوبتان..." [٨٥].

في حين عزا إِلَيْهِ الآراء الثلاثة في كتابه (اللامات) يقول : "وقال الفراء والكسائي : إِنَّمَا هُوَ محكيّ، وأصله من آن الشيء يئين بمعنى حان يحين ... فَتُرِكَ على فتحه كما روي في الأثر أَنَّهُ نهي عن قيل ، وقال ، ويحكى مفتوحًا على لفظ الفعل الماضي ... وللفراء فيه قول انفرد بِهِ ، قال : يجوز أن يكونَ مُحلًّى تُرِكَ على فتحه ... واصلُ (الآن) عِنْدَ جماعة البصريين وعند الفراء في أحد قوليه (أوان) حُذفت الألف التي بعد الواو فانقلبت الواو ألفًا لتحرّكها وانفتاحِ ما قبلها فقيل (آن)" [٨٦].

ومع أن الزجاجي في نصه الأخير هذا لم يعرض لرأي الفراء الأَوَّل بشكل واضح إلا أَنَّ عزوه فيه أبين، وأدق من نصّ (حروف المعاني) ذلك أَنَّهُ طبق منهج النظر الكلي في قراءة نصوص الفراء، وعرضها ، واستخلاص الأَقوال منها .

(ت) يُرجّحُ الأَقوَالَ الواحدَةَ المُتَعدِّدَة ، ويحسّنَها ، ويختارُ أجودَها . كما فعل الفاكهيُّ (ت٩٧٢هـ) في شرحه لـ (قطر الندى) حين أَوْرَدَ حديث ابن هشام عن بناء فعل الأَمْرِ ، ونصّه : " فقال : وبناؤه على

---

[٨٥] حروف المعاني : ١/٧١-٧٢.

[٨٦] اللامات : ٣٨-٣٩.

السكونِ إذَا كان صحيح الآخر، ولم يتّصل بِهِ ضميرُ تثنيةٍ ، ولا ضميرُ جمعٍ ، ولا ضميرُ المؤنثة والمخاطبة ؛ كـ (اضربْ ، وانطلقْ ، واستخرجْ) ؛ إذْ مضارعه يُجزم بالسكونِ إلاّ : المعتل... وإلّا نحو : قومًا "[٨٧].

ثمّ قال بعد أن عرض تفصيلات الحكم : " واعلم أنّ المصنّف لو قال – كما في الأوضح – وبناؤه على ما يُجزم به مضارعُهُ لكان أحسنَ ، لكنْ لمّا ذكر أنّ للماضي ثلاثة أحوالٍ ، أراد أن يذكر بالتنصيص أنَّ للأمر كذلك "[٨٨].

ثانيًا : ومن أهميته أنَّهُ يكشفُ عن منهجٍ نحويّ تاريخيّ قويم سارَ عَلَيْهِ النحويون أحيانًا وأغفلوه أحيانًا أُخْرَى ولذا لم ينل عناية تُبرزُ أهميته ، وتنظّر لمساراته.

ثالثًا : أنَّهُ منحًى يمكن تطبيقه على العلوم الأُخْرَى ذوات الإرث التاريخي في التأليف ، ولا سيّما العلوم الشرعية. فلو استعرضنا أيَّ تفسير من تفاسير القرآن الكريم لوجدنا أن مؤلّفه قد يتحدث عن الآية الواحدة في أَكْثَر من موضعٍ من تفسيرِهِ ، وأنّ جماع تلكم الأحاديث يعطي تصوّرًا وافيًا لتوجيه تفسير الآية المباركة .

---

(٨٧) مجيب الندا في شرح قطر الندى : ٤٣ .

(٨٨) مجيب الندا في شرح قطر الندى : ٤٤ ، وينظر : أوضح المسالك : ١/ ٣٧ .

وهو ما يستلزمُ منّا الإرشادَ الى خطواتٍ عملية تصلحُ لأن تكون عيارًا يضبطُ خطوات هذا الإجراء ، ويمكِّنُ الباحثين من اتّباعه في التعامل مع نصوص نحاتنا (رحمهم الله تعالى) ، وتحريــرُه :

أنْ تُسْتقصَى مواضعُ ورود نصوص الموضوع الواحد المتناثر أماكنُها في مصنَّف النحويّ ؛ بالاستعانة أولا بالفهارس الموضوعية التفصيليّة إنْ وجدت في الكتاب ، وتتبّع جميع ما يندرج ضمن محتواها على أنْ لا يُسلَّمَ بصحّتها ، أو يُرْكنَ اليها بوصفها منتهى التقصّي وغايته ؛ إذ لابدّ من استقراءٍ ذاتيّ يقوم به الباحث بنفسه للخلوص الى نتائجَ يُطْمئَنُّ اليها وإنْ دعاه ذلك الى تصفّح الكتاب كلّه .

ثم الوقوف على الأبواب النحوية المتشابهة ، أو المتفرعة من الباب الأصلي ، مع ملاحظة إمكان تكرّر الباب نفسه في أكثر من موضع . واستقراء مسار المسألة المبحوثة فيها جميعا ، أصلًا ، وتفريعات ، وتفسيرات ، وتعليلات ، وتعليقات ، واشتراطات ، وأمثلة ... الخ .

ولتتبّع الشواهد النحوية على اختلافها أهمية في ضبط خطوات هذا النظر ؛ فقد تكون مواطنَ لتكرار الحكم النحويّ مع مزيد تفصيل ، وتحليل .

هذا فيما يخصّ الكتاب الواحد ، أما كتب النحويّ المتعددة فالنظر فيها جميعا الى مواضع الحديث عن الموضوع الواحد اشتراطٌ ملزمٌ لا مناص عنه ؛ لضبط الرأي متكاملًا ، ومستوفيًا جميع جزئياته ، وسبيل تحقّقه تمثّلُ الخطوات المذكورة آنفًا في الكتاب الواحد نفسه للنحويّ ، ثم عرض نتائج الاستقراء التام على كتبه الأخرى . من خلال تتبع تلكم الخطوات .

وفي الختام فإن الباحث يوصي بإشاعة هذا الإجراء في الدرس النحويّ على أنّه أداةٌ منهجية فاعلة لاستخلاص الأحكام النحوية المتكاملة ، والرؤى غير المنقوصة ؛ أو القاصرة المجموعُ فيها كلّيُّ مشمولاتها ، والمستقراةُ منها جميعُ جزئياتها ؛ سبيلا الى دقة قراءة منجزنا النحوي الأصيل ، وسلامة نقله ، وإيصاله ، والحفاظ عليه .

ويوصي أيضًا بوضع شرح جديد لـ (كتاب سيبويه) يتبنّى هذا المنهج قوامًا لمسار متْنِهِ ، وأساسًا لخطوات تأليفه العملية . ينهض بأعبائه مجموعة واعية من المتخصّصين ذوي مُكْنة ، وبصيرة في التعامل معهما ، و تستشعر أهمية العمل ، وتدرك مدارج صعوبته .

المصـــادر والمراجـــع

- القــرآن الكريــم .

١- **الاستدراك علـى أبـي علـيّ فـي الحجـة** ، لأبـي الحسن علـي الباقولي (٥٤٣هـ) ، ط١ ، مكتبة بابطين المركزية للشعر العربي ، الكويت ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

٢- **أسـرار العربيــة** ، لأبـي البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) ، تح : الدكتور فخر صالح قدّارة ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

٣- **الأصول دراسة إبمستيمولوجيّة للفكر اللغوي عند العرب ، النحو- فقه اللغــة - البلاغــة** ، الدكتور تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .

٤- **الأصـول فــي النحــو** ، لأبـي بكـر بـن السـراج (ت٣١٦هـ) ، تـح : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٥- **الإغفـــال** ، وهو المسائل المصلَحَة من كتاب (معاني القرآن واعرابه) لأبــي اسـحاق الزجــاج (ت٣١١هــ) ، لأبــي علــي الفارســي (ت ٣٧٧هـ) ، تـح : الدكتور عبدالله بـن عمـر الحـاج ابـراهيم ، المجمع الثقافي ، الامارات ، (د.ت) .

٦- **الإنصـاف فـي مسـائل الخـلاف بـين النحـويين البصـريين والكـوفيين** ، لأبي البركات الانباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٨٠هـ -١٩٦١م .

٧- **أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك** ، لابن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) ، تح : محيي الدين عبد الحميد ، ط٦ ، دار الندوة ، لبنان ، ١٩٨٠م .

٨- **بعضٌ من أوهام النحاة في آراء صاحب الكتاب** ، الدكتور موسى بناي العليلي ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد (٢٨) ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

٩- **تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة** ، لابن الوردي (ت٧٤٩هـ) ، تح : عبدالله الجاموس ، ط١ ، مكتب الجويني لتحقيق التراث ، دمشق – سوريا ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٠- **التفكير العلمي في النحو العربي : الاستقراء – التحليل- التفسير** ، الدكتور حسن خميس الملخ ، ط١ ، دار الشروق – الاردن ، ٢٠٠٢م .

١١- **تهذيب اللغة** ، لأبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تح : محمد عبد السلام هارون ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٤-١٩٧٥م .

١٢- **الجنى الداني في حروف المعاني** ، للمرادي (ت٧٤٩هـ) ، تح : الدكتور طه محسن ، مؤسسة الكتاب للطباعة والنشر ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

١٣- **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، لمحمد الخضري (ت١٢٨٧هـ) ، تح : تركي فرحان مصطفى ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

١٤- **حاشية الصبان على شرح الأشموني** ، لمحمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، ط١ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م .

١٥- **حروف المعاني** ، للزجاجي (ت٣٤٠هـ) ، تح : علي توفيق الحمد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٩٨٤م .

١٦- **الخصائص** ، لابن جني (ت٣٩٢هـ) ، تح : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م .

١٧- **رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح** ، لابن الطراوة (ت٥٢٨هـ) ، تح : الدكتور حاتم صالح الضامن ، ط٣، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

١٨- **سر صناعة الاعراب** ، لابن جني ، تح : حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٨٥.

١٩- **السفر الأول من شرح كتاب سيبويه** ، لأبي الفضل القاسم بن الصفّار (٦٣٠هـ) ، تح : معيض بن مساعد العوفي ، ط١ ، دار المآثر، المدينة النبوية ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٢٠- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، لابن عقيل (ت٧٦٩هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث – القاهرة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٢١- **شرح الأشموني** (ت٩٢٩هـ) **لألفية ابن مالك** ، تح : عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، المكتبة الأزهرية للتراث .

٢٢- **شرح الألفية لابن مالك** ، **للمرادي** ، تح : الدكتور فخر الدين قباوة ، ط١ ، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٢٣- **شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)** ، لآبن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، تح : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٢٤- **شرح التصريح على التوضيح** ، للشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ) ، تح : محمد باسل عيون السود ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م .

٢٥- **شرح جمل الزجاجي** ، لابن خروف الاشبيلي (٦٠٩هـ) تحقيق ودراسة (من الباب الأول حتى نهاية باب المخاطبة) الدكتور سلوى محمد عرب ، جامعة أم القرى ، ط١ ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الاسلامي ، ١٤٩١هـ .

٢٦- **شرح الرضي على الكافية** ، لرضيَ الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، تـح : يوسـف حسـن عمـر ، ط٢ ، منشـورات جامعـة قـاريونس ، بنغازي ، ١٩٩٦م .

٢٧- **شـرح شـذور الـذهب** ، لأبن هشـام الأنصـاري ، تـح : محمـد ياسـر شـرف ، ط١ ، دار إحسـان للنشـر والتوزيـع ، طهـران ، إيـران ، ١٤١٧هـ .

٢٨- **شـرح الكافيـة الشـافية** ، لابـن مالـك ، تـح : علـي محمـد معـوض ، وعـادل أحمـد عبـد الموجـود ، ط١ ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٩- **شرح كتاب سيبويه** ، لأبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) ، تح : أحمد حسن مهدلي ، وعلي سيد علي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٣٠- **شرح اللمع** ، لجامع العلوم الباقولي ، تح : ابراهيم محمد أبو عبادة ، جامعـة الامـام محمـد بـن سـعود الاسـلامية ، دار الثقافـة والنشـر بالجامعة ، السعودية ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٣١- **فهـارس كتـاب سـيبويه ودراسـة لـه** ، صـنع : محمـد عبـد الخـالق عضـيمة (ت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ، ط١ ، مطبعـة السـعادة ، مصر ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

٣٢- **الكتـــاب** ، لسيبويه (ت١٨٠هـ) تـح : عبـد السلام هـارون ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ،١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٣٣- **كشـاف اصـطلاحات الفنـون والعلـوم** ، لمحمـد علـي التهـانوي (ت ١١٩١هـ) تح : الدكتور رفيق العجم ، الدكتور علي دحروج ، ط١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ١٩٩٦م.

٣٤- **الكليـات** ، معجم في المصطلحات ، والفروق اللغوية ، لأبي البقاء الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ، تح : الدكتور عدنان درويش ، محمد المصري ، ط٢ ، م مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٥- **اللامـات** ، للزجـاجي ، الـدكتور مـازن المبـارك ، دار صـادر- بيروت ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٣٦- **اللباب في علل البناء والاعراب** ، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تـح : محمـد عثمـان ، ط١ ، مكتبـة الثقافـة الدينيـة ، القـاهرة ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م .

٣٧- **لسان العرب** ، لأبن منظور (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت .

٣٨- **مجيب الندا في شرح قطر الندى** ، للفاكهي (ت٩٧٢هـ) تح: الدكتور مؤمن عمر محمد البدارين ، ط١ ، الدار العثمانية للنشر ، عمان ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٣٩- **مشكل إعراب القرآن** ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تـح : الـدكتور حـاتم صـالح الضـامن ، منشـورات وزارة الأعـلام ، العراق ، ١٩٧٥م .

٤٠- **معاني القرآن**، للفراء (ت٢٠٧هـ) ، تح : نجاتي ، والنجار ، وشلبي ، وناصف ، ط٣ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٤١- **معاني القرآن وإعرابه** ، للزجاج (ت٣١١هـ) ، تح : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٤٢- **مغني اللبيب من كتب الأعاريب** ، لابن هشام الأنصاري ، تح : الدكتور مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ، ١٩٧٨م .

٤٣- **مفردات ألفاظ القرآن** ، للراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) تح : عدنان داوودي ، دار القلم – دمشق ، الدار الشامية – بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

٤٤- **مقاييس اللغة** ، لأحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ) ، تح : عبد السلام هارون (د. ت) .

٤٥- **النواسخ في كتاب سيبويه** ، حسام سعيد النعيمي ، دار الرسالة – بغداد ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

٤٦- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، للسيوطي (ت ٩١١هـ) ، تح : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

An Overall Speculation

A Hidden Systemized Induction in The Grammatical Research

Dr. Mazin Abdulrasoul Salman
College of Basic Education- University of Diyala

Abstract:

This research takes a systemized procedure called (An Overall Speculation) as a tool that tries to master reading the traditional grammatical texts in concern to the different views related to one grammatical issue in one book of the grammarian or many of his books. This procedure tries to read and synthesize the grammatical issues in order to reach to suitable conclusions.

This research defines this procedure and unveils the ways to deal with it and shows its presence in the grammatical heritage with suitable applied examples that clarify the visions and enhance its facts.

Rooting The Meaning of Poetic Conflicts

(A Critical Survey)

Dawood Zarin Poor
Dr. Sayed Ridha Sulaimanzadah Najafi
University of Asfahan

Abstract:

The poetic conflict is an old art that the poets have addressed in their poetical works since the pre-Islamic era in the poetry of Zuhair Ibn Abi Salma who has opposed Aws until the present day. This art has reached its peak in some of the ages and disappeared or almost from the poetic discourse in some other ages. Some critics included this technique among the plagiarism and some considered it as traditional works and some hold a special place for it. But in any case, the concept of conflicts has been explained lately.

For this purpose, the study tended to answer specific questions about conflicts, which notably: what is the opinion of the critics in the sense of conflicts ? How many kinds are they? What is the difference between conflict of parody and poetry theft?

The researchers follow in their study an approach that combines induction, analysis, and sometimes preference ways between different words.

The conclusion is that from one perspective, conflicts are divided into two categories: explicit and implicit conflict and each of these cases has two branches. The explicit conflict can be either total or partial, and the explicit conflict is either obvious or hidden.

Key words: Poetic conflict, total and partial conflict, perfect and imperfect conflict, defects, poetry theft.

Elements of Transformation Between Ancient Arab Grammarians and The Modern

- A Comparative Study -

Dhuwiya Sadiq Ja'afar Alrubaiee

Abstract:

Arab researchers have dealt with opinions in studying the language like Chomsky's books, especially his views in transformative and generative. They liked it so much and considered it a manifest victory.

In this research, the researcher tried to show the precedence of the Arab grammarians and linguistics to this kind of studies.

The Adornment and Making Up of the Muslim Women in The Early Time of Islam and Alamawiyah Succession

Dr. Suaad Jawad Hassan
College of Education/ University of Missan

Abstract:

The adornment and making up was known for the nations and people since long time in the history of humanity, it was mentioned in the heavenly books and in the Holy Quran, and many chapters and verses in the Holy Quran have mentioned it, its tools and kinds.

Men and Women are interested by adornment and making up, in spite of this, the research is focused on women because a woman loves the adornment and making up, and may be because of her transparent nature and smooth feelings.

The Islamic regulations did not prohibit the adornment of women but it limited it for some rules based on the Islamic principles.

The research dealt with the topic of adornment and making up of women, its meanings and importance. The connection between the Muslim woman and the other nations lead the Muslim woman to be interested by adornment; and her model for that were the luxurious classes because they were keening to show their wives in a nice look as the proverb says that the people follow their kings' style, for that the woman was interested by her beauty because it is a habit for all the women and some of them exaggerated in it until the Arabic woman got the advanced grade in this side in our present time.

Arab Awareness of The West, Self-Understanding and Knowledge of The Other

Waleed Khalid Ahmed

Abstract

The study deals with trends in contemporary Arab thought and tries to understand the position of the west through the adoption of self understanding of itself, its identity, its history, its reality, its future ...

This understanding is determined by the conflict within the cultural identity which are the foundations of the confrontation in our relations (we Arab) with the west.

Text Linguistic Approach
A Research in Epistemological Foundations and Procedures

Dr. Ahmed Hassani
College of Islamic and Arabic Studies / Dubai

Abstract:

The distinctive characteristic of the structure, which is a significant sign system, necessitates knowledge integration, and the convergence of applied procedures to approach texts produced by human culture. As a consequence, linguistics of the text occupies an important scientific and methodological place, to find sufficient and scientific answers for text questions, and to overcome the difficulties of the reader with different references of the text.

This study seeks to bring answers to different questions related to the current international texts linguistics' experience, and its impact on the Arabic modern linguistics culture. We state some of the important ones:

1- How can we scientifically and deeply invest the current international epistemological and methodological experiences in the field of texts linguistics to promote the reading culture and update the procedures and techniques of text explanation and interpretation?

2- What are the effective ways to move easily from structural-linguistic to discursive-textual competencies linguistics? How can we integrate discourse approach into texts linguistics or deliberative linguistics or into both of them?

3- To what extent could texts linguistics studies establish its own system of concepts and terminologies to strengthen its existence in the field of the culture of texts?

4- Are the practical actions applied by text linguistics sufficient to find a methodological alternative that guarantees their objectivity, legitimacy as well as continuity?

Description of The Socio- Economic Situation of The Society of Baghdad Metropolitan at The End of The First Half of The Twentieth Century

Dr. Abid Ali Alkhafaf
University of Kufa
Alfarabee Institute of Higher Studies / Al-Najaf

Abstract:

This research aims to describe the socio-economic situation of the society of Baghdad big city at the end of the first half of the twentieth century, according to data provided by the census , which was conducted on 19th Oct. 1947.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٦ لسنة ٢٠١٥م



Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No.3.4

Vo. 62

1437H - 2015